الدكتورة أمل بشور

حملة بونابرت إلى الشرق

"مخطوطة نقولا الترك"

دراسة وتحقيق

جروس برس
طرابلس - لبنان

حملة بونابرت الى الشرق

الدكتورة أمل بشّور

حملة بونابرت إلى الشّرق

مخطوطة نقولا التّرك»

دراسة وتحقيق

جروس برس
طرابلس - لبنان

طبعة أولى ١٩٩٣ م
١٤١٣ هـ

دار جروس پرس

طرابلس لبنان
ص. ب. ١٨٩

هاتف دولي وفاكس
0012124782790

المقدمة

تماماً كما يبدأ بناء البيت من عمق ما في الأرض، يقوم بناء الحضارة من عمق ما في التراث.

ووعي الشعوب للثقافة التاريخية المستمدة من أعماق ماضيها وتُراثها يُغني قدرتها على بناء حضارتها والإعداد لمستقبلها.

والشعب العربيُّ من أحوج الشعوب إلى الثقافة التاريخية لأن ما ضيه يعكِسُ كثيراً من خصائص حاضره ويلقي أضواءً على تجربته المعاصرة ويصلحُ لأنْ نستمدَّ منه العبرةَ والحافزَ لبناء المستقبل.

سعياً إلى إضاءةٍ متواضعة لبعض أبعاد الماضي. . توقفتُ أمام أهم نوافذ العصر الحديث المطلة على ماضي الشرق. عند الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام، إنها تبدو لي نافذةً تاريخية ذاتَ لونٍ مميَّز، فهي بدايةُ تحوّل بين عصرين من تاريخ الشرق ونقطة انطلاق له للإتصال بالغرب آخذاً بعد أن اتصل به معطياً. وهي أول محاولةٍ غربية لإلقاء مراسي الإستعمار الحديث في الشرق العربي.

قائدها البطل المنتصر في أوروبا (نابوليون بونابرت) الذي بدا وكأنه يترسّم فيها خطا الإسكندر المكدوني ويتخذ منه مثالاً يُحتذى في المغامرة، أو كأنّه في مسيرته بين النيل والأردن وبين مدِّ حملته وانحسارها كان يسير بهدى بين نجمه نحو هدفٍ مجهول.

ما ذاكَ الهدف؟

مصر؟ ما هي إلا محطة في رحلة طموحه!

سورية؟ ليست أكثر من موقعٍ دفاعي أمام مشاريعه الواسعة.

كان يحلمُ بأن يهزَّ هذا الشرق النائم وعلى رأسه عمامة وفي يده قرآن جديد يطمح لأن يحقق فيه مآثر الإسكندر في الهند، لكن غمرة أحلامه أنسَتْهُ أنه لا يستطيع ـ في العصر الحديث ـ أن يكون ذلك الملك القديم الذي يطوف من حوله ملايين العبيد. وأن شعوب عصره لا تقبلُ أن تنحَرَ نفسها على خطا فاتح حالم.

هكذا صدت أسوارُ عكا أحلام عملاق التاريخ ودفعتها نحو الحقيقة ليُسدَلَ الستار على ذلك الفصل الرومانسي من الملحمة النابليونية. لكن بوابةً حضاريةً بين الشرق والغرب قد انفتحت.

لقد سجَل عام الحملة ١٧٩٨ آثاراً سياسية واجتماعية وفكرية عميقة في تاريخ مصر الحديثة. كما سجل عام (١٨٣١) منعطفاً مميزاً في تاريخ بلاد الشام، حين نقلت حملة محمد علي آثار تلك الحملة إلى سورية.

آثارُ الحملة تلك اجتذبت اهتمام الكثيرين من المؤرخين لتتبعها ودراستها، ومنهم الشاعر المؤرخ (نقولا الترك) الذي رافق الحملة وعاش أحداثها ورصد الوقائع التاريخية التي نجمت عنها. وإذا كانت «قيمة كل امرىء ما يُحسن» استطعنا أن نقدر لهذا المؤرخ قيمة كبيرة بين مؤرخي عصره، لأنه أرَّخَ فأحسن وكتب فأجاد.

لقد استهواني (نقولا الترك) لكونه مؤرخاً محلياً أغنى بحسِّه مشاهداتٍ شخصية حيَّة برَّأت تاريخه من رتابة النقل وجفاف البحث. والترك إلى جانب ذلك شاعرٌ وأديبٌ يصوغ التاريخ شعراً، وهذا يزيده طلاوةً ويجعل منه مادة ممتعة إلى جانب كونها مفيدة.

نحن إذاً أمام كاتب يمسك من التاريخ بطرفٍ ومن الأدب بطرفٍ آخر.

في كتابه حولَ أحداث الحملة الفرنسية، وفي شعره الـذي سجَّل كثيراً من الملامح الإجتماعية التي سادت المجتمع اللبناني في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر والملامح الفنية البارزة في عصره.

وقد بذلت عنايةً فائقةً في تحقيق المخطوطة التي تركها مؤرخنا هذا لِما أرى من أهمية لمثل هذه الدراسة التاريخية ومَهَّدت لها بمدخل تناول:

حياة الترك وشعره، أسلوبه الأدبي، المؤلفات التاريخية المنسوبة إليه، طريقته في البحث التاريخي ومدى موضوعيته. ثم موقعه بين المؤرخين اللبنانيين والمصريين المعاصرين له وبخاصةٍ الذين كتبوا عن تلك الحملة.

وقد سعيت إلى موازنة النسخ المتعددة التي نشرها كتابٌ عرب وفرنسيون للمخطوطة والنسخة التي وجدُتها في المكتبة الظاهرية بدمشق محاولة الوصول إلى النص الأصلي الذي كتبه المؤلف.

موضوع هذا الكتاب أولُ احتكاك حضاري بحملة فريدة.

وحين أرجو أن أوفق ببحثي هذا لتحقيق هَدَفي أشكرُ للذين سبقوني في هذا الميدان جهودهم التي كانت خير عونٍ وأوضح نورٍ في طريقي.

القسم الأول

الفصل الاول:

نقولا الترك

- نبذة عن حياة نقولا الترك
- نبذة عن الشاعر نقولا الترك وبعض مقتطفات من شعره
- مؤلفات نقولا الترك التاريخية
- كتاب نقولا الترك حول أحداث الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام
- دراسة مخطوطة المكتبة الظاهرية (تاريخ نابليون الأول بقلم نقولا الترك)
- موضوعية نقولا الترك في كتابه التاريخي

الفصل الثاني

الحركة التأريخية والمؤرخون في عصر نقولا الترك

- لمحة عن الحركة التأريخية في جبل لبنان
- المؤرخون المعاصرون لنقولا الترك في جبل لبنان

آ ـ حيدر الشهابي

ب ـ طنوس الشدياق

جـ ـ حنانيا المنيّر

- وضع نقولا الترك كمؤرخ ضمن هذه المجموعة من المؤرخين.

الحركة التاريخية المعاصرة لنقولا الترك في مصر

- لمحة عن الحركة التاريخية في مصر أثناء الفترة العثمانية
- المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي
- مؤلفات الجبرتي التاريخية
- مقارنة بين أهمية كتاب الجبرتي وكتاب الترك بالنسبة لفترة الاحتلال العثماني.

الفصل الأول

نقولا الترك

بزغ فجر عصر النهضة الفكرية في جبل لبنان منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر وذلك بفضل المدارس والمعاهد التي أُنشئت في ظل حرية محمية من عائلاته الكبرى وخاصة المارونية والدرزيـة، فنشطت في هـذه المؤسسات التعليمية حركة بعث التاريخ واللغة والثقافة العربية من السبات وأسهم في نشر إنتاجها الأدبي والتاريخي تأسس المطابع العربية الأولى فى ربوع الجبل.

وفي ظل هذه البيئة نشأت طبقة من المثقفين وجدت مرتعاً لمواهبها في دواوين الحكام حيث كان المدنيون منهم موظفين وعلماء خلفوا لنا العديد من المؤلفات القيمة.

في هذه الحقبة من الزمن وفي ذلك المناخ الفكري المتفتح عاش الشاعر المؤرخ نقولا الترك.

نبذة عن حياة نقولا الترك:

هو نقولا بن يوسف آغا الترك، ولدَ عام ١٧٦٣ في دير القمر، عاصمة الأمراء الشهابيين. وقد أكد هذا الكسندر كاردن مديرالقنصلية الفرنسية في مصر لعام ١٨٣٨ بقوله «ولدَ الترك عام ١٧٦٣ في دير القمر وكان أسلافه يونانيين انتقلوا من القسطنطينية للعيش في لبنـان حيث اعتنقوا المـذهب

الكاثوليكي[1]». ويقول البستاني «ولدَ الترك عام ١٧٦٣ في دير القمر وكانت أسرته اليونانية الأصل القسطنطينية المنشأ قد انتقلت إلى الكثلكة في أوائل القرن الثامن عشر فنزلت في بلد الأمير الشهابي لاجئة إلى ملاذ الحرية الوحيد في الأمبراطورية العثمانية فنَسَبها الوطنيون إلى التركية وعلق لقب الترك بشارعنا[2]». ويترجم المعلوف الترك بقوله «هو نقولا بن ناصيف آغا الترك ولدَ عام ١٧٦٣ بدير القمر وأصل أسرته من الآستانة[3]. وقد ذكر الترك نسبه في مقدمة قصيدة مدح بها نابوليون بونابرت: «نظم هذه القصيدة نقولا الترك، ولد يوسف الترك الأستانبولي الأصل[4]...»

أما عن نشأة الترك وشبابه فليس لدينا ما يشير إليهما سوى نعته بالمعلم دلالة على ممارسته تعليم القراءة والخط لبعض أبناء الأسر الإقطاعية في الجبل وما نعرفه من اتصال أبيه الوثيق بالشهابيين في عهد الأمير يوسف الشهابي (١٧٧٠ - ١٧٨٩) وكان الترك قد زار مصر منذ أيلول عام ١٧٨٩، وأقام فيها مدة وقد كان في القاهرة بالتحديد عام ١٧٩٣، ورجع إلى لبنان فى العام التالي، بعد أن أسس علاقات صداقة في أوساط المهاجرين إلى مصر من أبناء لبنان وسورية، وأكثرهم تجار وكتاب دواوين، من طائفة المعلم الترك أي من الروم الكاثوليك[5]. وعندما احتل نابليون بونابرت مصر، في تموز ١٧٩٨، كان

---

(١) A. Cardın, journal d'Abdurahman Gabartı suivi par l'expédition des trançaıs en Egypte par Nicolas El-Turk, Paris 1839-P. 1.

(٢) أنظر: فؤاد افرام البستاني. المعلم نقولا الترك، مجلة المشرق، مجلد ٤٣ (سنة ١٩٤٩) ص ٦٩.

(٣) عيسى اسكندر المعلوف. نقولا الترك، مجلة المشرق، مجلد (٢) سنة (١٨٩٩) ص ٦٣٧.

(٤) Nakoula - El Turk, Histoire de l'expédition des français en Egypte publiée et traduite par M. Desgranges - Ainé, Paris 1839, P.F.

وسنشير إلى هذا المصدر إختصاراً بكتاب ديغرانج.

وحول الترك راجع أيضاً:

— G. Graf. Geschichte der christhichen arabische litiratur. Vatican (1949) T. 111, P. 251-252.

(٥) = Graf. Geschiechte der christhichen, T. 111, P. 252

واضحاً أن أثر هذا الإحتلال سيتجاوز حدود مصر، لذلك فإن الأمير بشير الثاني الشهابي (١٧٨٩ - ١٨٤٠) الذي كان يهتم بالتطورات التي تحدث في البلاد المجاورة، خشي من أن يؤدي هذا الحدث الهام إلى تغيير مصير أتباعه في الجبل وتاريخهم، وكان نقولا الترك، شاعر بلاطه، على معرفة تامة بشؤون القطر المصري، ومدى إمكانياته الحربية والإقتصادية، مما دفع الأمير بشيراً، أن يعهد إليه بمهمة مراقبة وتسجيل الحالة العامة في البلاد أثناء فترة الإحتلال الفرنسي. ولقد أجاد الترك المراقبة، سواء في القاهرة، أم في دمياط، حيث أخذ يدون كل ما يتصل به من أخبار هذا الحدث التاريخي الهام، فجمع بذلك مادة تاريخية هامة، فضلاً عن أن الترك كان يبعث بالرسائل بخلاصة ما يلاحظه إلى أميره، وكان لا بد من أن تمر هذه الرسائل، في طريقها إلى لبنان، بمنطقة الجزار، فيتعرض حاملوها للمخاطر. ويذكر الكسندر كاردان، أن إحدى هذه الرسائل، كانت كمصيبة نزلت على أحد أخوة الترك المقيمين في عكا[١]. هذا وأن الترك اتصل أيضاً بخدمة ديوان نابليون بفرعه العربي كما فعل غيره من السوريين والمصريين. وفي عام ١٨٠٤، ترك الترك مصر، عائداً إلى دير القمر مستعيداً وظيفته التعليمية، وعاش في ضيافة الأمير بشير، ولم يكن يتقاضى منه راتباً ثابتاً، إلا أن الأمير بشيراً كان يقدم للترك ولأسرته المال بسخاء[٢]. ويقول البستاني «خرج الترك من مصر بثروة وافرة، ومن مظاهرها عبدة سوداء أتى بها المعلم الترك إلى دير القمر[٣].

- أما عن أسرة الترك، فقد كان أبوه من أتباع ابن عساف جرجس باز،

= أنظر أيضاً: ديوان المعلم نقولا الترك، نشرة فؤاد افرام البستاني، بيروت ١٩٤٩ - ص ٧٠

(١) A. Cardin, journal d'Abdurruhman Gabarti. P. 2

(٢) المعلوف تواريخ الامبراطور نابوليون بونابرت باللغة العربية. مجلة المشرق مجلد ٢٩ (١٩٣١) ص ٢٨٧

(٣) أنظر: G. Graf - op. cit. P. 254.

أنظر: أنظر أيضاً: «ديوان المعلم نقولا الترك» المصدر السابق، ص ٧٣

حتى أن الأمير بشيراً أمر بقتله عام ١٨٠٧، ولم يثنه عن ذلك شيخوخة يوسف الترك ولا خدمات ابنه نقولا في بلاطه[١]. أما عن أبنائه، فله ولد اسمه فتح الله توفي يافعاً فانقطع نسله، وله بنت اسمها وردة تزوجها حبيب الصومة من دير القمر[٢]، ولقد فقد الترك بصره في أواخر حياته، وكان يملي الشعر الذي ينظمه على ابنته وردة[٣].

ـ ولقد حددت وفاة نقولا الترك بعام ١٨٢٨، وهذا ما أثبته الأب شيخو [٤] والكسندر كاردان[٥] وعيسى المعلوف[٦].

ونقرأ في مجلة المسرة الغراء، أبياتاً لنقولا الترك، مؤرخاً فيها تاريخ وفاته بقوله:

هاك اعترافي أيا مولاي في وزري   لأنني لكـل مـا أسلبت أوجبت
والآن اختم تـاريخي بـك أبـداً   أو في حياتي وما بـالعمر كتبت[٧]

وقد كتبت هذه الأبيات عام ١٨٢٦، وإن صح هذا فمن الممكن أن يكون الترك أرخ وفاته قبل ميعادها بسنتين. وقبره لا يزال موجوداً في ساحة كنيسة النبي الياس للروم الكاثوليك في دير القمر.

نبذة عن الشاعر نقولا الترك وبعض مقتطفات من شعره:

تمتع الترك كشاعر بلاط بنفوذ مرموق أثار طموح الشعراء الناشئين من

---

(١) أنظر: الامير حيدر الشهابي، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، حققه ونشره أسد رستم، فؤاد افرام البستاني، بيروت ١٩٦٩، ج ٢ ـ ٣، ص ٥١٤.

(٢) أنظر: المعلوف، تواريخ الامبراطور نابوليون الاول مجلة المشرق مجلد ٢٩ (١٩٣١)، ص ٧٨

(٣) أنظر: A. Cardin, journal... suivi par l'expédition des français en Egypte, P. 3

(٤) أنظر: الاب لويس شيخو اليسوعي، الآداب العربية في القرن التاسع عشر، بيروت (١٩٠٨)، ج ١، ص ٢٣.

(٥) أنظر: كاردن، المصدر السابق، صفحة ٤. Cardin, Ibid (p.4)

(٦) أنظر: المعلوف، المصدر السابق ص ٧٨.

(٧) أنظر: مجلة المسرة، وفاة نقولا الترك، مجلد ٧، (١٩٢١) ص ٤٣.

معاصريه، كما فتح نجاحه أعينهم على المكانة العالية التي صار باستطاعة رجل العلم والأدب أن يتبوأها في ذلك العصر.

يقول الأب لويس شيخو: «إن نقولا الترك من أدباء الروم الملكيين الذين أحرزوا فخراً في النظم والشعر، وقد خلف الترك آثاراً أدبية هامة، ففي ديوانه الموجود في المكتبة الشرقية باليسوعية، نجد كل موضوعات الكتابة في الرثاء والمدح والوصف والمزح، وعارض الترك أصحاب المقامات فوضع إحدى عشرة مقامة نسبها إلى راوٍ دعاه الحازم ومسفارٍ فكهٍ سمّاه أبا النوادر»(١).

إن للترك منظومات عدة في مدح الأمير بشير الثاني الشهابي وأبنائه وأنسبائه ورجال الإقطاع في جبل لبنان في تلك الحقبة. ونجد في ديوانه الوثائق العديد والمصادر المختلفة التي تُلقي الأضواء على حياة الإقطاعيين اللبنانيين. كما احتوى هذا الديوان معلوماتٍ هامة عن حياة الترك الخاصة ومن ذلك أنه كان يعيش على حساب الأمراء والمشايخ، وبسبب عدم انشغال الترك بتأمين حاجاته المادية انصرف كلياً إلى وصف عصره وبيئته، فترك لنا القصائد التي تصف حياة الأمير بشير ومنشآته وملاهي بلاطه وعلاقة هذا الأمير برجال الإقطاع في عصره واتصالاته بالولاة الحكام المجاورين له.

وبالقدر الذي امتدح فيه الترك الأمير بشيراً امتدح أيضاً الشيخ بشير جنبلاط، منافس الأمير بشير في الزعامة، وإلى جانب هذا يُطلعنا الترك على أعمال زعماء العائلات الإقطاعية في الجبل مثل: الأرسلانيين، الخازنيين الدحادحة والنكديين وغيرهم. ونجد في ديوان الترك العديد من المراسلات مع شعراء عصره كالشيخ عمر البكري، بطرس كرامة، أحمد البربير وعبدالله ميقاتي. وتقرب الترك من المؤرخ الأمير حيدر الشهابي وعمل معه كما سنرى لاحقاً. ويعتبر ديوان الترك مصدراً تاريخياً هاماً لمعرفة حياة المجتمع اللبناني

(١) أنظر: الاب شيخو: الاداب العربية في القرن التاسع عشر، ج ـ ا، ص ١٨ والاب شيخو يشير هنا إلى الديوان الذي نشره في عام ١٩٤٩ فؤاد إفرام البستاني ولم يكن قد نشر آنذاك.

آنذاك، حيث أن الترك وصف تلك البيئة: أعيادها، مواسم إنتاجها الزراعي والأوبئة التي كانت تصيبها، وسنذكر، على سبيل المثال، بعضاً من هذه القصائد. يقول الترك مادحاً الأمير بشيراً، بعد عودته من دمياط عام ١٨٠٤:

دنـا البشر المجد المستطاب وأشرق في معـاليـه الشهـاب
وتمّ لنـا المنـا بمـزيـد أمن بـه زال العنا والإضطراب(١)

ثم يصف قصر الأمير بشير قائلاً:

دار المعالي التي فاقت مفاخرها والعز قد زادها حسناً وجمّلها
تزينت في معاني الظرف واكتملت بقاعة أرخوها لا نظير لها(٢)

وهذه القصيدة قد نقشت فوق باب إحدى قاعات القصر.

وللترك رثاء في الشهيد بطرس مراش الذي قتل عام ١٨١٨ مع غيره من الكاثوليك في حلب،

كم يشتكي قلبي الموجع كلّما قـد مضّه الهم الـذي قد كلّما
بـل تـراني عنـدمـا يشتـد بي حرّ الجوى أهمي المدافع عندما(٣)

ومن موشحاته ما قاله في مدح مدينة طرابلس وأهلها:

يـأبى عهـد التهـاني والصفـا زمـن مـرّ بـطربـلس
هنـا عيش رغيـد سلفـا لي بـدلـك المعلم المؤتنس(٤)

أما قصيدته في وصف الطاعون الذي ابتليت به بيروت عام ١٧٨٤ -

(١) أنظر: نقولا الترك، ديوانه الشعري، ص ٢٢٦، ٢٢٧.
(٢) أنظر: المصدر السابق ص ٣٠١.
(٣) أنظر: المصدر السابق ص ١٢٦ ـ ١٣٩.
(٤) أنظر: المصدر السابق ص ١٤٦ ـ ١٤٨.

١٧٨٦ ومات به كثيرون منها:

يــا طــالبــاً حقيقــة الأنبــاء	والحكم في مــا هيــة الــوبــاء
إن الــوبــا ســميــة دبــاقــة	لــصــاقــة نـفــاذة خـــراقــة
تسبح في الأبدان سبح الدهن	إذا جرى في الصوف أو القطن
والأصل فيه في فساد الأهويـة	وكثـيرة عنـد اجتيــاح الأدميـة
ان تعدي الإنسان عند اللمس	وليس مــا قلتــه من لبس[1]

ومن مقاماة الترك المشهورة نذكر «المقامة الديرية»، وفيها طلب من الأمير بشير أرضاً لبناء دار له، فلبى الأمير طلبه وأشار على أولاده وأولاد الشيخ بشير جنبلاط بتقديم المال للترك لبنائها[2] ثم المقامة «الشوفية وهي في مدح الشيخ بشير جنبلاط[3]، ثم «المقامة الثلجية[4]» وهي في وصف مصايف الأمير بشير، ثم «المعيسوية[5]»، و«اللبنانية[6]».

وفي كتابه التاريخي، حول الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام، قصيدتان، واحدة يمدح فيها نابليون بونـابرت، والثـانية في رثـاء الجنرال كليبر[7].

أما قيمة قصائد الترك الفنية فهي واهية، إذ لا نجد في قصائده عناصر الجمال الفني التي يجب أن توجد في القصيدة حتى تسمى فناً، فصوره تقليدية بعيدة عن روح الإبتكار والإبداع، أكثر فيها الشاعر من التكرار، والتكلف،

(١) أنظر: المصدر السابق ص ٥٤ ـ ٥٨.
(٢) أنظر المصدر السابق ص ٣٤٤ ـ ٣٤٨.
(٣) أنظر: نقولا الترك، ديوانه الشعري، ص ٣٨٠ ـ ٣٨٣.
(٤) أنظر: المصدر السابق، ص ٣٥٦ ـ ٣٥٨.
(٥) أنظر: المصدر السابق، ص ٣٨٦ ـ ٣٨٨.
(٦) أنظر: المصدر السابق، ص ٣٤٨ ـ ٣٥١.
(٧) أنظر. ما يلي ـ ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

والجري وراء معاني القدماء، وقد ينتهي من نظم بيته أحياناً ولكنه يجد أنه قد استهلك قافيته من ذي قبل فيحذف شطره الثاني ويبدأ بالتفتيش عن شطر آخر يقوم بمكانه، كما لا يتورع الترك عن الخروج عن أوزان الخليل، كما في وصفه الطاعون، ولا يتوانى عن الخروج على أصول القوافي، إذ يكرر قافيته بعد بيتين والمفروض بعد سبعة أبيات. فحفيد اليونان هذا لم يكن بارعاً في لغة الضاد فلغته العربية تجنح إلى سهولة تبلغ حد الركاكة العامية أحياناً. هذا ويمثل الترك أدباء عصره في ذلك القرن الذي سبق عصر النهضة الأدبية والفكرية، هذا القرن الذي كسدت فيه الآداب، وجرى الشعراء على تقليد الأقدمين تقليداً بعيداً عن الفن، لم يمكنهم من اللحاق بمن يقلدون، ولكن ديوان نقولا ـ الترك يظل شاهد عصر، دقيق النظر، مرهف الشعور، صائب الحكم، مما يجعلنا نعتبر ناظمه من ذوي الباع الطويلة في النهضة الأدبية العربية في القرن التاسع عشر.

مؤلفات نقولا الترك التاريخية:

إن أهمية الترك كمؤرخ ليست دون أهميته كأديب وشاعر، فقد عدد الأب لويس شيخو في كتابه «تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر» مؤلفات الترك التاريخية قائلاً: «إن هناك مصنفين كتبهما الترك بالتأكيد هما:

آ ـ تاريخ الأمبراطور نابليون منذ موت لويس السادس عشر حتى موت نابليون عام ١٨٢١، في نحو ٤٥٠ صفحة، كتبه الترك باتقان وذوق مع تعريفه أسباب الحوادث وعواقبها والحكم في جيدها وسيئها، وهذا الكتاب قد طبع نصفه الأول في باريس سنة ١٨٢٩ المسيو ديغرانج[1]» وسوف نتحدث عن هذا الكتاب بشكل موسع فيما بعد لأنه موضوع دراستنا. والكتاب الثاني حسب شيخو هو تاريخ أحمد باشا الجزار، الذي يعده شيخو من مؤلفات الترك،

(١) أنظر: الاب لويس شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر، ج ـ ١، ص ١٩.

فهو يذكر أنه مخطوطة مؤلفة من ١٢٦ صفحة توجد في المكتبة اليسوعية في بيروت، ويقول شيخو أنه لا توجد إشارة إلى اسم الترك في المخطوطة، إلا أنه يضيف ففي رأينا أنها تخصه[١] أما «غراف» فلا يذكر إطلاقاً هذا المؤلف بين كتابات الترك، وإنما يتحدث عنه بأنه تاريخ مجهول المؤلف كتبه مسيحي[٢]. ويبدو أن السبب في نسبة هذه المخطوطة إلى الترك هو أنه عندما أعطى المؤلف اللبناني طنوس الشدياق (١٨٠٥ - ١٨٦١)، قائمة بمصادر تاريخه (أخبار الأعيان في جبل لبنان) والذي انتهى عام ١٨٥٥، ذكر تاريخ الجزار من ضمن مصادره[٣]. ويقول المؤرخ جورج حداد «أعتقد بأن الشدياق أشار إلى تاريخ الحملة الفرنسية للترك في عهد أحمد باشا الجزار والي عكا (١٧٧٥ - ١٨٠٤) الذي كان معاصراً له ودافع عن عكا ضد الفرنسيين لكن هذا التوضيح ليس كافياً لإثبات نسبة الكتاب للترك، وذلك لسببين الأول: ليست المادة عن الجزار في كتاب تاريخ الحملة الفرنسية بارزة بقدر يدفع طنوس الشدياق أن يشير إلى ذلك التاريخ بأنه تاريخ الجزار، والثاني - والكلام للمؤرخ جورج حداد - يوجد بالتأكيد (تاريخ الجزار) الذي استطاع الشدياق استعماله، ولكن لا نعرف من ألفه، لأنه قد نسب إلى الأمير حيدر الشهابي[٤]»، وعليه فإن نسبة تاريخ الجزار إلى الترك يجب أن يظل مشكوكاً به إلى أن يتم الحصول على برهان اسطع.

وهناك مؤلفان آخران، لم يذكر اسم كاتبهما، ينسبهما الأب لويس شيخو إلى الترك احتمالاً، الأول: (مجموع حوادث الحرب بين الفرنساوية

---

(١) أنظر: المصدر السابق، ص ١٩، ٢٠.

(٢) أنظر: G.Graf, geschiehte der christhichen arabischen litiratur, vol. III, P. 251

(٣) طنوس: الشدياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان، جزءان الطبعة الثانية، بيروت ١٩٥٤.

(٤) انظر: G. Haddad, the historical work of Niqula el-Turk 1763-1828, journal of the American Oriental Society, (JA 05) vol. 81, N.3 (Aug-sept) 1961 P. 249

ولقد نشر الاب انطونيوس شبلي، والاب اغناطيوس عبده خليفة، تاريخ احمد باشا الجزار في بيروت عام ١٩٥٥، على أنه من مؤلفات الامير حيدر الشهابي.

والنمساويين عام ١٨٠٥)، وهو تاريخ واسع يضم ٣٦٠ صفحة من القطع المربع، وقد طبع في باريس عام ١٨٠٧، وصفت فيه وقائع تلك الحرب التي انتهت بانتصار نابليون في استرليز[١]. ويقول حداد «الواقع أن هذه الطبعة ليست هي تاريخ الحرب وإنما سلسلة من الوثائق، معظمها وثائق رسمية، وإعلانات، وأوامر عسكرية، لذلك كان من الطبيعي الاّ تحمل اسم أي مؤلف بالرغم من أنه يمكن أن تحمل اسم مترجم لهذه الوثائق إلى اللغة العربية، وهذه الوثائق عبارة عن ٣٧ وثيقة رسمية مؤرخة بين ٢٤ أيلول و٢٩ كانون الأول من عام ١٨٠٥، مع كل ما يقابلها من التأريخ الهجري، ويذكر فهرس المتحف البريطاني أن نابليون بونابرت هو مؤلفها، ويعطي لهذه الوثائق العنوان التالي: (وثائق الجيش الفرنسي خلال الحرب مع النمسا عام ١٨٠٥ مترجمة إلى العربية)، أما تاريخ النشر فلم يذكر لكن المتحف البريطاني يعطيها تاريخ عام ١٨٠٦، أما بروكلمان فيتبع شيخو ويؤرخها عام ١٨٠٧ ويقول بأنها مجهولة المؤلف[٢]». الواقع لا يمكن أن يكون الترك مترجماً لهذه الوثائق، لأنه بناء على ما يذكره المستشرق ديغرانج، فالترك لا يعرف الفرنسية إطلاقاً، وديغرانج على معرفة تامة بهذا الموضوع، لأنه التقى بالترك شخصياً في دير القمر[٣]. والكتاب الأخير الذي ينسبه الأب شيخو احتمالاً إلى الترك هو تاريخ الأمراء الشهابيين منذ تأسيس الإمارة في لبنان حتى عام ١٧٩٠، ويحمل العنوان التالي (نزهة الزمان في حوادث لبنان)[٤]. يوجد لهذا الكتاب ثلاث مخطوطات، الأولى في المكتبة الظاهرية في دمشق تحت الرقم (٤٧٢٤) وتحمل العنوان التالي (حوادث الزمان في جبل لبنان) وتنسب إلى المعلم نقولا الترك اللبناني، وهي

---

(١) أنظر: الاب لويس شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر، ج ١

(٢) أنظر: ص ١٩ G. Haddad, the historical... op. cit. P. 250

(٣) إنظر: N. El-Turk, histoire de l'expédition des français en Egypte, Ed par D. Aine: P. 8.

(٤) أنظر: الاب لويس شيخو، المصدر السابق، ج ١، ص ١٩

مكتوبة بخط يد الشيخ ناصيف اليازجي، وتغطي الفترة التي تبدأ بانقراض السلالة المعنية وظهور سلالة الشهابيين، ١١٠٩هـ / ١٦٩٧م حتى ١٢٠٥هـ / ١٨٠٠م وتقع في ١١٥ صفحة، ومنذ الصفحة ١١٣ تتوافق مع تأريخ الترك حول أحداث الثورة الفرنسية، (الذي هو مقدمة تأريخه حول الحملة الفرنسية على مصر وسورية)، ويبدو من دراستنا لهذه المخطوطة أن اسم الكاتب ومؤلفه قد أضيفا حديثاً إلى المخطوطة، وكتابتها مختلفة عن نوعية الكتابة الموجودة في النص كما أن الحوادث الموصوفة فيها تتشابه تماماً مع قسم من تاريخ الأمير حيدر الشهابي (الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان) بتفاصيل أقل ولكن بأسلوب أدبي أفضل.

وهناك مخطوطة أخرى تتعلق بنفس الموضوع، لكنها تحمل عنواناً مختلفاً (نزهة الزمان في حوادث عربستان) تأليف حيدر أحمد الشهابي، وهي موجودة في مكتبة المجموعة الشرقية بجامعة كامبردج، وتغطي الفترة بين ١١٠٩هـ / ١٦٩٧م و١٢١٥هـ / ١٨٠٠م، وهذه المخطوطة إذا ما قورنت مع النسخ السابقة لمؤلف حيدر الشهابي نرى أنها تحذف أحداثاً كثيرة، وفي بعض الأحيان سنوات كاملة، والبارز كون الوصف للأحداث التي جرت في دمشق ومصر في عمل حيدر الأساسي أعيدت كتابته بشكل كامل في هذه المخطوطة بينما الأحداث أدرجت بإيجاز أشد[1]. وهناك مخطوطة في المكتبة الوطنية في باريس لمؤلف مجهول الهوية تحت عنوان (كتاب نزه الزمان في حوادث لبنان) يضم ١٤٨ صفحة ضمن ٧٤ جزءاً، لم يذكر غراف أي شيء عن هذا المؤلف تحت اسم الترك، ولكن بروكلمان يضمه تحت اسم المؤرخ ويقول أنه مجهول المؤلف، وتتابع المخطوطة حياة الشهابيين من فترة ما قبل الإسلام ثم تاريخ جبل لبنان من الفترة ما بين ١١٠٩هـ / ١٦٩٧م حتى ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م، وهذا الجزء من المخطوطة يعيد إلى مدى بعيد وفي بعض الأحيان حرفياً،

(١) أنظر: G. Haddad, the historical work.. P. 250

الحوادث الموجودة في كتاب الغرر الحسان في أخبار الزمان، والذي حققه رستم والبستاني، ولكن هناك تباين في الوصف عندما يتعلق الموضوع بحيدر الشهابي، وكذلك بما يرتبط بانسحاب أبو الذهب من دمشق وموقف الأمير يوسف نحو عثمان باشا الكرجي(١).

وعليه فلدينا ثلاث مخطوطات، تغطي نفس الموضوع ونفس الفكرة الزمنية، واحدة مجهولة المؤلف، والأخرى تذكر الأمير حيدر على أنه مؤلفها، وأخرى مضاف إليها اسم الترك ونحن نميل إلى الإعتقاد بأن الناسخين لعبوا بهذا الكتاب بنفس الطريقة التي لعبوا بها بتاريخ نقولا الترك حول الحملة الفرنسية، فأعادوا إنتاج المادة، بتغيير بسيط، أو تلخيص للأصل، أو بوضع أسلوبهم الخاص تحسيناً أو تهشيماً للأصل.

وهكذا نخلص إلى نتيجة بأن من بين الكتب الأربعة التاريخية المنسوبة من قبل الأب لويس شيخو تأكيداً أو احتمالاً إلى نقولا الترك، يوجد مؤلف واحد كتبه الترك بالتأكيد هو تاريخ الحملة الفرنسية على مصر وسورية(٢).

كتاب نقولا الترك حول أحداث الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام:

لقد وجدت عدة مخطوطات لهذا المؤلف التاريخي، منهاما طبع وحقق ونشر، ومنها ما لا يزال على حالته.

آ ـ مخطوطة المكتبة الظاهرية: هي المخطوطة التي سنحققها وسننشرها في هذا المؤلف، وقد وجدت في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت الرقم ٤٧١٧ عنوانها

(١) المتوسع حول هذه الاحداث راجع:
A.K. Rafeq, the Province of Damascus, 1723-1783, Beirut 1966. P. 255-277.

(٢) أنظر: Haddad, the historical work of Niqulo el Turk, op. cit. P. 251.
أنظر أيضاً: أسامة عانوتي، الحركة الأدبية في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر. ص ٢٠٣.

(تاريخ نابليون الأول) بقلم نقولا بن يوسف الترك اللبناني.

تضم هذه المخطوطة ١٦٩ ورقة، معدل أسطر كل صفحة ١٦ سطراً، ومعدل كلمات كل سطر بين ٦ - ٨ كلمات، كتبت بخط واضح لا يخلو من مسحة جمال، وخصصت الورقتان الأخيرتان لقصيدتين نظمهما نقولا الترك، يمدح في الأولى فتح نابليون لمصر ويؤرخ في الثانية مصرع الجنرال كليبر. وفي مقدمة هذه المخطوطة نقص يعادل صفحة كاملة بالقياس إلى بقية المخطوطات التي ظهرت لنفس المؤلف وبنفس الموضوع، وهذا النقص هو عبارة عن افتتاحية الكتاب ويضم بداية أحداث الثورة الفرنسية وظهور المشيخة «على حد تعبير الترك» وتبدأ الأحداث فيها بما يلي «من بعد خسرانهم وذلك بظهور فرد من أفرادهم»، وقد انتهت حوادثها بما يلي: «وقد تمت أخبار الفرنساوية وما حدث من الوقايع في الديار المصرية وكانت إقامتهم ٣٩ شهراً، وكانوا من وقت دخولهم إلى حين خروجهم لم يستكنوا من الحرب والقتل والمنازعة والجدال وقد مات منهم خلق كثير وأهلكوا من الإسلام عالماً لا يرام»، أما تأريخ أحداثها فيبدأ عام ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م، وينتهي في أواخر ربيع الأول لعام ١٢١٦هـ / ١٣ آب ١٨٠١م.

إن أول تقرير مطبوع عن عمل الترك، ظهر عام ١٨٣٨ في باريس، وكان عبارة عن ترجمة فرنسية قصيرة من ٦٩ صفحة قام بها الكسندر كاردان، وطبعها كاردان مع ترجمة لمجلد عبد الرحمن الجبرتي عن الحملة الفرنسية[1].

أما الطبعة الأولى الكاملة لمؤلف الترك فهي النسخة التي حصل عليها المستشرق ديغرانج وحققها وترجمها إلى اللغة الفرنسية، وسوف نجري مقارنة بينها وبين مخطوطة الظاهرية، وهي تحمل العنوان التالي: HISTOIRE DE L'EXPEDITION DES FRANCAIS EN EGYPTE? PAR NAKOULA

(١) A. Cardin, journal d'Abdurrahman Gabarti, suivi par d'expédition des français en Egypte par mouallem Nicolas El-Turk Paris 1838.

EL - TURK, PUBLIEE ET TRADUITE PAR M. DESGRANGES
.AINE, PARIS 1838

ب: وهذه النسخة عبارة عن ٢٢٩ صفحة، وترجمتها إلى الفرنسية تقع في ٢٧١ صفحة وقد وضع لها ديغرانج مقدمة مع شروحات وتعليقات بسيطة حول النص باللغة الفرنسية وترجم ديغرانج إلى الفرنسية قصيدتي الترك، التي أشرنا إليهما سابقاً[١] - يذكر ديغرانج في مقدمته سبب نشره هذا الكتاب بقوله «إن هدفي في نشر تاريخ هذه الحملة على مصر - والتي كتبت من قبل سوري - ليس فقط أن أقدم إلى المستشرقين الشباب الذين يهتمون بدراسة لغة محمد، نصاً سهلاً لا يخلو أسلوبه من الأناقة، ولكن لأنشر بين العرب أنفسهم مجد الفرنسيين»[٢] ويوضح لنا ديغرانج في مقدمته، كيف حصل على نسخته هذه قائلاً «لقد كان لدى ثلاث مخطوطات، واحدة عملت على نقلها من سورية، مستقاة من نسخة قدمها المؤلف ذاته إلى شيخ ماروني من معارفي، وأخرى أعارني إياها المستشرقCaussin de perceval «كوسان دي بيرسفال»، أما الثالثة فتخص المكتبة الملكية، ولقد كانت نسختي والنسخة الثالثة متشابهتين، كأنهما أخذتا من مصدر واحد، أما النسخة الثانية فقد حوت بعض المفارقات لكن لغتها أصح«، [٣] ويبدي ديغرانج إعجابه بالترك قائلاً» إن نقولا الترك، الذي لم يعرف الفرنسية قط، ولم يراجع أي مستند رسمي، نقل إلينا بشكل صحيح الأحداث التي كان شاهداً عليها»[٤]،

اعتماداً على المستشرق ديغرانج، لا مجال للشك في نسبة كتاب الحملة الفرنسية على مصر وسورية إلى الترك، باعتبار ديغرانج قد تعرف شخصياً

---

(١) أنظر ما سبق، ص - ٩

(٢) أنظر كتاب ديغرانج، ص ١

(٣) ديغرانج، المصدر السابق ص ٩

(٤) ديغرانج المصدر السابق ص ٨

مؤلفه كما أنه اعتمد على نسخة مهداة من قبل المؤلف، الترك، ذاته.

هذا وبإجرائنا مقارنة دقيقة بين نسخة ديغرانج وبين المخطوطة التي نحققها، نجد في البدء، أن هناك اختلافاً في العنوان، عند ديغرانج ورد بهذا الشكل «ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية» في حين أن عنوان المخطوطة« تاريخ نابليون الأول»، الواقع أن عنوان المخطوطة في غيرموضعه، والأفضل كما ورد في نسخة ديغرانج، فالموضوع التاريخي يخص تاريخ الحملة وليس تاريخ نابليون ولا يمكننا إجراء مقارنة بالنسبة للمقدمة على اعتبار أنها ساقطة في المخطوطة، وورد في نهاية مقدمة المخطوطة «ذكر ما تم لهم مع زمرة الغز المصرية»، أما في نسخة ديغرانج «ذكر ما تم لهم مع زمرة الغز المصرية والمالك المحمدية من بعد فتوحهم مصر الكنانة»(1)، الواقع أن ما جاء في نسخة ديغرانج، هو الأصح، لأن الصراع لم يحدث بين الفرنسيين والمماليك فقط، بل اشتركت فيه الدولة العثمانية، والشعب المصري والسوري أيضاً.

إلا أن الاختلاف حول الأحداث التاريخية بين النسختين، كان نادراً تقريباً، باستثناء أحداث الثورة الفرنسية التي وردت بشكل مفصل عند ديغرانج، إذ حوت وصية موسعة موجهة من الملك لويس السادس عشر (١٧٧٤- ١٧٩٢) إلى الجمعية العمومية في باريس، قبيل إعدامه، كذلك الأمر بما يخص أحداث إعدام هذا الملك (٢)، وهذا ساقط في المخطوطة، كما أن هناك اختلافاً في تركيب بعض الجمل لا مجال لذكرها هنا لأننا سنذكرها في أثناء تحقيقنا للمخطوطة، وهذا الإختلاف هو من الأخطاء الشائعة التي يرتكبها النسّاخ عادة، كتحويرهم لتركيب الجملة، أو تغييرهم لبعض الكلمات زيادة أو نقصاناً، كما أن هناك اختلافاً في كتابة بعض الأسماء مثلاً في

---

(١) انظر ما يلي - ص - ٦١.
أنظر: ديغرانج، صفحة ٣

(٢) أنظر: ديغرانج، ص ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١

المخطوطة «اللورد كيث ـ جام ستيفينيون»، عند ديغرانج «اللورد كايط ـ جام استونسون»(1)، ونجد عند ديغرانج تصحيح كلمات وردت خطأ في المخطوطة، ربما يكون قد صححها ديغرانج نفسه لأنه يذكر ذلك في مقدمة كتابه(2)، ولكن يبدو أن هذا التصحيح كان نادراً فالأخطاء الإملائية تكرر ذاتها في النسختين.

ج: أما النسخة الثالثة لمؤلف الترك حول أحداث الحملة الفرنسية، فقد وردت كجزء من كتاب «لبنان في عهد الأمراء الشهابيين»، وهو الجزء الثاني والثالث من كتاب «الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان»، للأمير حيدر الشهابي (3) وقد ضمت حوادث هذه الحملة الصفحة/٢١٣ حتى ٣٤٠/ من هذا المؤلف، وأرخت الحوادث هنا حسب السنين، ومقدمته مختلفة عن مخطوطة الظاهرية وعن نسخة ديغرانج وهي «ذكر ما حدث إلى الفرنساوية من الإنشقاق والنفاق والخصام وخروجهم إلى الديار المصرية وما تم لهم بتلك الديار بنوع الإختصار والحمد لله العلي الجبار الذي أراح منهم الديار» (4)، أما المقدمة الموجودة في نسخة ديغرانج وفي المخطوطة والتي تضم الورقة الأولى فهي ساقطة عند الشهابي، إلا أن نهاية الأحداث التاريخية، جاءت ذاتها في النسخ الثلاث، وتبعها كذلك القصيدتان اللتان نظمهما الترك، لكن الشيء المميز لهذه النسخة، هو عدم ورود أي ذكر لنقولا الترك، كمؤلف للكتاب ولكن ورد اسمه كناظم للشعر، وتتابع الأحداث في كتاب الشهابي إلى ما بعد خروج الفرنسيين من مصر، كما يحتوي أحداث حكم الأمير بشير الثاني الشهابي حتى نهاية ذي الحجة لعام ١٢٢٣/هـ ـ ٢٨ شباط ١٨٠٨/.

(1) انظر ما يلي ـ ص ٢٦٧.
أنظر: ديغرانج، صفحة ٢٢١
(2) أنظر: ديغرانج، ص ٧
(3) أنظر حيدر أحمد: شهاب، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، نشره فؤاد افرام البستاني، أسد رستم، مطبوعات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٩، ج ٢ ـ٣
(4) أنظر الشهابي، المصدر السابق، ص ٢١٣

أما أحداث الجزء الذي يخص الحملة الفرنسية فهي مشابهة لأحداث مخطوطتنا، إلا أنها تحتوي وصية لويس السادس عشر وكيفية إعدامه [١]، تماماً كما في نسخة ديغرانج، ونجد أحداثاً ساقطة عند الشهابي مثلاً: أحداث حروب نابليون في أوروبا «ومكث في مدينة رومية، وأتى إلى باريس، وكانت مدة حروبهم في البلاد الافرنجية ستة سنوات وطاعتهم أغلب البلاد المذكورة [٢]، وكذلك بما يخص الفقرة التي تذكر مساعدة الفرسان الذين من أصل فرنسي في مالطة، للفرنسيين عند احتلالها [٣]، وورد عند الشهابي بشكل مختصر، خلافاً لما ورد في المخطوطة، الفقرة التي تتحدث عما جرى الإتفاق عليه بين العلماء المصريين ومراد بيك حول مصير النصارى في القاهرة أثر الفتح الفرنسي للاسكندرية [٤] كما أن الفقرة التي تصف التكتيك الحربي الذي أتبعه مراد بيك وابراهيم بيك لمجابهة الفرنسيين، ساقطة عند الشهابي، وواردة في المخطوطة [٥]، كما أن هناك اختلافاً في الأسماء، وكتابتها، مثل: «استيفو» في المخطوطة، وردت «ستيفور» [٦] مدينة «منوف»، وردت عند الشهابي مدينة «منو»، [٧] الكوميسار «بوسليخ»، في المخطوطة، ورد «الجننار متفركة»، [٨]، كذلك «هرب أمير الحاج محمد كتخدا»، في المخطوطة، لكنها عند الشهابي

---

(١) أنظر: الشهابي، ج ٢ - ٣، صفحة ٢١٠، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩

(٢) أنظر: ما يلي: ص - ٧١

(٣) أنظر: ما يلي: ص ٧١ - ٧٢

(٤) أنظر: الشهابي، ج ٢، ٣، ص ٢٢٥
- ما يلي: ص ٨٨

(٥) أنظر: ما يلي: ص٩١ - ٩٢

(٦) أنظر: ما يلي: ص ١٠٢ - ١٠٣
- الشهابي، ج ٢، ٣، ص ٢٣١

(٧) أنظر: المصدر السابق، ص ٢٩٥
- ما يلي: ص ٢٠٩

(٨) أنظر: ما يلي: ص١٠٣

«هرب أمير الحاج ومحمد كتخدا» [1] هذه الإختلافات هي أخطاء عند الشهابي، والصحيح كما جاءت في المخطوطة فالذي-يسميه الشهابي ستيفور، هو Esteve «استيف»، مدينة منو، هي مدينة منوف المصرية المعروفة، كما أن بوسلنج Poussielgue ليس جنرالاً لكنه كوميسار أي حسب تعبير الترك «من يتعاطى بشؤون الكتابة والحساب»، وأمير الحاج هو نفسه محمد كتخدا. هذه الأخطاء تدلُّ على أن النسخة الأصلية لمؤلف الترك، هي مخطوطة الظاهرية، وإذا لم تكن هي الأصلية، فهي منقولة عن الأصلية، في حين أن التحوير عند الشهابي يدل أنه ليس مؤلف هذا الجزء من كتابه، وهناك حقائق موجودة في المخطوطة مثل «مدينة المنصورة يكون خلوها بعد خمسة عشر يوماً»، وعند الشهابي «خلوها بعد خمسة أيام» [2] والصحيح كما جاء في المخطوطة [3]، إن أغلب الأخطاء النحوية والإملائية غير مصححة عند الشهابي، لا بل أنها تزيد عما هي عليه في المخطوطة، ومع هذا فكل هذه الإختلافات سطحية، فالمادة التاريخية وترتيبها وسردها واحدة في كليهما والتلاعب من عمل النساخ بالتأكيد.

مما لا شك فيه أن الأمير حيدر الشهابي، مدين لنقولا الترك في إعداد هذا الجزء من تاريخه، فالترك المرسل خصيصاً من قبل الأمير بشير، لإعداد تقرير حول الحملة الفرنسية، استطاع أن يجمع باتقان من مادة موضوعه ما لم يكن يستطيع جمعه حيدر الشهابي. لأنه لم يكن شاهداً على الأحداث التي شهدها الترك، ولما كان حيدر مؤرخاً يتشدد على مادة موضوعه، فإن من الطبيعي أن يستعمل مادة الترك الغنية، خاصة حول أحداث هذه الحملة، التي بدت له ذات أهمية فائقة.

---

(١) أنظر: ما يلي ص ـ١٠٣

(٢) أنظر: ما يلي: ص ـ ١٤١.

- حيدر الشهابي، لبنان، ج ٢ ص ٢٨٩.

(٣) عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والاخبار، بولاق ١٢٩٧هـ ج ١٣ ص ٨٦.

د: النسخة الرابعة حول أحداث الحملة الفرنسية للترك، هي تلك التي حققها ونشرها المستشرق «Gaston Wiet»، غاستون ڤييت، يقول ڤييت في مقدمة كتابه «في عام ١٩٤٨ حصلت المكتبة الخاصة للملك فاروق الأول، على نسخة جاءت غفلاً من العنوان، ومن اسم كاتبها وهي تتعلق بالحملة الفرنسية على مصر وسورية» (١)- حقق هذا المستشرق النسخة، في عام ١٩٥٠، ونشرها وترجمها إلى الفرنسية، وأعطاها العنوان التالي «تاريخ مصر ١٧٩٨- ١٨٠٤، مذكرات نقولا الترك»، تشمل هذه النسخة ٢٥٩ صفحة، وهي تختلف عن نسخة ديغرانج ومخطوطة الظاهرية، في أنها تذهب إلى ما وراء نهاية الحملة الفرنسية عام ١٨٠١، لتضم الفترة القلقة التي شهدت ظهور محمد علي باشا على مسرح السياسة في مصر. ومن بين الـ ٢١٨ صفحة المطبوعة بالعربية، نجد فقط ١١٤ صفحة تتعلق بالحملة ذاتها، يقول ڤييت «لقد استطعت التحقق على ضوء ترجمة كاردان من أن الكتاب هو عبارة عن تاريخ نقولا الترك أو على الأقل إحدى روايتيه، حيث أن الرواية الأخرى نشرت وترجمت بمعرفة ديغرانج» (٢) وقد تلقت نسخة ڤييت من محققها معاملة علمية أكثر من نسخة ديغرانج، فالترجمة الفرنسية للنص معلق عليها بشكل جيد بالرجوع لأوثق المؤلفات حول هذه الحملة، وبداية عصر محمد علي، والنسخة تحتوي فهرس من ٢٦ صفحة، لتفسير بعض الكلمات العربية المستجدة (تركية، فارسية، إيطالية، اسبانية، فرنسية) التي وردت في متن النسخة (٣).

بإجرائنا مقارنة بين نسخة فييت، ومخطوطة الظاهرة، نجد أن الفروق واضحة وكبيرة، ليس فقط في طريقة ترتيب المتن، . ولكن في المادة التاريخية

---

(١) Nicolas ture, Chronique d'Egypte 1798-1804. Editée et traduite par Gastonwiet, (le caire 1950)

وسنشير إلى هذا المصدر إختصار بنسخة ڤييت

(٢) أنظر: نسخة ڤيت ص ١.

(٣) أنظر: نسخة ڤييت، صفحة ٢٨٩ - ٣١٤.

ذاتها، كما نجد تباعداً في الأسلوب والتعبير، مع وجود تقارب في كل هذه الإختلافات، ورغم أن التفاصيل المتعلقة بالحملة، أكثر في المخطوطة منها في نسخة ڤييت إلا أننا نجد في نسخة ڤييت موضوعات وتفاصيل لا تذكرها المخطوطة، ولا نسخة ديغرانج، ولا كتاب حيدر الشهابي. تبدأ أحداث نسخة ڤييت، بالثورة الفرنسية، وقتل الملك، وظهور نابليون تماماً كما في نسخة الظاهرية، ونلاحظ عند ڤييت دقة في ذكر التواريخ مثلاً، حدد، تاريخ وصول الأسطول الإنكليزي أمام الاسكندرية في ١٣ شهر محرم الحرام افتتاح سنة ١٢١٣هـ [١]، وأوردت النسخة معلومات عن طائفة الافرنج والقناصل في مصر آنذاك، وذكرت أسماء بعض التجار الأجانب في القاهرة [٢]، كما نجد أن تعيين نابليون لقواده، وتوزيعهم على الأقاليم المصرية، مختلف في هذه النسخة عنه في المخطوطة [٣]، والأصح كما ورد في النسخة، لكن إيراد أسماء الجنرالات والقواد الفرنسيين أكثر صحة في المخطوطة عنه في النسخة أما بشأن الديوان الثاني الذي أقامه نابليون في القاهرة فقد ورد اسمه في نسخة ڤييت، «محكمة المتجر»، وفي المخطوطة «ديوان البحر»، والأصح ديوان المتجر [٤] وتذكر نسخة ڤييت مخالفة «الاميرال بيري» أميرال الأسطول الفرنسي لأوامر نابليون، في حين تتحدث المخطوطة عن رسول مرسل من قبل نابليون إلى هذا الأميرال، لم يستطع الوصول لتبليغ أوامر القائد العام، [٥] ولكن لم تذكر المصادر قصة الرسول هذه في حين أن بعض المصادر تذكر مخالفة هذا الأميرال لأوامر نابليون مما سبب كارثة أبو قير البحرية، وهناك ملاحظة وردت فقط في نسخة ڤييت ولم ترد في أية نسخة أخرى، وهي «محاولة السلطان لويس الفرنساوي الإستيلاء

(١) أنظر: نسخة ڤييت، صفحة ٧.
(٢) أنظر: نسخة ڤييت، صفحة ١٣.
(٣) أنظر: نسخة ڤييت، صفحة ١٧، ماسيلي ص -١٠١ - ١٠٢
(٤) أنظر: نسخة ڤييت، صفحة ١٧. ماسيلي ص -٩٨ - ٩٩
(٥) انظر: نسخة ڤييت، صفحه ١٩. ماسيلي ص -١١١

على المنصورة وفشله»[1]، وأوردت نسخة ڤييت حادثة موت ترجمان نابليون العالم المستشرق«Venture»، ڤانتوري، أثناء حصار عكا في حين لم يرد هذا في باقي النسخ [2]

وهكذا، لا يمكننا إجراء مقارنة دقيقة بين نسخة ڤييت والمخطوطة، نظراً للإختلاف الكبير بين المتنين، وربما كانت نسخة ڤييت عبارة عن مدونات بدائية كتبها الترك قبل أن ينظم كتابه التاريخي، هذا إذا كان الترك مؤلف هذه النسخة، فالنص فيها يبدو أكثر حداثة منه في المخطوطة، رغم أن اللغة ليست أكثر صحة من الناحية الصرفية، كما أن نسخة ڤييت تتبع أحياناً أسلوب السجع المتبع بصورة دقيقة في المخطوطة وفي باقي النسخ، ولكن الترك يهمل السجع أحياناً، وعليه فالتلاعب هنا أعمق من تلاعب النسّاخ عادة، وربما يكون أحدهم قد اعتمد مادة الترك وأضاف إليها مادة جديدة، ولكن مما لا شك فيه أن الرواية التي تدور حول الحملة الفرنسية مأخوذة عن الترك مع العديد من الإضافات.

هـ ـ أما النسخة الأخيرة المعروفة حتى الآن حول أحداث الحملة الفرنسية على مصر وسورية والمنسوبة إلى نقولا الترك، فهي المخطوطة الموجودة في مكتبة عيسى اسكندر المعلوف اللبناني، والتي تحمل العنوان التالي «ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية تأليف المعلم نقولا الترك» [3] هذه النسخة تقع في ٣١٢ ورقة بقطع الربع، طول صفحاتها ٢٢ سم وعرضها ١٥ سم والكتابة في كل صفحة ٢١ سطراً، معدل السطر عشرة كلمات، وتمتد أحداثها إلى ما بعد الحملة الفرنسية حتى عام ١٨١٥؛ أي أنها أوسع من نسخة

(١) أنظر: نسخة ڤييت، صفحة ٢٤.

(٢) أنظر: نسخة ڤييت، صفحة ٤٥.

(٣) أنظر: عيسى اسكندر المعلوف، تواريخ الامبراطور نابليون بونابرت باللغة العربية ولا سيما تاريخ نقولا الترك اللبناني منها، المشرق، مجلد ٢٩، ١٩٣١ ص ٢٨٤.

هذه المخطوطة، نسخت عام ١٨٢٩، حيث جاء في نهايتها «وقد تم نساخة هذا الكتاب يوم الخميس في ١١ نيسان، وذلك بيد كاتبه العبد الحقير الذليل الخاطىء أقل عباد الله يوسف رباحية الحمصي وذلك في قرية زحلة العامرة سنة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٩»(١)

إن مقدمة مخطوطة المعلوف تختلف عن مقدمة نسخة ديغرانج، ومخطوطة الظاهرية وتبدأ بما يلي «حق لنا أن نؤرخ في هذا الكتاب لإنتفاع الطلاب بما يحدث من التغير والإنقلاب، بما أجرته يد الأقدار، في هذه الأمصار، وبما أذنت به العناية الإلهية بظهور المشيخة الفرنساوية، وما تكون بسببها من الفتن في البلاد الافرنجية، وديار الرومية وقتل سلطانهم وخراب بلادهم وانتشار شأنهم وربحهم من بعد خسرانهم. . .»(٢) ثم تتابع الأحداث حرفياً على نحو ما جاء في مخطوطة الظاهرية فتعطي هذه النسخة لمحة مختصرة عن نابليون، ثم تدخل في موضوع المشيخة الفرنسية، ثم عن حروب نابليون، لكن أحداث مخطوطة الظاهرية تشمل فقط ١٦٣ ورقة من مخطوطة المعلوف وتنتهي أحداث الحملة الفرنسية في الورقة ١٦٣ بهذه العبارة «وكان مدة حصار الاسكندرية ستون يوماً، وكان منتها خروجهم في آخر شهر ربيع الثاني سنة ١٢١٦، وحضرة البشائر إلى الصدر الأعظم بمدينة مصر فأمر بفرحاً عظيماً، وشنكاً الحمد لله على تأييد وانتصار المسلمين نصر من الله وفتح مبين» (٣)، وفي مخطوطة المعلوف زيادة تقع بين المقدمة وأول تاريخ الأحداث وهذه الزيادة هي لمحة عن سيرة نابليون، تقع في الورقة ١١ من مخطوطة المعلوف، كما أن

(١) أنظر: المعلوف م.ن. ص ٢٨٥..

(٢) أنظر: المصدر السابق. ص ٢٨٦

(٣) انظر: المصدر السابق ص ٢٨٨.

هناك اختلافاً فى تواقيع أعضاء الديوان الخصوصي في مصر [1]، وفي مخطوطة المعلوف زيادة لا نجدها في مخطوطة الظاهرية، تمتد من الورقة ٩٠- ١٠٤ من مخطوطة المعلوف أي ما يعادل في مخطوطة الظاهرية من الورقة ٩١- ب حتى ٩٣- آفمخطوطة المعلوف تذكر تماماً بعد نهاية التواقيع على المحكمة التي أدانت عثمان خواجة، تذكر فرماناً طبع ووزع على الأقاليم المصرية، [2] كما يوجد اختلافاً في إيراد الأسماء والأشهر بين النسختين [3].

ولقد اعتقد المعلوف أن نسخته هذه التي تحتوي تفاصيل أكثر مما وجد في نسخة ديغرانج، هي الأكثر كمالاً، لكنه أخطأ لأن أحداث الحملة الفرنسية التي تنتهي عام ١٨٠١ هي فقط المعنية في التاريخ الذي كتبه نقولا الترك، وإذا ما عدنا إلى المقولة التي قالها الأب شيخو عما يسمى «تاريخ الأمبراطور نابليون الأول»[4]، فمن أين حصل شيخو على معلوماته حول مخطوطة ذات ٤٥٠ صفحة والتي تنتهي بوفاة نابليون الأول وليس في أي مرجع أية إشارة إليها حتى الآن، فمخطوطة المعلوف والتي هي أكبر النسخ لا تتابع أحداثها إلى هذا التاريخ ولا تقع في ٤٥٠ صفحة، كذلك فإن نسخة ڤييت التي تتجاوز أحداث الحملة ولكنها لا تصل إلى التاريخ الذي يذكره الأب شيخو.

ومن الجدير بالملاحظة، أنَّه لا كاردان، ولا ديغرانج/ اللذان كانا معاصرين للترك/ ذكرا أي تاريخ للترك سوى تاريخ حملته على مصر وبلاد الشام.

---

(١) أنظر المعلوف: المصدر السابق، ص ٢٩٠.

(٢) أنظر: المصدر السابق، ص ٢٩٠.

(٣) أنظر: المصدر السابق، ص ٢٩١.

(٤) أنظر: الاب لويس شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر ج ١، ص ١٩.

خصائص مخطوطة المكتبة الظاهرية:

هذا المؤلف التاريخي، الذي كتبه نقولا الترك، يتبع نظاماً تأريخياً يستعمل بمعظمه التأريخ الهجري، ونادراً ما يوافقه مع التأريخ الميلادي. ولقد جاء كتاب الترك هذا، خالياً من النقد والتحليل الذي - يرافقُ عادة - الحوليات الحديثة عن الحوادث التاريخية، والذي يجعل قراءة النص التاريخي هامة ومفيدة. وذلك لأن طريقة النقد هذه كانت لا تزال مجهولة عند مؤرخينا العرب، وكتاباتهم في هذا المجال عبارة عن أحداث متتابعة خالية من كل بحث عن أسباب الأحداث وعلاقتها ببعضها ونتائجها. لكن بالرغم من كون رواية الترك هذه، تهبط عن الأساليب التاريخية الحديثة للدراسة التمحيصية للأحداث، فإننا نجد فيها بعض الانعكاسات القيمة المفيدة، وبعض المحاولات لشرح الحوادث، وإعطاء تقييات لشخصيات الحدث التاريخي، فهو مثلاً يذكر ملاحظة هامة تتعلق بإهمال المماليك تحصين الإسكندرية، وذلك بسبب عدم حدوث أي هجوم على مصر من زمن بعيد، من جهة البحر[1]، والترك يشرح بشكل تام أسباب ثورة القاهرة الأولى (تشرين الأول ١٧٩٨)، محدداً بدقة عوامل كره الشعب المصري للفرنسيين المحتلين، وهي: مقتل محمد كريم، بيانات أحمد باشا الجزار والمماليك الهاربين إلى بلاد الشام والتي تحثُّ المصريين على الثورة، محاصرة الإنكليز للشواطئ المصرية بعد انتصارهم في أبو قير، عدم وصول ممثل عن السلطان العثماني إلى مصر كما وعدهم نابليون، هدم الجوامع والمقابر لتوسيع الطرقات، عادات الفرنسيين التي يحرمها الدين الإسلامي، «سفور النساء وشرب الخمر»، هذا ولا يتعرض الترك لمشكلة الضرائب والرسوم التي فرضها النظام الجديد على الشعب، بل يعتبر السبب الأساسي لهذه الثورة هو الحقد القديم الكامن في نفوس الشعب المسلم في القاهرة ضد الكفار[2]، وأعطانا الترك لمحة حول ردة فعل الشعب المصري تجاه

---

(١) أنظر: ماسيلي ص ٧٥ ـ ٧٦

(٢) أنظر: ماسيلي ص ١١٣

سياسة الفرنسيين، فشجرة الحرية التي أقامها الفرنسيون في مصر بمناسبة الذكرى السنوية للثورة الفرنسية، يقول الترك «اعتبرها المصريون خازوقاً يمثل استعبادهم»(١)، ولم يخف الترك شكوكه بحقيقة إيمان الفرنسيين بالدين الإسلامي، واعتبرها نوعاً من الاحتيال السياسي، «وقد استعملت احتيالات كثيرة كإشهارهم الإسلامية ونكرانهم النصرانية»(٢)، كما فهم الترك أسباب انسحاب نابليون من أمام أسوار عكا: «الوضع الدولي السيئ، وصول الأسطول العثماني، محاصرة الإنكليز لجزيرة كورفو والشواطئ السورية، تقاعس جيشه عن القتال، مرض الطاعون»(٣)، كذلك ذكر الترك حزن المصريين من مشايخ وعامة، أثر اندحار الأسطول التركي في معركة أبو قير الثانية، في تموز ١٧٩٩(٤)، وقدم الترك معلومات قيمة عن وضع المماليك في مصر، قبل متابعته لفترة ما قبل الجلاء الفرنسي، وذكر خلافات القادة الفرنسيين وانشقاقهم إلى حزبين زمن حكم الجنرال منو، واعتبر منو مسؤولاً عن هذا الانشقاق(٥)، وللترك ملاحظة قيمة حول نظرة المماليك للعرب، إذ يذكر أن الوزير الأعظم يوسف باشا عيَّن محمد باشا أبو مرق من أبناء العرب والياً على مصر، ومن المعروف أن هذه الظاهرة أصبحت مألوفة منذ القرن الثامن عشر، يقول الترك إن هذا التعيين أغضب المماليك، «لأنه من المعلوم أن أبناء العرب عند ابن الترك مقاماتهم مخفوضة وراياتهم مكسورة»(٦)، كما تعرض الترك لشعور الحذر والخوف الذي يكنه المماليك للعثمانيين حتى في هذه الفترة التي يواجهون بها عدواً واحداً»(٧)، ومن حسنات الترك أنه صور بعض الشرقيين الذين خدموا في

---

(١) أنظر: ماسيلي ص ١٣٠ - ١٣١
(٢) أنظر: ماسيلي ص ١١٠ - ١١١
(٣) أنظر: ماسيلي ص ١٦٤ - ١٦٥
(٤) أنظر: ماسيلي ص ١٨٢
(٥) أنظر: ماسيلي ص ١٣٦ - ١٣٧
(٦) أنظر: ماسيلي ص ٢٧٢
(٧) أنظر: ماسيلي ص ٢٥١

سلك الجيش الفرنسي كقواد، أو كمترجمين بصورة مكنت من معرفة هويتهم، وذكر بخاصة شخصاً يدعى بترو سافرلي، الذي لم يعرف في مصادر أخرى(١)، ونلاحظ عند الترك دقة في رسم أبطال روايته، فقد أجاد في رسم صورة نابليون، وأبرز أهمية شخصيته وفرديتها، وكذلك الأمر بالنسبة للجنرال كليبر، مراد بيك، والوزير الأعظم التركي.

ونقولا الترك الذي لم يكن مؤرخاً محترفاً، ولم يراجع أية وثائق رسمية، ولم يطلع بشكل جدي على الأحداث الخارجة عن محيطه، في زمن لم تعشب فيه المدرسة التاريخية، حوى كتابه التاريخي أخطاء بعضها مرتبط بأحداث غير هامة، لن نقيّم لها كبير وزن مثل: عدد جنود الحملة، عدد القتلى والمصابين في المعارك، عدد السجناء والأسرى، وعدد أفراد الحاميات الفرنسية في المناطق المختلفة، وكذلك عدم دقته في نسبة النجاح في المعارك إلى أبطالها الحقيقيين، ويبدو الترك في كثير من الأحيان، وكأنه صدى للإشاعات السارية في القاهرة آنذاك، كما أن وصفه للإحداث الرئيسة لعام ١٧٦٣ في فرنسا، كان بسيطاً وساذجاً فقد ترجم وقائع الثورة الفرنسية بتصور ملحمي جاء أشبه بقصة بعيدة عن الحقيقة(٢)، وارتكب الترك نفس الخطأ بما يتعلق برحيل نابليون عن مصر وحيلته على الأميرال سدني سميث(٣)، كذلك اعتبر انقلاب ١٨ برومير وكأنه مظاهرة بسيطة(٤)، كما عرض الترك علاقة نابليون مع قيصر روسيا بول الأول بشكل فطري ساذج. ولكننا لن نقيّم الترك بالنسبة لإخطائه التي ارتكبها، في وصفه أحداثاً لم يكن شاهداً عليها، ولا هي مرتبطة بعمق بموضوعه الأساسي الذي يكتب عنه، وبالمقابل لن نتهاون بشأن أخطاء أخرى

---

(١) G. GUEMARD, histoire et bibliographie critique de la commission des sciences et arts et de l'institut d'Egypte, le caire 1936, P. 112

(٢) أنظر: ماسلي ص - ٦٥ - ٦٩

(٣) أنظر: ماسيلي ص - ١٨٧

(٤١) أنظر: ماسيلي ص - ٢٤٥

هامة ارتكبها الترك، مثل إهماله البارز لأحداث متعلقة بموضوع روايته والتي تدل على نقص في حسه التاريخي والسياسي، فالترك لم يصف انفعالات الشعب المصري بعمق، كما أهمل كل ما يتعلق بالحالة الاقتصادية للبلاد في تلك الفترة: حالة الأسواق، وضع الحرف، فرض الضرائب والرسوم، الأسعار، الحركة التجارية الداخلية والخارجية، كما لم يصف رحلة نابليون إلى السويس، على أهميتها. جاءت رواية الترك في الواقع، تأريخاً للعمليات العسكرية التي قام بها الجيش الفرنسي، ولبيانات نابليون المتعددة إلى الشعب المصري، كما أن وصف الترك للحملة الفرنسية على بلاد الشام عام ١٧٩٩ كان مأخوذاً أكثره من بيانات نابليون إلى ديوان القاهرة ليس إلّا، فمذبحة يافا، التي اعتبرها، جميع المؤرخين، شرقيين وغربيين، وصمة عار في جبين نابليون، بررها الترك كما بررها مرتكبها فيما بعد في «جزيرة القديسة هيلانة»، ولا ندري إن كان هذا الإهمال عمداً أم جهلاً. ومما يلفت النظر في كتاب الترك، أن الترك، شاعر بلاط الأمير بشير الثاني الشهابي، ومبعوثه الخاص لتأريخ الحملة، لم يتعرض لأي ذكر حول علاقة هذا الأمير بنابليون بونابرت، ولا لرسائل نابليون لهذا الأمير، ولا لأسباب الموقف الحيادي الذي وقفه الأمير بشير من الجيش الفرنسي بعد دخوله سورية كما لم يتعرض الترك لتأثير الحملة على الإسرة الشهابية، وعلى سياسة وحياة الدروز في جبل لبنان أثناء مجيءُ الجيش الفرنسي إلى سورية، واكتفى الترك بذكر خضوع أولاد ظاهر العمر لنابليون(١)، ومساعدة أهل الناصرة لفرقة كليبر في معركة مرج بن عامر(٢)، أما بالنسبة للعلماء الفرنسيين الذين رافقوا هذه الحملة، والذين يدين لهم العالم بكتاب (وصف مصر) وباكتشافهم حضارة مصر القديمة، فلم يستطع الترك أن يقدرهم حقَّ قدرهم وأهمل كل ذكر لإنتاجهم العلمي، ونظرة الشعب المصري إليهم، ولم يلفت

---

(١) أنظر: ماسيلي ص ـ ١٥٦
(٢) أنظر: ماسيلي ص ـ ١٥٩

نظره إلّا سكناهم في قصور المماليك الفارين، وقد ذكر الترك اسم الجنرال كافاريلي دون غيره.

موضوعية نقولا الترك في كتابه التاريخي

هل كان الترك موضوعياً؟ لقد وصف الترك من قبل الكتاب والمؤرخين الفرنسيين، بأنه كان ميّالاً للجيش الفرنسي، يقول جبريل غيمار: «إن كاتم سر الأمير بشير أو بالأحرى جاسوسه صاحب الشعر الغنائي في مدح بونابرت: كان ككثير من أهل المشرق في ذلك الوقت يميل للفرنسيين»[1] ويقول غاستون ڤييت «إن قصيدة الترك التي أملتها الظروف، Piece de Circonstance توحي بميل نقولا الترك إلى محاباة الفرنسيين»[2]، هذا الانطباع العام، ولَدَّه بشكل حتمي قصائد نقولا الترك التي كتبها على شرف فتح نابليون للقاهرة، وفي رثاء الجنرال كليبر، وقد طبع شعره وترجم إلى الفرنسية مراراً[3]، أما في مجال رواية الترك التاريخية، فنجده قد امتدح في أكثر الأحيان شجاعة الفرنسيين، وتغنى ببطولاتهم، وتنظيمهم العسكري، وتماسك جيشهم وطاعة الجند لقادتهم، وشرح الترك بإسهاب إدارة الفرنسيين، وحسن تنظيماتهم، وإحلالهم الأمان في كل مكان في مصر[4] كما لم يخف الترك إعجابه بحسن سياسة الفرنسيين، ويصفها «بالمداراة والصبر»، بل ذهب أكثر من ذلك فقد اعتبر الترك الفرنسيين من أفضل أجناس البشر، بسلوكهم الحكيم، وطيبة قلوبهم، وحسن أحكامهم، وقوانينهم الصالحة[5]، ولكن هل نسمي هذا تحيزاً من قبل الترك؟

---

(١) أنظر: G. Guemard, Histoire et bibliographie, P. 111 -112

(٢) راجع: ڤييت، ص ٧.

(٣) لقد طبع السيد مارسيل (المدير القديم للمطبعة الملكية في فرنسا) قصائد الترك هذه على حجر، كما كتبها ناظمها، وقد ترجمها أيضاً إلى الفرنسية. إنظر: ديغرانج، ص ٨ كما ترجم المستشرق ديغرانج قصائد الترك هذه إلى الفرنسية راجع كتابه ص ٢٨١ ـ ٢٨٣

(٤) أنظر ماسيلي ص ـ ١١٠ ـ ١١١

(٥) أنظر ماسيلي ص ـ ١١١

فالترك كشرقي عاش ضمن مجتمع ريفي شبه مغلق، في عصر اتصف به الشرق بالانحطاط في كل جانب من جوانب الحياة، لم يستطع أن يخفي إعجابه بالحضارة الغربية، وهو الذي وجد نفسه وجهاً لوجه أمام العتاد الحربي الحديث، والتنظيم والقوانين الصالحة لإنشاء مجتمع صالح، ولذلك علينا ألّا نفسر إعجابه بالفرنسيين، بالتحيز واللاموضوعية فالترك امتدح أبطال روايته تبعاً لمحاسنهم، وأبدى إعجابه بالبطولة أينما كانت، ففي معركة الأهرامات، تموز ١٧٩٨، امتدح الترك الجنرال دبوي (Dupuy)، بالقدر الذي امتدح فيه بطولة أيوب بيك الدفتردار[1]، كما لم ينظر الترك إلى المماليك، نظرة أهالي الشام الذين وصفوهم بالجبن والهروب وتسليمهم البلاد إلى الكفار، بل اعتبر أنهم جابهوا أعداءهم ودافعوا بشجاعة عن بلادهم[2]، وبالقدر الذي امتدح فيه الترك نابليون وكليبر، امتدح أيضاً الوزير الأعظم التركي، يوسف باشا المعدني، واصفاً إياه بالعدل والترفع عن الانتقام من النصارى واليهود كما كان يريده أن يفعل مسلمو القاهرة[3] ونظم الترك شعراً على شرف استعادة هذا الوزير لأرض الكنانة[4]. ÷

رغم كون نقولا الترك مسيحياً كاثوليكياً يونانياً، فقد انتقد الفرنسيين المسيحيين، وعاداتهم، كعادة شرب الخمر بقوله «الأشياء التي لا ترضي رب السموات» كما لم تعجبه إجراءات الجنرال منو المالية، وفرضه المال على التجار[5]، وكثيراً ما يذكر الترك الفرنسيين ككفار، ولم يهمل نقولا الترك وصف سعادة الشعب وغبطته بجلاء الأفرنج الحقيرين»، وأعطى الترك تقييماً عادلاً للجزار، رغم أنه قتل أخاه[6].

---

(١) أنظر: ما يلي - ص ٩٢

(٢) أنظر: ما يلي - ص ١١٤

(٣) أنظر: ما يلي - ص ٢٧١

(٤) أنظر: ما يلي ص ٢٧١

(٥) أنظر: ما يلي - ص ٢٤٤

(٦) أنظر: G. GUEMARD, histoire et bibliographie P. 112

إن تاريخ الترك قيم، لا لكونه تسجيلاً تاريخياً لشاهد عيان، حوى ثروة من التفاصيل المدعّمة بملاحظات قيّمة فحسب، بل لأنه أيضاً، سجل لغوي وأدبي، بأسلوبه الأنيق، المعتمد على السجع المنغّم، وعلى البديع في مديح أبطال روايته، وبصوره الناطقة المبدعة، وبالمبالغة اللغـوية، أثنـاء وصفه المعارك، الحوادث، والأشخاص. ورغم أخطاء الترك اللغويـة والنحويـة والإملائية، واستعماله تعابير مستحدثة في اللغة العربية، وكلمات عامية شائعة مثل: بوغاظ، غلايط، شنكا، فيسالا، البنادر... ألخ، رغم هذا، فقد أطلعنا الترك في روايته التاريخية، على أسلوب عصره ومفرداته، وعلى مستوى الأدب آنذاك، بجماله وأخطائه، ذلك العصر الذي يُعتبر امتـداداً لعصر الانحطاط في الأدب العربي، والذي عُوض فيه عن الفكر، بالإكثار من الألعاب اللغوية، من سجع وبديع ومبالغة، لإظهار مقدرة الكاتب الأدبية وقد مثل الترك بكتابه التاريخي هذا، عصره أفضل تمثيل.

الفصل الثاني

الحركة التأريخية والمؤرخون في عصر نقولا الترك

ـ لمحة عن الحركة التأريخية في جبل لبنان:

ازدهرت حركة التأليف التاريخي في جبل لبنان في السنوات الثلاثمائة الأخيرة ازدهاراً لم يحظَ بمثله اي قطر آخر في المشرق العربي. وكان لهذا الازدهار أسبابه السياسية والدينية:

فقد تمتع جبل لبنان في ظل السلطنة العثمانية وإبان عهد الامارتين المعنية والشهابية بوضع سياسي متميز دفع بعجلة التطور الاجتماعي والثقافي إلى الأمام أسرع مما كان سواه في مناطق الشرق الأوسط حيث خيم فيه مناخ «من الحرية الفكرية شجع الانفتاح على العالم الخارجي»(١). وتأثر سكانه من الموارنة ببعض نواحي الفكر الاوروبي منذ القرن السادس عشر بسبب اتصالهم بالنشاط التبشيري الواسع الذي حققته الكنيسة الكاثوليكية في سورية عن طريق الارساليات التبشيرية الفرنسكان أولاً ثم اليسوعيين، وتطور هذا التأثر تدريجياً عندما شرعت الكنيسة المارونية باعادة تنظيم ذاتها في خطوط أكثر قبولاً بالنسبة للمفهوم اللاتيني من حيث المبدأ والحياة الدينية وبلغ أوجه بعدما عقد الموارنة اتفاقية كنسية (كونكوردا)، مع روما عام ١٧٣٦، بموجبها أقاموا علاقات منظمة

---

(١) K.S. Salibi, "the traditional historiography of the Maronites" in, the Historians of the Middle East, ed by B. Lewis and M. Halt, London, Oxford press (1962). P. 226.

مع الكنيسة الكاثوليكية الأم ضمنت لهم سلطة كهنوتية واستقلالاً كنسياً مع اعترافهم بسلطة البابا(١).

كان الوجه الثقافي لهذا الإتصال هاماً جداً وذلك منذ أن تأسس في قلب الكنيسة الكاثوليكية المعهد الماروني عام ١٥٨٤ والذي انتسب إليه تلامذة اللاهوت وأصبح بعضهم علماء ذوي شهرة(٢). وبفضل هذا نشأت منذ أواخر القرن السابع عشر شبكة من المدارس في اديرة الجبل انطلقت منها الحركة الثقافية في جبل لبنان(٣).

ومع الزمن برز اكليروس ماروني مثقف وَعى عالم أوروبا الجديد لابل عدّ نفسه جزءاً منه وكانت الثقافة الغربية التي اقتبسها هؤلاء الكهنة ثقافة لاهوتية ولم تسترع اهتمامهم آداب أوروبا إلاّ أن اهتمامهم باللغة العربية أحدث تأثيراً عميقاً في حياتهم الفكرية فأدى ذلك قبل كل شيء إلى إثارة وعيهم التاريخي مما دفع بعضهم إلى دراسة تاريخ الكنائس الشرقية بالإضافة إلى آثار العرب(٤) وهكذا كان غالبية المؤرخين اللبنانيين في بدء هذه الحراسة من الكهنة الموارنة(٥) الذين تثقفوا في المدارس اللاهوتية في روما وانحصر اهتمامهم بالمؤسسات الدينية التي ينتمون إليها وبالدفاع عن صلاحيات كنيستهم وكذلك عن وجودهم السياسي في مواجهة الحكام المسلمين من حول جبل لبنان. هذان الخطان الفكريان الديني والسياسي شرحهما البطريرك اسطفان الدويهي (١٦٣٠-١٧٠٤) في كتابه تاريخ الأزمنة (١٠٩٥-١٦٩٩)(٦).

(١) Hourani "Historians of Lebanon" in the Historians... Ibid, P. 226-228.

(٢) John. P.Spagnolo, France and Ottoman, Lebanon (1961-1914) London (1977) P. 5-9.

(٣) راجع: Salibi and Hourani in «Historians... Ibid», P. 222-230.

(٤) راجع مقال: Hourani "Historians of Lebanon".. P. 227-228.

(٥) أنظر حول أسماء المؤلفين الموارنة في تلك الحقبة وعناوين مؤلفاتهم: راجع.
G. Graf, Geschichte. der christhichen arabichen literatur, I, III, p. 361-470.

(٦) اسطفان الدويهي، تاريخ الازمنة، نشره الاب فرديناد توتل، مجلة المشرق مجلد ٤٤ (١٩٥٠)

يعتبر الدويهي أعظم المؤرخين الاكليريكيين الموارنة في القرن السابع عشر فقد أصبحت كتاباته قدوة للمؤرخين اللاحقين ومهدت الطريق لبحث علمي معتمد على المصادر موازن لقيمتها التاريخية والعلمية كما أن الدويهي خرج من قوقعة تاريخ انحصر سابقاً في موضوع الكنيسة المارونية ليكتب تاريخه العام عن الكنيسة المارونية وبطاركتها وكذلك عن تاريخ جبل لبنان وعلاقته بحكام المناطق المجاورة زمن المماليك والعثمانيين. وفي جزئه الأخير كان الكتاب تأريخاً لنشوء لبنان كوحدة جغرافية وترعرع حكمه الذاتي ووحدته.

وتمخضت التطورات السياسية في القرنين السابع عشر والثامن عشر عن تغيرات في نوعية الحركة التأريخية في جبل لبنان، فالدويهي عندما كتب التاريخ المحلي للبنان رَكَزَ بشكلٍ أساسي على لبنان الشمالي وبالأخص على تلك الحقبة التي لم يكن خلالها شمال لبنان وجنوبه متحدين سياسياً، وفي أوائل القرن السابع توحد الجبل على يد الأمير فخر الدين المعني الثاني (١٥٩٠-١٦٣٥)، أمير إحدى أكبر العائلات الدرزية في جبل لبنان.[1]

وظل لبنان منذ ذلك التاريخ، امارة وراثية أنتقلت من المعنيين إلى الشهابيين السنة منذ عام ١٦٩٧ حتى عام ١٨٤١ ورَغم أن أمير جبل لبنان كان يتلقى سلطته من الحكام العثمانيين في صيدا ودمشق، إلّا أنه تمتع باستقلال مركزي منحه حكم مجمتع اقطاعي. ضم عائلات درزية ومارونية، وكان على هذا الأمير أن يكافح لتدعيم سلطته سواء في الداخل ضد المشايخ الاقطاعيين، أم في الخارج ضد الحكام العثمانيين . وبتأثير النفوذ الأوروبي في الشرق عامة وفي لبنان خاصة في نهاية القرن الثامن عشر، حصل تفوق فكري مسيحي رافقه

(١) حول حكم الامير فخر الدين راجع:

Adel Ismail, Histoire du Liban du XVII^e siècle à nos jours, Vol. I, le Liban au temps de Fakhr-Eddin II, (1590-1633) Paris 1955.

أنظر أيضاً: أحمد الخالدي الصفدي تاريخ الامير فخر الدين، نشره أسد رستم وفؤاد افرام البستاني، بيروت ١٩٣٦.

تطور ديمغرافي لصالح المسيحيين، خاصة بعد معركة عَين داره (١٧١١)[١]، التي سببت ضعف الدروز وأنقسامهم، مما حدى بالشهابيين للتحول إلى المذهب الماروني.

هذه التطورات السياسية التي جرت في جبل لبنان، سبب ظهور طبقة جديدة، مثقفة، انخرطت في البناء السياسي الجديد، وكانت قادرة على كتابة تاريخها، أساسها عائلات من العلماء والكتاب، معظمهم علمانيون، تثقفوا في المدارس التبشيرية، وفي الاديرة، وتعلموا العربية على يد علماء مسلمين. وفي أواخر القرن الثامن عشر، بدأت هذه الفئة من المثقفين، تنتج تاريخاً جديداً نحى عن منحاهُ الديني وأصبح عقلانياً[٢].

أهتم هؤلاء المؤرخون، ببحث الصراع من أجل السلطة السياسية، وتجمع أكثرهم حول أعظم الأمراء الشهابيين بشير الثاني الشهابي (١٧٨٨-١٨٤٠) الذي جمع في بلاطه معظم رجال القلم في عصره ورعاهم، ووجد هؤلاء في خدمة هذا الأمير، عملاً يليق بمواهبهم.

وهكذا لم تعد كتابة التاريخ محصورة كالسابق بالكهنة، بل ظهرت مجموعة من المؤرخين (أمراء، أدباء، موظفين)، اهتموا إلى جانب اهتمامهم بتاريخهم المحلي، بتاريخ العرب، وبالتطورات في أوروبا والشرق عامة، وكانت كتابة التاريخ جانباً واحداً من جوانب نشاطهم الأدبي المتعددة الوجوه، والذي أنجب فيما بعد أدباء الحركة الشعرية واللغوية في القرن التاسع عشر في لبنان.

---

(١) حول اهمية هذه المعركة راجع: طنوس الشدياق؛ أخبار الاعيان في جبل لبنان الطبعة الثانية بيروت ١٩٥٤ ج ١، ص ٦٥ - ١٦٧. ج ٢ ص ١٥ - ٢٣ راجع أيضاً: حيدر شهاب، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، ٣ أجزاء، نشر فؤاد البستاني واسد رستم، بيروت ١٩٣٣، ج ١ ص ٢ - ١٦.

(٢) K.S. Salibı, the traditional historiography of the maronites; P. 210-A.H. Hourain, "Historians of Lebanon", P. 228-229.

المؤرخون المعاصرون للترك في جبل لبنان

آ ـ حيدر الشهابي:

أعظم مؤرخي تلك الفترة، كان أحد أفراد العائلة الشهابية الحاكمة، هو الأمير حيدر الشهابي (١٧٦١-١٨٣٥)، ابن عم الأمير بشير الثاني الشهابي، كان كاثوليكي المذهب، بأعتباره ينتسب إلى طائفة أسرته، عينه الأمير بشير مشرفاً على الأعمال السياسية المتنوعة الأهمية، إلّا أن حيدراً خصص وقته للأعمال العلمية، وخاصة التاريخية، فجمع حوله في داره بقرية شملان مجموعة من المؤرخين، وكتب الأمير حيدر بمساعدتهم تاريخ لبنان وعائلاته تحت عنوان (الغرر الحسان في أخبار ابناء الزمان)، والكتاب مقسم إلى ثلاثة أقسام الأول من عام (٦٢٢-١٦٩٧) نهاية السلالة المعنية، الثاني من (١٦٩٧-١٨١٨) والثالث من (١٨١٩-١٨٢٨)، ولكل من هذه الأقسام عنوان منفصل، سميّ من قبل الناسخين المتأخرين وليس من قبل المؤرخ ذاته، وهناك دلائل تشير إلى أن حيدراً كتب عملاً قصيراً في أواخر حياته، عن الأمير بشير الثاني الشهابي[١].

ولا يشير حيدر إلى مصادره، كما هي عادة المؤرخين في عصره، وقد استخدم في القسم الأول من كتابه التواريخ الإسلامية وعلى الاخص تاريخ الطبري، كما استخدم بعض المصادر الأوروبية (ويليام إف تاير، بارونيوس) والتواريخ الأولى للبنان واعتمد حيدر في قسم من الجزء الثاني والثالث على مادة غيره من معاصريه، وعلى سجلات تاريخية، وعلى عدد من الوثائق الرسمية والمراسلات بين الأمير بشير والموظفين الأتراك، وقد نقل بعضها حرفياً كما دوَّن

---

(١) حول المؤرخ حيدر الشهابي راجع: G.Graf, op. cit. T.IV, P. 294-295.

راجع أيضاً مقال: K.S. Salibi, the traditional. op. cit. P. 223

راجع أيضاً مقال: A.H. Hourani, "Historians of Lebanon" op. cit. P. 231-232.

راجع أيضاً كتاب أحمد طربين: التأريخ والمؤرخون العرب في العصر الحديث، دمشق ١٩٧٠ ص ٩٦ ـ ٩٨.

ادارة الأمير بشير المالية بانتباه وبالاعتماد على قواعد ثابتة، ولا شك أن الأمير حيدراً حصل على هذه الوثائق عن طريق عمله السياسي، ولكن الأكثر أهمية من ذلك ملاحظاته الخاصة، وملاحظات الآخرين الذين كان على احتكاك بهم. ففي مجتمع ريفي ضيّق الآفاق، تحكمه سيادة العادة، تتركز الأهمية على تذكر ما حدث، فالذاكرة التي تجمع التفاصيل قد تعود رجوعاً، إلى أجيال عدة، وحيدر الشهابي المولود عام (١٧٦١)، كان بأمكانه أن يستعيد الذكريات التي تعود بصورة عملية إلى بداية القرن الثامن عشر. وفي الجزء الثاني من كتاب الأمير حيدر، هناك تقرير كامل حول الحملة الفرنسية، اعتمد فيه المؤرخ كلياً على مادة نقولا الترك، واستعملها بأسرها(١).

والموضوع الرئيسي لكتاب الأمير حيدر، هو سياسة الأمراء الشهابيين، والجزء الأخير منه تسيطر عليه شخصية الأمير بشير الثاني الشهابي، وطالما أن حيدراً هو عضو من العائلة المالكة فتاريخه كتب من وجهة نظر الرجال الذين صاغوا السياسة واتخذوا القرارات. ولقد خدم حيدر الأهداف التي يسير فيها الخط السياسي للشهابيين عامة، وللأمير بشير خاصة، فالمؤرخ حيدر مع هذا الأمير ضد الجزار، وضد الأمير يوسف الشهابي، ومعه أيضاً ضد تحدي عائلة جنبلاط الدرزية القوية، ونادراً ما تتطرق الرواية عند حيدر لشرح أسباب الأحداث، لكن حيدراً كان يملك الثقافة السياسية، وقد أعطى في كتابه معلومات هامة عن التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، كذكره قوائم الأسعار الزمنية(٢). وتطرق حيدر في الأقسام الأخيرة من كتابه إلى تاريخ سورية العام، وإلى بعض اشارات للتاريخ الأوروبي.

هنالك معلومات حول الطريقة التي كتب بها حيدر مؤلفه، فقد كان

---

(١) راجع ما سبق، ص ١٨ - ١٩.
(٢) أنظر: الشهابي، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، ج ٢، ٣، ص ٣٥٥، ٣٦٩، ٤٠٨، ٤٣٠، ٤٧٣، ٤٧٤، ٥٣٠، ٥٤٠.

عنده مجموعة من الكتاب المرموقين في عصره، ينتجون المادة التاريخية اللازمة، مثل: فارس وأسعد الشدياق، بطرس كرامي، نقولا الترك، وناصيف اليازجي، وكان الأمير حيدر يستخدم بعض المواد التي يكتبها هؤلاء دون أي تبديل فيها، وكتب حيدر ذاته قسماً محدداً من الكتاب، كما أعطى كتابه شكله النهائي[1].

وهناك بعض المؤلفات المجهولة المؤلف، نسب بعضها إلى الأمير حيدر أو إلى معاونيه، كتاريخ أحمد باشا الجزار[2]، وكذلك بشأن كتاب حول الجغرافيا السياسية والتقدم الإداري في لبنان تحت حكم الأمير بشير الثاني.

ب ـ طنوس الشدياق:

من المؤرخين الهامين في هذه المجموعة يبرز طنوس الشدياق (١٧٩١ - ١٨٦١) عن حق وجدارة، عمل هذا المؤرخ مع الأمير حيدر، وشارك بنفس المادة التاريخية، وقد نشر الشدياق عام (١٨٥٩) بالاستعانة ببطرس البستاني، كتاباً ضخماً عن العائلات النبيلة في لبنان هو «أخبار الأعيان في جبل لبنان»[3]، والكتاب مقّسم إلى ثلاثة أقسام، حدد فيه الشدياق جغرافية لبنان، وأصل وتاريخ عائلاته، ثم تاريخ لبنان السياسي الحديث، وقد قدَّم المؤرخ الشدياق قائمة بمصادره التي استعملها في مقدمة كتابه، كما ذكر في كتابه مذكرات شخصية لمشايخ الدروز، مع مذكراته الشخصية، إلاّ أن الوثائق الرسمية قليلة في كتابه.

والجزء الهام من هذا الكتاب، هو ما يتعلق بالحوادث التي تتضمن حكم الأمير بشير الثاني، والاحتلال المصري لبلاد الشام، وبداية التوتر في جبل لبنان في الأربعينات والخمسينات من القرن التاسع عشر، وأعطى الشدياق تفاصيل

(١) A.H, Hourani, "Historians of Lebanon in historians of the Middle East" P. 232

(٢) راجع ما سبق، ص ١٩

(٣) نشر الكتاب لاول مرة في بيروت عام ١٨٥٩. ثم الطبعة الثانية في بيروت ١٩٥٤

هامة عن أصل وبروز العائلات اللبنانية نادراً ما نجدها في مصدر آخر.

توجه اهتمام الشدياق إلى لبنان، كمجتمع موحد، ولم ينظر إليه نظرة الأمير حيدر» أقليماً موحداً محكوماً من قبل إحدى العائلات الأميرية»، وإنما نظر إلى لبنان، كتركيب مؤلف من عائلات مختلفة لكل منها رؤية خاصة للسلطة وكلها متوازية ومترابطة ببعضها بصورة معقدة، هذه العائلات قد تكون، درزية، مارونية، سنّية، أو شيعية، لكن سلطتها مشتقة من سلطة اقليمية أكثر ما هي دينية، واهتمامات هذه العائلات العامة تعطي لبنان وحدة تتجاوز الاختلافات الدينية[1]. وبهذا يكون الشدياق أوضح لنا ما هية مجتمع لبنان الاقطاعي، وتكوينه في تلك الحقبة من الزمن.

ج ـ حنانيا المنيّر:

هو قس كاثوليكي (١٧٠٦-١٨٣٢)، كتب تاريخ رهبانيته الخاصة «الشويرية»[2] منذ أواسط القرن الثامن عشر حتى (١٨٠٤)، ولم يقتصر كتابه على الأخبار الدينية فحسب، بل حوى أخباراً تخص الأمراء وأحوال لبنان وبلاد الشام والقطر المصري[3]. وللمنير تاريخ عام، عن لبنان وخاصة عن الأسرة الشهابية. عنوانه (الدرر الموصوف في تاريخ الشوف)[4]، وهو كتاب سياسي يمتد من عام (١٦٩٧-١٨٠٧)، اعتمد فيه المؤرخ على التقاليد العامة والملاحظات الشخصية حيناً، وعلى مفكرات ووثائق مأخوذة من جماعته

---

(١) حول طنوس الشدياق راجع: G. Graf - op. cit. vol. TV, P. 295-296
راجع أيضاً مقال: K.S. Salibi, "the traditional"... op. cit. P. 223-225
راجع أيضاً: A.H. Hourani Historians.. op. cit. P. 233.
أحمد طربين: التأريخ والمؤرخون العرب في العصر الحديث ص ٩٨ ـ ٩٩.

(٢) هي الرهبنة الحنّاوية نسبة إلى هذا المؤرخ وتلقب أيضاً بالشويرية.

(٣) لويس شيخو، الآداب العربية في القرن التاسع عشر، ج ١، ص ١٧

(٤) أنظر حنانيا المنيّر، "الدرر الموصوف في تاريخ الشوف، نشره أغناطيوس سركيس، مجلة المشرق، مجلد ٤٨، (١٩٥٤) ص ٥١٩ ـ ٥٤٠، مجلد ٥١، (١٩٥٧) ص ٤٤٣ ـ ٤٨٥/.

القساوسة حيناً آخر، والكتاب ذو أسلوب واضح وسليم، ولقد اعتمد المؤرخ الأسلوب القصصي المباشر، ولكن ليس من الصعب معرفة تعاطف المنيّر مع الأمير بشير الثاني في صراعه ضد الجزار وضد المعارضة الداخلية التي تزعمها انسباؤه أولاد الأمير يوسف. ولقد استعمل الأمير حيدر مادة هذا المؤرخ في تاريخه (الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان)، كما استخدم تاريخ المنيّر طنوس الشدياق في كتابه (تاريخ الأعيان في جبل لبنان)[1].

وضع نقولا الترك كمؤرخ ضمن هذه المجموعة من المؤرخين:

لم يكن نقولا الترك، مثل الأمير حيدر، والشدياق، والمنيّر، من أبناء جبل لبنان، ورغم أنه ولد في دير القمر، فقد ظل يعتبر نفسه غريباً عن هذه الديار، وأكد غربته بقوله في نهاية القصيدة التي كتبها على شرف نابليون «كتب هذه القصيدة، نقولا بن يوسف الترك القسطنطيني الأصل، عاش الترك في هذا الجبل الذي قادته ظروف الحياة إليه، عن طريق قرض الشعر الموجه لمدح الأمير بشير وأتباعه. وقد عرف الترك قبل كل شيء كموظف في خدمة هذا الأمير، كما عمل مع حيدر الشهابي كغيره من مؤرخي جبل لبنان، وجاءت تطلعات الترك التاريخية جزءاً من وظيفته، لأن الأمير بشيراً عهد إليه بمهمة مراقبة الحالة العامة للجيش الفرنسي في مصر، قبل أن يقدم هذا الأمير على مغامرة الإنضمام إلى الجيش الفرنسي عند مجيئه إلى سورية، وبناء على هذا الوضع الفريد الذي وجد الترك نفسه فيه، جاء تاريخه نوعاً من الخدمة المدنية، فالترك لم يهتم بالتاريخ لذاته، بل لاتمام المهمة التي عهدت إليه، بحكم ارتباطه، لهذا فنقولا الترك ليس مؤرخاً محترفاً كما يمكن أن نسمي حيدراً، والشدياق، والمنير، الذين كانوا مؤرخين حقيقيين تطلعوا إلى التاريخ بذاته،

---

(١) أنظر: الاب لويس شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر، ج١، ص ١٧. أنظر أيضاً G. Graf. T. III, P. 242-244, ef. A.H. Hourani, Historians.. op. cit. P. 230.

وخصصوا له وقتهم وعلمهم وإمكانياتهم المادية والمعنوية.

واختلفت المادة التاريخية لهذا المؤرخ الموظف، عما كتبه أقرانه في الجبل فبينما تناول هؤلاء: لبنان، وضعه السياسي، عائلاته، إماراته، أي كل ما يتصل بالتاريخ المحلي لمنطقتهم، وجاءت كتاباتهم التاريخية ملازمة لتطلعاتهم السياسية إذ بينما دافع حيدر عن الإمارة ضد كل أعدائها لارتباطه بها بحكم القرابة، ركّز المنيّر على تاريخ مجموعته الدينية ودافع عن الإمارة لارتباطه بالأمير بشير، وحاول الشدياق دراسة المجتمع الإقطاعي للجبل، ولم يخص عائلة دون أخرى بل اعتبر الجميع متساوين يكونون معاً لبنان الواحد. فقد جاء تاريخ الترك، فريداً في موضوعه، إذ تناول حادثاً فريداً، لم ترتبط مصالحه به، ولم يكتب عنه أي مؤرخ آخر في الجبل، في فترة محددة من الزمن، وفي منطقة غريبة عن بيئته التي تربى بها. لهذا كان الترك أكثر موضوعية من معاصريه مؤرخي الجبل، إذ أنه لم يهتم مثلهم بالدفاع عن وضع خاص يؤيده، بل كتب الحوادث كما رآها، وكما فهمها من وجهة نظره الخاصة. كما لم يكن باستطاعة الترك، وهو يؤرخ هذا الحدث الفردي الذي جرى في الشرق النائم، لم يكن باستطاعته اعتماد مصادر غيره ولا الوثائق الرسمية، كما هو الحال عند بقية مؤرخي الجبل. ولهذا جاء كتاب الترك خلواً من أية إشارة لمصادر مادته، وكانت مصادره الوحيدة، ملاحظاته الشخصية، وبيانات رسمية صادرة عن الديوان في القاهرة وكانت بمتناول الجميع. ومع هذا النقص الذي فرضته نوعية الموضوع الذي تناوله المؤرخ الترك، فقد أجاد في كتابه إجادة تدل على حس تاريخي سليم وعلى إدراك موضوعي وواع لما كتب.

ولكن الترك الذي لم يصل كمؤرخ إلى مصاف الأمير حيدر مثلاً، فقد أهمل كل ما يتعلق بالتاريخ الإجتماعي والإقتصادي، ولم يكن لديه ذلك الفهم والتحليل السياسي للأحداث كما كان لدى حيدر، بل اكتفى الترك بالتسجيل فقط.

ولا يمكننا مقارنة معلومات الترك التاريخية بمعلومات حيدر أو الشدياق أو المنير ولكن الترك، وإن لم يستطع الإرتفاع إلى مصاف هؤلاء المؤرخين، فقد برهن براعة في رسم الأشياء، وأعطانا صورة هامه بلمسات عريضة عن موضوعه والقاريء لتاريخه يتمكن من المشاركة في الجو الحقيقي لهذه الحملة ولتلك المرحلة الزمنية التي أرخ عنها.

الحركة التاريخية المعاصرة للترك في مصر:

لمحة عن الحركة التاريخية في مصر في الفترة العثمانية:

كانت مصادر الفترة العثمانية في مصر، قليلة ونادرة، على عكس الفترة المملوكية السابقة التي لدينا مصادر عديدة عنها، والفترةُ الأكثر غموضاً، كانت فترة السبعين سنة الأولى للحكم العثماني. أي تلك الفترة التي انتقل فيها الحكم من المماليك إلى العثمانيين، هذا إذا استثنينا حوليات ابن أياس[1].

لم يعط أحد وصفاً لانحطاط التاريخ في عصره، ولكره وابتعاد المعاصرين عنه، ونظرتهم الهابطة إلى هذا النوع من المعرفة، أفضل من وصف المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي، فبعد أن يشير الجبرتي إلى قول الشافعي «من عرف التاريخ زاد عقله»، يصف لنا انحطاط التاريخ بقوله «ولم تزل الأمم الماضية في حين أوجد الله هذا النوع الإنساني، تعتني بتدوينه سلفاً عن سلف، وخلفاً بعد خلف، إلى أن نبذه أهل عصرنا، وأغفلوه وتركوه وأهملوه وعدّوه من شغل البطّالين، وقالوا أساطير الأولين، ولعمري أنهم لمعْزورون وبالاهم منشغلون، ولا يرضون لأقلامهم المتعبه في مثل هذه المنقبة، فإن الزمان قد انعكست أحواله وتقلصت ظلاله، وانخرمت قواعده في الحساب، فلا تضبط وقائعه في دفتر ولا كتاب، وإشغال الوقت في غير فائدة، ضياع، وما مضى وفات ليس له

(١) أنظر: محمد إبن أياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، الأجزاء ٣ ـ ٥، تحقيق محمد مصطفى، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٠ ـ ١٩٦٣.

استرجاع، إلا أن يكون من مثل الحقير منزوياً في زوايا الخمول والإهمال، محجماً عما شغلهم من الأشغال، فيشغل نفسه في أوقات من خلوته ويسلّي وحدته بين سيئات العصر ومحاسنه[١]».

ويلخّص الدكتور محمد أنيس أسباب تدهور علم التاريخ في العصر العثماني بما يلي: تسرب الكتب التاريخية من مصر، كثرة الفتن في العصر العثماني فتدهور التاريخ كان يعكس تدهوراً عاماً في الحياة العلمية ولا سيما فيما يسمى بالعلوم العقلية، وأغلب الكتب التاريخية لم ير النور[٢].

وعليه نصطدم بواقعة أنه لا يمكننا ملاحظة، أي اهتمام بعلم التاريخ وأعماله في سيّر الحياة العائدة للمتعلمين، إذ لم ترد في كتاب الجبرتي أية إشارة سوى القليل جداً عن الأشخاص الذي أظهروا اهتماماً بالتاريخ، كما لم يذكر أية سيرة لمؤرخ مصري خلال الحقبة التي تغطيها حولياته. هذا الإنحطاط في الحركة التأريخية في مصر، كان يقابله تطور في جبل لبنان وأعطى هذا التطور نتاجاً تاريخياً قيماً.

المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي

كالعملاق بين الأقزام يبرز المؤرخ الجبرتي من بين مؤرخي مصر العثمانيين. فهو أول من عمل على إحياء حركة التأليف التاريخي في مصرَ بعد أن توقفت مسيرتها في القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر، وإن أعمال المؤرخين الآخرين للحقبة التي أرخ لها الجبرتي ذات قيمة واهية بالمقارنة مع مؤلفاته وتنحصرُ أهميتُها بكونها مصادر مكملة لتاريخه.

إن أهمية الجبرتي كمؤرخ تفوق المنطقة والحقبة الزمنية التي أرَّخ لها،

(١) أنظر: عبد الرحمن: الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والاخبار، جزء ١ ص ٤ ـ٥.
(٢) أنظر: د. محمد أنيس، مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، جزء ٣، ص ١١٠٣ ـ ١١٠٦. مطبعة دار الكتب، القاهرة، (١٩٧٠) ـ (١٩٧١)

ويصفه المؤرخ دافيد ألون (David Ayolon) بقوله «هو أعظم مؤرخي العالم العثماني وأكبر مؤرخي العالم العربي إطلاقاً[1]».

ـ عاش الجبرتي عصرَ تحولٍ انتقلت فيه مصر من طور مفعم بالظلام إلى آخر امتد حتى هذا القرن، وجاء تاريخه يعبرُ عن معاناته وعن معاناة الشعب المصري في تلك الحقبة المضطربة، لذا يمكننا أن نعتبر الجبرتي مؤرخ القومية المصرية عن حق وجدارة.

وُلد عبد الرحمن الجبري عام ١١٦٧هـ / ١٧٤٥م وتوفي عام ١٢٤١هـ / ١٨٤٥م. كان حبشي الأصل[2] مصري الموطن نشأ في بيت علم وثراء فقد كان أبوه عالماً في الفقه والشريعة والعلوم اللغوية، وكذلك في علم الفلك والرياضيات وأتاح هذا الجو العلمي للجبرتي الفرصة للتعرف على كبار علماء عصره. كما أتاحت له الثروة الكبيرة التي ورثها عن أبيه الفرصة للتفرغ للعلم والدراسة. وقد أكثر الجبرتي من الرحلات خارج القاهرة لتفقد أراضيه الزراعية في بلدة (أبيار) فزار الوجه البجري والوجه القبلي. وقدمت له كثرة ترحاله مادة قيمة حول طبيعة مصر. وفتحت له الطريق لتعرف ألوان حياة المصريين المختلفة الوجوه، كما جعلته واسع الإدراك محيطاً بأخبار بلاده وبمختلف تياراتها[3].

ورغم أن الجبرتي عاش معظم سني حياته في القرن الثامن عشر، لكنه ـ أدرك القرن التاسع عشر وشهد قدوم الفرنسيين إلى مصر وخروجهم منها. كما شهد الصراع الذي أوصل محمد علي إلى الحكم والسنوات الأولى من حكم هذا الباشا وقد أرّخ هذا في مؤلفاته التاريخية.

(١) David Ayalon, "the Historin Al - Jabarti, in the historians of the Middle East, ed. B. Lewis and M. Holt, P. 261 - 401). P. 392.

(٢) سُمي الجبرتي نسبة إلى جبرت في الصومال، وجبرت رواق في الجامع الأزهر.

(٣) عبد الرحمن الجبرتي، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس. تحقيق أحمد زكي عطية وعبد المنعم عامر ومحمد فهمي عبد اللطيف. (القاهرة ١٩٦١) ج ١، ص ١ ـ ٣

مؤلفات الجبرتي التاريخية:

أول كتاب أخرجه الجبرتي في عالم التأليف، هو كتاب (مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس)، ولقد قدّم الجبرتي هذا الكتاب إلى الوزير الأعظم يوسف باشا، وكان قد كتبه بناء على طلب هذا الوزير، الذي أراد تأريخ فترة الحملة الفرنسية لتكون عبرة بين الناس. تمكن الجبرتي من جمع مادة كتابه عن طريق صداقته بالشيوخ أعضاء الديوان الذي شكله نابليون في القاهرة، وعن طريق صديقه الشاعر (اسماعيل الخشاب) الذي عمل مع الفرنسيين حيث عهدوا إليه تحرير مجلة يومية باسم «التنبيه»، كانوا يجمعون فيها الحوادث اليومية التي تجري في الدواوين والمقاطعات المصرية(١). هذه الصداقة فتحت المجال أمام الجبرتي لمخالطة الفرنسيين والإتصال بهم والتردد على مجامعهم، وأيقظ هذا فيه حس المؤرخ، فصار يتابع الحوادث ويسجلها، ثم اشتدت صلته بالفرنسيين عندما اختير عضواً في الديوان الذي أنشأه الجنرال منو وأتاح، هذا، الفرصة للجبرتي التعرف على الأمور عن كثب، واستطلاع ما يدور في نفس الحكام الفرنسيين نحو الشعب المصري.

يمثل كتاب «مظهر التقديس»، التأريخ الرسمي للحملة، وهو يعكس وجهة نظر مؤرخه، من حيث ثورته على الحكم الفرنسي، وعلى الباكوات المماليك الذين اعتبرهم الجبرتي مسؤولين عن نجاح الفرنسيين في غزو مصر، وأظهر الجبرتي في كتابه هذا، تفاؤله بانبثاق عصر جديد من الاستقرار والرفاهية بعد استعادة العثمانيين لمصر. بيد أنه كان في كتابه هذا بعيداً عن موضوعية المؤرخ ونزاهته(٢).

(١) أنظر: الجبرتي، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس، ج ١، ص ٩.

(٢) أنظر: محمد أنيس، مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ج ٣، ص ١١٣٤.

ـ أحمد طربين، التأريخ والمؤرخون العرب في العصر الحديث، ص ٧٠ ـ ٧٣

وتابع الجبرتي عمله، وأخرج للعالم، مؤلفه العجيب (عجائب الآثار في التراجم والأخبار)، جاء هذا الكتاب على شكل حوليات ضمت أربعة أجزاء تمتد من عام ١١٠٠هـ / ١٦٨٨ حتى ١٢٢٥هـ /١٨١٠م، وجعل كتابه مظهر التقديس الجزء الثالث من هذا الكتاب، وفي الجزء الرابع تابع الجبرتي سرد الأحداث التي صاحبت قيام محمد علي ووصوله إلى الحكم في مصر.

كانت طريقة الجبرتي في هذا الكتاب، فريدة ومبدعة، فقد اتبع نظام اليوميات مما مكنه من سرد الحوادث بدقة، وأبراز جميع تفاصيل الحياة اليومية، ونلاحظ هذه الصفة خاصةً في القسم المتعلق بالإحتلال الفرنسي وبفترة ظهور محمد علي. أما في الأجزاء الأولى، فمن خصائص مؤرخنا هو الإختصار المقارن في الحوليات من جهة، والإطالة في سرد سير الحياة من جهة أخرى، يقول دافيد ألون: «إني أعتقد أن العمل الأول، والأكثر إلحاحاً في درس الجبرتي، هو توسيع روايته بمزج معطيات سير الحياة الذاتية الغنية جداً مع التأريخ الحولي الزمني بقالب واحد، لكي نتمكن من دراسة ملامح المجتمع المملوكي، في حقبة العهد العثماني والتي تمتد من السنوات ١١٠٠هـ - ١١٤٢هـ / ١٦٨٨ - ١٧٢٩م، ولكن بعد ذلك يمكننا بسهولة متابعة مفتاح المجتمع المملوكي حتى نهايته زمن محمد علي، نظراً لدقة الجبرتي في سرد الحوادث اليومية بعد عام ١٧٢٩[1].

أما بما يخص موضوعنا، فترة الحملة الفرنسية، فقد قدَّم لنا الجبرتي صورة واسعة الآفاق، تتميز بالوضوح والحيوية والقوة، وتصلح أساساً لدراسة مختلف أوجه الحياة في تلك الحقبة من الزمن، وكل دارس لهذه المرحلة التاريخية يجد في رواية الجبرتي الأجوبة المتزنة الصادقة لكل سؤال يعترضه، والشيء المميز لمؤلف الجبرتي هو انهماكه العميق في موضوعه، أنه عاشق بلاده وشعبه، يكتب

(١) David Ayalon "the historian Al Jabarti in historians of the Middle East P. 401, 402.

عنهما كمن يكتب عن لحمه ودمه، فلقد صاغ الجبرتي أحاسيس الشعب المصري في وصف منبعث من الأعماق، يقول واصفاً حالة الشعب عند فتح الفرنسيين للإسكندرية، واستعداد المماليك لمجابهة الفاتحين «كل يوم، يتزايد الجمع، ويعظم الهول، ويضيق الحال بالفقراء»(١)، ثم يصف الجبرتي تحسن الحالة الاقتصادية في القاهرة بعد الاحتلال، نظراً لتزايد القوة الشرائية، وما يترتب عنها من غلاء الأسعار، «فلما رأى منهم العامة ذلك أنسوا بهم»(٢)، وعلى عكس المصادر الأخرى أجنبية كانت أم عربية، فإن الجبرتي يذكر رفض الشعب المصري في المشاركة بالأعياد التي أقامها الفرنسيون للتقرب من الشعب(٣). وانتقد الجبرتي بعنف إجراءات الفرنسيين المالية، خاصة تعيينهم الأقباط المباشرين لجمع المال «قدّروا فرضة من المال على القرى والبلاد وقيدوا بذلك الصيارفة من القبط، ونزلوا في البلاد مثل الحكام، يحسبون ويضربون، ويشددون الطلب»(٤)، والجبرتي المؤرخ، المتفهم لمشاعر شعبه، اعتبر أن أسباب ثورة القاهرة الأولى (تشرين الأول ١٧٩٨) هي أسباب اقتصادية، حوَّلها المؤرخون الأجانب إلى أسباب دينية، ومع هذا فالجبرتي لم يقف مع شعبه في هذه الثورة، التي اعتبرها فاشلة، لافتقارها إلى التخطيط السليم فيقول، «فتجمع الكثير من الغوغاء، من غير رئيس يسوسهم، ولا قائد يقودهم»(٥)، ورغم تعلق الجبرتي بشعبه، فقد انتقد تصرفاتهم خلال هذه الثورة، وكان وصفه غاية في الدقة والموضوعية، والجبرتي رجل الدين الفاضل المؤمن، لا بدَّ أن تترك جرحاً في نفسه، تصرفات الفرنسيين وعاداتهم، كشرب الخمر وسفور النساء، واستخفافهم بالقيم التي يؤمن بها، والكتاب مليئ بنقد لهكذا أعمال ، وحوى كتاب الجبرتي ملاحظات قيمة حول الحالة الاقتصادية وضع

(١) أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والاخبار، بولاق ١٢٩٧ هـ، ج ٣، ص ٩.
(٢) أنظر، الجبرتي: المصدر السابق، ج ٣، ص ١١.
(٣) أنظر الجبرتي: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٥.
(٤) أنظر: الجبرتي ـ المصدر السابق. ج ٣ ص ١٦.
(٥) أنظر الجبرتي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٥، ٢٦، ٢٧.

العمال، التجارة الداخلية والخارجية، ضيق العيش وانقطاع الموارد، وغلاء الأسعار ـ خاصة بعد معركة أبو قير البحرية ـ وحصار الإنكليز للشواطئ المصرية[1] ومدى تأثير هذا على أرباب الصنائع، وأحوال الحرف في مصر[2]، وضمّ كتاب الجبرتي طائفة من المنشورات، والبيانات والنصوص الرسمية، التي أذاعها الفرنسيون عن أحكامهم واتفاقاتهم، وعن رسائلهم المختلفة إلى الحكام المسلمين في شمال إفريقية، وبلاد الشام[3]. كما وصف الجبرتي بـإسهاب الدواوين[4] المختلفة التي أقيمت في مصر زمن الاحتلال الفرنسي، ولم يُخدَعْ بادّعاءات نابليون بأنه يريد للمصريين أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم، وامتاز كتاب الجبرتي بنظريات اجتماعية واقتصادية ساعدته عليها معرفته السابقة بعلوم المكاييل والموازين، وما يتصل بذلك من أسعار المعيشة، وأثر ذلك في حياة الشعب، ولا يفوت الجبرتي أن يذكر حتى الأمور الصغيرة التي تثير العامة، وتسترعي انتباههم والكتاب يحوي ثروة من هذه التفاصيل.

والجبرتي العالم المثقف، الذي عاش في فترة انحطاط مصر زمن الحكم الثنائي، المملوكي العثماني، أدهشه المعهد العلمي الذي أنشأه نابليون في القاهرة والذي زاره الجبرتي شخصياً عدة مرات، وعومل فيه معاملة حسنة، وخصص الجبرتي للحديث عنه في كتابه أربع صفحات[5]، كما امتدح الجبرتي إقبال الأجانب على العلم مقارناً لا شعورياً بينهم وبين شعبه الجاهل، وقدم لنا الجبرتي ملاحظة قيمة، تدل على دقته وموضوعيته، وهي عن أحوال العمل والعمال في مصر زمن الفرنسيين، حيث امتدح تطبيق الفرنسيين لقانون عادل للعمل والعمال قائلاً «ولم يسخروا أحداً في المعمل، بل كانوا يعطون الرجال

(١) أنظر الجبرتي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٣.
(٢) أنظر الجبرتي: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٩.
(٣) أنظر الجبرتي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢١، ٣١، ٥٩.
(٤) أنظر الجبرتي: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩، ٢٣، ٣٧، ١٣٨.
(٥) أنظر الجبرتي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٤، ٣٥، ٣٦.

زيادة عن أجرتهم المعتادة، ويصرفونهم بعد الظهر»[1]، ووصف الجبرتي الآلات التي صنعها الفرنسيون في مصر وامتدحها[2]، وللجبرتي تعليقات ذكية تدل على حس سياسي سليم، خاصة تعليقاته أثر كل بيان يصدر عن الديوان إلى الشعب[3] كما امتدح بعضاً من إجراءات الفرنسيين مثل: تدابيرهم لقمع الطاعون[4]، لإحلال النظافة علّق على رسالة وجهها رئيس الأطباء الفرنسي لتعميمها على الشعب، لمعالجة مرض الجدري بقوله «وهي رسالة لا بأس بها»[5] والجبرتي في عجائب الآثار غيره في مظهر التقديس، فقد تطلع إلى الأحداث بعين الناقد الموضوعي، فالصواب لم يعد مرتبطاً بالضرورة بالانتماء الديني حيث أعجب بتطبيق الفرنسيين للقوانين العادلة أثناء محاكمتهم المتهمين بقتل كليبر وقارن بينهم وبين ظلم واستبداد العثمانيين المسلمين الذين حكموا القاهرة بعد رحيل الفرنسيين، وقال في ذلك «بخلاف ما رأيناه بعد ذلك، من أوباش العساكر، الذين يدّعون الإسلام، ويزعمون أنهم مجاهدون، وقتلهم الأنفس وتجاريهم على هدم البنية الإنسانية بمجرد شهواتهم الحيوانية»[6].

والجبرتي المؤرخ الموضوعي سجل الأحداث كما رآها، فرغم كرهه للفرنسيين المغتصبين دياره فقد ذكر محاسنهم إلى جانب سيئاتهم، وقدم للعالم مزيجاً رائعاً من الحرارة العاطفية، والذكاء، والتجرد العلمي، الذي نادراً ما تتخلله أية محاباة شخصية، مع نظرة ثاقبة للأمور ومقدرة في الذهاب مباشرة إلى لب الأشياء ورسم صورة كاملة لها بألوان فرشاته البديعة.

أما أسلوب الجبرتي، فقد اتسم بسمة العصر الذي عاش فيه، فيستعمل

---

(١) أنظر: الجبرتي، عبد الرحمن، عجائب الآثار في التراجم والاخبار، ج ٣ ص ٣٣.
(٢) أنظر الجبرتي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٣، ٣٥، ٣٦.
(٣) أنظر الجبرتي: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩، ٢٤، ٣٧.
(٤) أنظر الجبرتي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢١.
(٥) أنظر الجبرتي: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٤١.
(٦) أنظر الجبرتي: المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٧.

السجع أحياناً إلى حد التكلف، خاصة إذا كتب في مسائل علمية وأبحاث اجتماعية أما إذا دفعته الحوادث لسردها فإنه يسجلها كما تقتضي الظروف، فيهمل السجع، ويرسل الكلام كما ترسله العامة، أو تصوغه الحادثة، وكان لنشأته في بيئة دينية، أثر في جعل كتابته، تتسم بسمة أسلوب مشايخ عصره، وتتميز بذوقهم، لكن الجبرتي أجاد في كتابته المختصرة، المكثفة، والحقيقية الواقعية.

مقارنة بين أهمية كتاب الجبرتي وكتاب نقولا الترك بالنسبة لفترة الاحتلال الفرنسي:

حوت حقبة الاحتلال الفرنسي لمصر «ثلاث سنوات»، خلافاً للقرون السابقة، العديد من المصادر، فالمؤلفات الأوروبية المعاصرة والمتعلقة بهذه الحقبة وافرة، وتحتوي العديد من روائع المؤلفات التاريخية المكتوبة من قبل مؤرخين أوروبيين، وهم بأكثريتهم فرنسيون، لكن وصف مؤرخ مصر، عبد الرحمن الجبرتي، لهذا الاحتلال ليس أقل أهمية من أية واحدة من هذه الروائع، فالأوروبيون بسبب الأوضاع العامة في مصر في العصر العثماني، لم يتمكنوا من التغلغل في حياة الشعب المصري ودراسة انفعالاته دراسة وافية كما فعل الجبرتي. ولقد اعتبر تاريخ الجبرتي أهم مصدر لهذا الحدث التاريخي، فالمؤرخون الأوروبيون وثقوا ثقة كبيرة بحوليات الجبرتي، في حين أنهم لم يعاملوا كتاب الترك نفس المعاملة، واكتفوا بذكر بعض المقاطع التي وردت في كتابه.

إن الإنجاز العظيم للجبرتي يصبح أعجوبة بالمقارنة مع انحطاط الحركة التاريخية في مصر في عصره، على عكس الحال في جبل لبنان، موطن الترك، ولهذا فإن محاولة شرح ظهور مؤرخ بمستوى الجبرتي في مثل هذه الظروف السيئة تصطدم بلغز لا حل له، يقول ألون: إن الجبرتي الذي كانت معرفته بالتاريخ المصري محدودة جداً، وهو الذي لم يتبع في تأريخ حوادثه أية مدرسة تاريخية

سابقة، جاء عمله ظاهرة عبقرية، تعلو بكثير محيطه البائس فحولياته فريدة في الإسلام ونادرة جداً في حوليات العالم»[1]، وبناء على هذا فكل مقارنة نجريها بين الجبرتي وأي مؤرخ آخر، كالترك مثلاً تجعلنا في موقف حرج؟ فكتاب الترك ذاته لا يمكن دراسته وتوضيحه إلاّ من خلال كتاب الجبرتي، وما كتبه الترك يعتبر سطحياً، لأنه كتب كمتفرج غريب عن المنطقة، يقوم بواجب عهد إليه بتأديته، وما كان بإمكان هذا المتفرج أن يفهم الأحداث ويعيشها، كما فعل الجبرتي، ابن مصر الذي ارتبطت حياته وحياة شعبه بهذه الأحداث.

ولا يمكننا أن نضع نقولا الترك بمصاف الجبرتي، المؤرخ الذكي الواعي، ذو الحس التاريخي العميق الذي لم يهمل ناحية من نواحي حياة مصر في تلك الحقبة إلاّ ووصفها بدقة وموضوعية، في حين أن الترك أهمل كثيراً من هذه النواحي أو مرَّ عليها مرور الكرام. والمؤرخ الجبرتي الذي تفرغ كلياً لعمله التاريخي، ودرس بدقة المؤرخ الفنان الانعكاسات النفسية لشخصيات أحداثه التاريخية، هل يمكن أن يقارن بالترك الذي كتب تاريخه كنوع من الخدمة المدنية. كذلك فإن التحليل الدقيق لموقف كل من الفرنسيين، والإنكليز، والمماليك، والعثمانيين تجاه مصر وشعبها، والذي نجده في كتاب الجبرتي نلاحظ أن الترك يفتقر إليه، إذ اكتفى الترك بسرد الحادثة من وجهة نظر المحتلين. كذلك كان ينقص الترك التجرد والنزاهة التي نلمسها عند الجبرتي في عجائبه، فرغم كون الجبرتي ابن مصر الذي تعرض مباشرة لإذلال الفرنسيين المحتلين فإنه لم يبخسهم حقهم، في حين أن الروح التي تسيطر على كتاب الترك هي روح المحاباة للفرنسيين. والترك هو الأديب العربي الوحيد الذي أنشد شعراً في تمجيد المحتلين الفرنسيين.

في الحقيقة لا يمكننا أن نعتبر كتاب الترك حول الاحتلال الفرنسي، سوى مصدر مكمل لحوليات الجبرتي، ليس إلاّ.

---

(١) David Ayalon, "the historian Al-Yabarti historians of the Middle East P.393"

Pour faire de grandes choses, il ne faut pas être un si grand gènie; il ne faut pas être au-dessus des hommes; il faut être avec eux.

Montesquieu
Sur l'homme

القيام بأعمال عظيمة لا يحتاج الى الكثير من العبقرية. لا يجب أن نكون فوق البشر بل معهم.

القسم الثاني

نشر وتحقيق
مخطوطة

تاريخ نابليون الأول

بقلم

نقولا بن يوسف الترك اللبناني

المكتبة الظاهرية

رقم
٤٧١٧

الورقة الأولى ناقصة في هذه المخطوطة، وهي تشمل مقدمة المخطوطة، واستناداً إلى نسخة «ديغرانج» يمكن أن تكون بهذا الشكل نظراً لتشابه الأحداث بين نسخة «ديغرانج» والنسخة التي نحققها:

(باسم الله الحي القيوم الأبدي الأزلي الدايم السرمدي الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا رب غيره وسواه لا يعبد من خلق السماوات وزيّنها بالكواكب السايرة والنجوم الساهرة وبسط الأرض واتقنها بحكمته الباهرة وقدرته القادرة وصنع الإنسان وولاه على ساير ما أبدع في دنياه وجمّله في العقل الفايق والذهن الرايق وأمره بالسير على الحق وحفظ السنن وخلوص الود للخلق وترك الفتن نحمده سبحانه وجل شأنه حمداً يليق بعزّته ذات الجلالة ما بزغ بدر وأشرقت غزالة، أما بعد فيقول العبد الضعيف صاحب هذا التأليف أنه إذ قد جرت عادة الأوائل بتأليف الكتب والرسايل وذكر ما يمر عليهم من الحادثات الكونيّة والحركات الكلية كقيام دولة على دولة وانتشار الحروب المهولة وما يتعلّق بها من المواقع المريعة والأمور الفظيعة فحق لنا أن نؤرخ في هذا الكتاب لانتفاع الطلاب ما حدث من التغيير والانقلاب ممّا أجرته يد الأقدار في هذه الأمصار وممّا أذنت به العزة الإلهية بظهور المشيخة الفرنساوية وما تكون بسببها من الفتن في البلاد الإفرنجية وديار الرومية وقتل سلطانهم وخراب بلدانهم وانتشار شأنهم وربحهم من بعد خسرانهم[1].

في حين أن مقدمة الجزء الثاني والثالث من كتاب لبنان في عهد الأمراء

---

(١) انظر Nikoula, El-Turk, Histoire de l'expédition des Français en Egypte, publiée et traduite par M. Desgranges-Ainé, Paris 1839, P.1.2.

او أنظر نسخة ديغرانج. مصدر سابق. ص ١ ـ٢

الشهابيين تأليف الأمير حيدر الشهابي تبدأ بهذا الشكل:

(ذكر ما حدث إلى الفرنساوية من الانشقاق والنفاق والخصام وخروجهم إلى الديار المصرية وما تم لهم بتلك الأمصار بنوع الاختصار، والحمد لله العلي الجبار الذي أراح منهم الديار)[1]

أما مقدمة النسخة التي نشرها غاستون فيت فهي:

(الحمد لله القيوم الأبدي الأزلي السرمدي الرب العلي المتعالي القوي الفعّال القدير القهار العزيز الجبار الرحمن الرحيم المدبر الحكيم الواحد الأحد لا ربّ غيره وسواه لا يعبد. من خلق السماوات وزينها بالكواكب السايرة والنجوم الزاهرة. وبسط الأرض واتقنها بحكمته الباهرة وقدرته القادرة وصنع الإنسان وولاه على ساير ما أبدع في دنياه وجمله بجوهر العقل الفايق والذهن الرايق وأمره بالسير على الحق وحفظ السنين وخلوص الود للخلق وترك الفتن.

نحمده سبحانه جلّ شأنه حمداً يليق بعزته تعالى. ما طلع بدر وأشرقت غزالة)[2].

أما مقدمة مخطوطة المعلوف ((ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية)) وتبدأ بما يلي:

((فحق لنا أن نؤرخ في هذا الكتاب لانتفاع الطلاب ما حدث من التغير والانقلاب مما أجرته يد الأقدار))[3]. وتتابع المخطوطة على نحو ما جاء في

(١) راجع: حيدر الشهابي، لبنان في عهد الامراء الشهابيين، ج ٢، ٤٥، ص ٢١٣.

(٢) Nicolas - Turk, chronique d'Egypte 1798-1804 editée et traduite par Gaston viet publication de la bibliotèque privée des S.M. Farouk premier, roi d'Egipte 1950 P. 1

بدلاً: راجع نسخة ڤيت، مصدر سابق، ص ١.

(٣) أنظر: عيسى اسكندر المعلوف، «تواريخ الامبراطور نابليون الاول باللغة العربية»، مجلة المشرق، مجلد ٢٩، (١٩٣١) ص ٢٨٥.

نسخة ديغرانج(١) من بعد خسرانهم وذلك بظهور فرد أفرادهم وقايد أجنادهم الليث الشديد والبطل الصنديد أمير الجيوش الأمير بونابارته وذكر الحروب التي ثارت بتلك الممالك وحدوث الشرور والمهالك وقهر البلاد التي اتصلوا إليها والإنتصارات العظيمة التي حصلوا عليها. بانتقالهم الغريب من الغرب إلى الشرق ومرورهم العجيب أسرع من البرق ونزولهم على جزيرة مالطة(١) كالصواعق الهابطة وفتوحهم ثغر الإسكندرية واستيلايهم على الأقطار المصرية وذكر ما تم لهم من التمليك في حروبهم مع جملة الغز المماليك(٢) ومسيرهم على الأقطار الشامية ومحاصرتهم لمدينة عكا القوية(٣) مسكن ذاك الوزير الجبار

---

(١) جزيرة مالطة: هي دولة جزيرية في المتوسط، تقع في وسطه على بعد ١٠٠ كم من صقلية، وهي جزء من ارخبيل يحتوي عدة جزر، احتلها الرومان والبزنطيون، ثم العرب في عام ٨٧٠م، والنورمان عام ١٠٩٠م، الذين طردوا المسلمين منها وأقاموا فيها حكماً مسيحياً، وفي عام ١٥٢٢ أعطاها شارل كانت لاسبتارية القديس يوحنا، بعد أن طردهم الاتراك من رودوس وقد أنهى حكمهم على هذه الجزيرة نابليون بونابرت بتاريخ ٦ حزيران ١٧٩٩، للتوسع حول تاريخ هذه الجزيرة راجع: J. Gadechot: Histoire de malte' (coll que sais je) Paris- 1952

(٢) الغز: أطلق العرب إسم غز على أول المجموعات التركية التي عرفوها، والغز شعب تركماني سكن في القرن التاسع والعاشر في خوارزم وبخارى، وكان خلفاء بغداد يجلبون الغز من هناك ويجعلونهم «حرساً خاصاً لهم» وبارتباط هذا الشعب مع أولاد سلجوق، استولى بالتتابع على بلاد فارس، وبلاد ما بين النهرين وسورية وآسيا الصغرى. أما بالنسبة لمصر فقد كان الخلفاء الفاطميون يجلبون العبيد من الغز من شرق البحر الكسباني ولقد اختلطوا في القاهرة مع عبيد السلاطين السابقين، الذين كانوا يعلموهم الفروسية والحرب، ومنذ ذلك الحين أُعطيَ هم إسم «ملوك غزي»، ومع الزمن لم يكتفِ السلاطين بجلبهم من بلاد التركمان، بل من القبائل التي تسكن عند سفح جبال القفقاس ومن الشراكسة أيضاً.
أنظر: زكار، سهيل، مدخل تاريخ الحروب الصليبية، بيروت ١٩٧٢، ص ٢٢ - ٢٦.
أنظر: Descripition de l'Egypte, Vol. XV, P. 323

(٣) عكا: مدينة في فلسطين، تقع على شواطىء المتوسط، إحتلها الصليبيون عام ١١٠٤ ودارت حروب بينهم وبين صلاح الدين الايوبي حولها، لكنها بقيت بأيدي الصليبيين حتى استردها الملك الاشرف عام ١٢٢٩ تهدمت على إثرها المدينة، لكنها عادت واستعادت مركزها في منتصف القرن الثامن عشر زمن ظاهر العمر الذي أعاد بناء أسوارها، وكذلك زمن أحمد باشا الجزار، وفتحها ابراهيم باشا عام ١٨٣٢.
أنظر: Encyclopédie de l'Islam, 1er, ed, Paris, 1913-1938, Vol.I, P. 244

المعروف بأحمد باشا الجزار[1] ورجوعهم إلى أرض مصر وما تم لهم في ذلك العصر وكفاجهم مع الدولتين العظيمتين الدولة الإنكليزية[2] ومصادماتهم للعساكر البرية والبحرية وخروجهم من مصر القاهرة بالتسليم من بعد حروبٍ وافرة وهول عظيم وذلك في مدة ثلثة أعوام في التمام ابتداها من شهر محرم الحرم افتتاح عام ألف ومايتين وثلثة عشر هجرية وآخرها شهر ربيع الثاني عام ألف ومايتين وستة عشر بالهجرة الإسلامية ثم يتلوه ذكر تملك الدولة العثمانية والدولة الإنكليزية من بعد خروج الدولة الفرنساوية وما تم لهم مع زمرة الغز المصرية[3]. أنه في سنة ١٧٩٢ مسيحية الموافقة لسنة ١٢٠٧ هجرية[4] حدث في مدينة باريز بلبلة عظيمة إذ هاج شعب هذه المملكة هياجاً عظيماً وتظاهر ظهوراً جسيماً ضد السلطان والأمرا والإشراف في يومٍ كان شديد الإرتجاف وأبرزوا الكمين منذ أعوام وسنين وطلبوا نظامات جديدة وترتيبات حديثة وادّعوا أن وجود السلطان بصوت منفرد أحدث خراباً عظيماً في المملكة وأن أشرافها يتنعّمون في خيراتها وباقي شعوبها يكابدون أتعابها ومشقّاتها فلأجل

(١) أحمد باشا الجزار: ولد في بوسنة عام ١١٣٢ هـ ١٧٢٠م رحل إلى القسطنطينية حيث باع نفسه لاحد تجار العبيد، ثم ذهب إلى مصر ودخل في سلك المماليك، ولقب بالجزار لقتله العربان في مصر، أكرمه علي بيك الكبير على عمله هذا، ولقبه بـ /بيك/ ثم ساءت سيرته في مصر فعاد إلى القسطنطينية، ثم هرب إلى سورية، والتجأ إلى يوسف الشهابي والي جبل لبنان، وفي عام ١١٨٧ هـ - ١٧٧٣م - جعله الامير يوسف متسلماً من قبله على بيروت، ولكنه ثار على هذا الامير وصادق ظاهر العمر، ولكنه خانه ووقف مع الدولة ضده، فأعطي ولاية عكا مكافأة له ثم ولاية صيدا وسمي وزيراً، وتولى دمشق ثلاث مرات، إشتهر بصده نابليون من أمام عكا، توفي عام ١٢١٩هـ الموافق ١٨٠٤. انظر - الشهابي، تاريخ أحمد باشا الجزار، ص ٦٧، ٧٠، ٧٩، ٢٧٨، ٢٩٢، ٢٩٥.

انظر ايضاً: عبد الرزاق البيطار، حلية البشر، تحقيق محمد بهجت البيطار، دمشق ١٩٦١ - ١٣٨٠، ج١، ص ١٢٧ - ١٣١.

(٢) الدولة الانكليزية والدولة العثمانية هكذا وردت في نسخة ديغرانج ص ٣.

(٣) (العز المصرية والمماليك المحمدية من بعد فتوحهم مصر الكنانة وبالله القوة والاعانة) هكذا وردت في نسخة ديغرانج، ص ٣.

(٤) ورد في مخطوطة المعلوف سنة ١٧٩٠. أنظر: المعلوف، تواريخ الامبراطور نابليون بونابرت باللغة العربية، المشرق، مجلد ٢٩ عام ١٩٣١، ص ٢٨٩ ولكن التاريخ هو ١٧٩٢ عند ديغرانج، ص ٣ وعند الشهابي ص ٢١٣ وعند ڤييت، ص ٢.

ذلك نهضوا جميعهم سوية تلك الشعوب الفرنساوية ودخلوا إلى سراية الملك فخاف منهم خوفاً عظيماً مع أرباب دولته وسألهم عن مرامهم والسبب الداعي إلى قيامهم فأعلموه أنه من الآن وصاعداً لا يبرز الملك أمراً أو يبثّ راياً من تلقاء ذاته بل يكون بثّ الأحكام والترتيب والنظام بموجب ديوان عظيم[1] ومحفل جسيم ويكون الملك له الصوت الأول ثم من بعده مشايخ الشعب الذين عليهم المعوّل فبذلك يهون الصعب ويرتفع الظلم عن الشعب فلما فهم الملك لويس[2] قيام هذا الشعب المذكور وما أبدوه من تلك الأمور أجابهم وأيضاً أنا أودّ عمار هذه المملكة وخيرها وأطيع لما تروه مناسباً لرفع ضرّها وضيرها فقالوا له إن كنت كما زعمت أختم لنا الشروط التي تلايم إصلاح هذه المملكة وقيام المشيخة فقبل ذلك خوفاً من الشعب وختم لهم الشروط التي قدموها له ثم بعد أربعة أيام جهّز الملك نفسه للهرب وخرج ليلاً من مدينة باريز وصحبته أخوه وبعض أصحابه قاصداً الأنبراطور[3] ملك النمسا[4] لأنه كان نسيبه وعندما

---

(١) ديوان، تختلف المصادر حول أصل هذه الكلمة. البعض يقول أنها فارسية والآخر يذكر أنها عربية: وهي مجلس إستشاري حكومي يرأسه الحاكم أو الوزير أو الوالي؛ راجع:

M. D'Ohsson, tableau générale de l'empire ottoman, 7 Vols (Paris 1788-1824). Vol. VIII P. 213.

وقد استخدمت هذه الكلمة قبل العهد العثماني للدلالة على دائرة معينة أو على الادارة بكاملها. أما في العهد العثماني فقد استخدمت للدلالة على اجتماع رسمي يرأسه السلطان. كما أطلق إسم ديوان على إجتماعات الوالي والدفتردار واغا الانكاشارية في الولايات.

أنظر: H.A.R. Gibb and H. Browen, Islamic Society and the west (2 Vols) London (1950-1957) Vol. I, P. 115 et suiv.

ولقد كان الديوان مركز الإدارة في الدولة العثمانية وظل السلطان يرأسه حتى القرن السابع عشر ثم تولى رئاسته الصدر الأعظم للتوسع راجع: B. Lewis, art "Diwan" dans L, Encyclopedie de l'Islam, 2em. ed. Vol. II, P. 347-349.

(٢) هو الملك لويس السادس عشر. فرساي ١٧٥٤، باريس ١٧٩٣. ملك فرنسا من عام ١٧٧٤ حتى ١٧٩١ ثم ملك الفرنسيين من عام ١٧٩١ - ١٧٩٢ وأنهت الثورة الفرنسية حكمه:

أنظر: La grande èncyclopedie larousse 1974. Vol. 12, P. 738-7332

(٣) الانبراطور: تحريف للكلمة الفرنسية «Empereur»

(٤) ملك النمسا: هو الامبراطور ليبولد «Leopold» ١٧٤٧ - ١٧٩٢ دامت فترة حكمه من ١٧٩٠ - =

بلغ مشايخ الشعب خروج هذا الملك جدوا في طلبه فوجدوه في إحدى اللوسطاريات التي في الطريق فقبضوا عليه ورجعوا به إلى المدينة ووضعوه في السجن مع امرأته(١) وولده وبدا جميع الشعب يصيح صارخاً فليقتل الملك بموجب الشريعة لأنه نكث في عهده مع شعبه وقد هرب لكي يلتجي إلى ملك النمسا الذي هو أخو زوجته(٢) ثم أن بعدما سجنوا الملك أربعة أشهر أحضروه أمام الشعب في يوم الإثنين الواقع في الحادي والعشرين من كانون الثاني وقد أبرزوا عليه الحكم بالموت(٣) وبعد قتله كان حزناً عظيماً عند الذين كانوا من حزب الملك وأما الشعب فكان عنده سرور عظيم وصنعوا في مثل ذلك اليوم عيداً في كل سنة تذكاراً لقتل الملك وانتصار الشعب وكان ذلك في مبادي شهر أيلول في سنة ١٧٩٣ وجعلوه بدو سنتهم ولقّبوه تاريخاً للمشيخة(٤) وغيروا الأشهر النصرانية ورتبوها أشهر جديدة وسموها أسامي مختلفة وأبقوها ثلثين يوماً على خلافها عدتها الأولى وفي ذلك الوقت رفضوا الديانة وأقفلوا الكنايس والأديرة الرهبانية وقتلوا الرهبان والراهبات وعدة من الأساقفة(٥) ورموا

= ١٧٩٢.

La grande encyclopédie larousse 1974 Vol. 12 P. 70 :أنظر

(١) (أما أخوه فإنه نجي منهم وأسار إلى بلاد النمسا) هكذا وردت في نسخة ديغرانج، ص ٤.

(٢) (زوجته الذي قد تسبب لنا هذا الخراب بسببها) هكذا وردت في نسخة ديغرانج، ص ٤.

(٣) ورد في النسخة التي حققها ديغرانج، وصية للملك لويس السادس عشر قبل إعدامه، وكذلك في كتاب الامير حيدر الشهابي، «لبنان في عهد الامراء الشهابيين»: أنظر: ديغرانج، ص ٤ - ١١ الشهابي، ج ٢، ٣، ص ٢١٥ - ٢١٨.
لكننا لا نجد هذه الوصية في نسخة ڤييت.

(٤) تعطى كلمة شيخ للشخص الذي يبرع في النحو من العلماء، والشيخ هو أحد أعضاء مجلس البلدية، ويقال مشيخي يعني جمهوري Républicain.
أنظر: Dozy, Supplement aux dictionnaires arabes 2eme ed.: Paris 1927, Vol.I, P. 809, 810.
واستعمل الترك هذا التعبير للدلالة على حكومة الادارة في فرنسا.

(٥) الاسقف، الاصل في هذه الكلمة، الملك المتخاشع في مشيته أو العالم. وعند النصارى الاسقف رتبته فوق القسيس ودون المطران، وهذه الكلمة معربة عن اليونانية، أنظر: معجم قطر المحيط، بطرس البستاني، بيروت ١٨٦٩، مادة سقف.

الأيقونات(١) وكسّروا الصلبان وكان خراب عظيم في تلك المملكة وأهوال متلفة مهلكة وحدث عدة مواقع بينهم وبين حزب السلطان ٣-أ ولا زالت تزداد وتنمو الأحقاد وتتجند الأجناد وتهلك العباد حتى ضعف حزب السلطان وقوية(٢) شوكة المشيخة قوةً عظيمةً وبعد أن اعتدَلَ ميزانها ووطدت أركانها وأهلكوا أخصامها فانفدوا كتابات لساير الملوك يعرفونهم عن تأييد مشيختهم وهذا ما تضمنته كتاباته أن كل من يقر بمشيختنا فهو حبيب لنا ومن لم يقر بمشيختنا فهو عدوٌّ لنا ويستعد إلى محاربتنا لأننا قد استعدينا أن نحارب المسكونة بأسرها ثم كتبوا مثَل ذلك إلى الدولة العثمانية وقد كانت هذه الدولة المذكورة من قيامها متحدة مع الدولة الفرنساوية دايماً فقبلت كتابتهم وقرّت بمشيختهم وأما الملوك الأفرنجية حين وصلتهم كتابة الفرنساوية نهضوا جميعاً باتفاق على قدمٍ وساق ٣-ب وعزموا على حرب ذلك الشعب الخارج عن الأسلوب ليلا تتشبّه به بقيّة الشعوب فأول من أشهر عليه بالحروب ملك النمسا الأمبراطور لأنهم قد قتلوا شقيقته(٣) وزوجها ملكهم ثم نهضت ضدهم دولة الإنكليز ثم سلطان اسبانيا ثم سلطان إيطاليا ثم البابا سلطان مدينة رومية العظيمة وباقي سلاطين بلاد أوروبا ولكون أن شعب هَذه المملكة هو أوفر عدداً من ساير الشعوب فاعتصبوا جميعهم عصبةً واحدة واستعدوا لحرب جميع مضاديهم وخرجوا من مدينة باريز إلى قتال أعدائهم والواردين عليهم من كل ناحية وابتدوا يحاصروا مدينة بعد مدينة ومملكة بعد مملكة وهم في عساكر كالبخار الزاخرة بالات الحرب الوافرة والقوّات القادرة إلى أن اشتهر بأسهم واقتدارهم وانتشر تملكهم وانتصارهم وتملكوا حصوناً وقلع وبلدان وضيع واستولوا على ممالك بلاد إيطاليا وكانت

(١) الايقونات: هي صور القديسين الخاصة بالكنائس الشرقية، وتكون الايقونة مرسومة عادةً على قطعة خشبية انظر: Art Icone dans la grande encyclopédie larousse 1974, Vol. 10, P. 60. 99. 6100.

(٢) الصحيح قويت.

(٣) شقيقته: هي الملكة ماري انطوانيت ملكة فرنسا، فيينا ١٧٥٥، باريس ١٧٩٣.

حكم أحد عشر سلطاناً. [٤-أ] وامتلكوا عدة قلع من بلاد النمسا وكان ذلك الإنتصار والتملك عن يد ذلك الليث الظاهر والأسد الكاسر الفرد الفريد والبطل الصنديد أمير الجيوش بونابارته وكان هذا من بعض كبار المشيخة الفرنساوية وكان قصير القامة رقيق الجسم أصفر اللون باعه اليمين أطول من اليسار مملواً من الحكمة مشمولاً بالسعد والنعمة يبلغ من العمر ثمانية وعشرين سنة وهو طلياني الأصل من جزيرة كورسيكا[١] وتربيته في مدينة باريز كرسي دولة الفرنساوية وعندما اقتربت تلك الجيوش الفرنساوية إلى كرسي مملكة الأمبراطور ملك النمسا[٢] عقد أمير الجيوش بونابارته صلحاً مع الملك الأمبراطور على شروطٍ مكتومة غير ظاهرة[٣] ونهض من هنا سايراً إلى مملكة البندقية[٤] ودخل دخولاً عجيباً لأن مدينة البندقية هي [٤-ب] بكر الأبكار لكون أنها من حين ما بنيت وقامت مشيختها قط ما دخلها داخل ولا سطا عليها عدو واستولى على جميع مدنها وجزايرها وتملك على كنوزها وذخايرها ثم أنه سلَّم

(١) جزيرة كورسيكا: هي جزيرة في المتوسط ذات موقع تجاري هام بين الشرق والغرب. إجتاحها الرومان ثم البرابرة ثم أصبحت تابعة للملوك الكارولونجيين وارتبطت منذ عام ١٣٩٦ بالمملكة الفرنسية وحدث فيها في الربع الأخير من القرن الثامن عشر حركة تمرد للاستقلال عن فرنسا. وضمت نهائياً إلى فرنسا في عهد الثورة الفرنسية. للتوسع راجع:
P. Antonettie, histoire de la corse (Laffont. 1973).

(٢) ملك النمسا، هو الامبراطور فرانسوا الثاني (١٧٦٨ - ١٨٣٥) تولى الحكم عام ١٧٩٢-حتى عام ١٨٣٥، راجع: La grande encyclopédie larousse art. " Autrich ", Vol.3, P. 1306.

(٣) المقصود هنا صلح كمبو- فورميو (Compo Formio) الذي عقد في ١٨ نيسان عام ١٧٩٧ بين النمسا وفرنسا وفيه تنازلت فرنسا للنمسا عن جزء من أراضي جمهورية البندقية مقابل تنازل النمسا عن بلجيكا وحدود الراين ولومبارديا. للتوسع راجع:
Octave Aubry, la revolution française, la republique, 2 vols, (Paris. 1945), Vol. II, P. 397-401,

(٤) البندقية: هي مدينة ايطالية. تقع في قلب البحر الادرياتيكي على مفترق طرق اوروبا المركزية. وهي مشهورة بكونها مبنية وسط لسان على أرخبيل بحري يحتوي ١٢ جزيرة صغيرة تبتعد عن اليابسة مقدار ٤ كم. وقد ازدهرت منذ القرن العاشر كمركز لجمهورية ارسطقراطية. وبلغت أوجها من عام ١٢٠٤ حتى ١٤٥٣. وكانت مركزاً هاماً للاشعاع الفكري والفني في عصر النهضة للتوسع راجع
P. Braunstein et R. Delort, Vemise, portrait historique d'une cité, (Paris, 1971).

مدينة البندقية إلى ملك النمسا وأبقى جزيرة كورفو[1] له ووضع بها ستة آلاف صلدات[2] ومن هناك سار بالجيوش إلى مدينة رومية العُظما وبعد حروبٍ شديدةٍ وأيامٍ عديدةٍ مع عساكر البابا تملك رومية وهزم البابا واستولى على كنوزه وذخايره وسلب أموال أهل الجزيرة وخرب نظام تلك المدينة الجليلة وأهان طغمة الإكليركيين والرهبان وازدرى بالذخاير والصلبان وكان اضطهادٌ عظيم على المسيحيين وكثير من أهل رومية تبعوا رأي الفرنساوية ومكث مدة في رومية وأتى إلى مدينة باريز وكانْ مدة حروبه في البلاد المذكورة الإفرنجية ستة سنوات وطاعتهم غالب البلاد المذكورة[3] وقد كانت الفرنساوية جهّزت عمارة عظيمة في طولون وكان عدتها أربعماية وخمسين مركباً وعدة عساكرها ستين ألفاً وروسا العساكر ستة وعشرون رجلاً معروفين بالشجاعة والقوة والبراعة وعدة الصلدات الحربية ستة وثلثون ألفاً وباقي العساكر فيسالية[4] وأصحاب صنايع ونوتية[5] وحين تمّت العمارة ركب بها وصار طالباً جزيرة مالطة وعندما وصل إليها حاصرها مدة قليلة وافتتحها في شهر أيار المطابق إلى شهر ذي القعدة سنة

---

(١) جزيرة كورفو: جزيرة يونانية تقع في البحر الايوني، ويفصلها مضيق كورفو عن البحر اليوناني، تبلغ مساحتها ٥٨٩كم٢، لم يستطع العثمانيون احتلالها واصبحت هذه الجزيرة فرنسية بموجب معاهدة كمبوفورميو.

أنظر: Encyclopédie de l'Islam, art «Corfou», 2em ed. (Vol. V) P. 266.

(٢) صلدات: تحوير للكلمة الفرنسية Soldat وتطلق هـذه الكلمة عـلى المحاربـين في الجيوش الاوروبية، ويقال في التركية صولتات، وصولطاط.

أنظر: Barbier de Meynard, dictionaire Turc - Français, Paris, 2 Vol, 1886, Vol.II, P. 234

ويقول دوزي: صلدات كلمة رومانية الاصل وتعني عساكر،

أنظر: Dozy, Vol. I P. 843

(٣) وردت هذه الكلمة مشطوبة في المخطوطة.

(٤) فيسالية: مفردها فيسال، وهي كلمة مأخوذة عن الكلمة الايطالية Uffiziale ويطلق هذا التعبير على ضباط الجيوش الاوروبية انظر: ڤييت، ص - ٣٠٦.

(٥) نوتية: مفردها نوتي وتعني بحار أو ملاح، «وهو الذي يرفع ويحرك بواسطة مخل»

أنظر: Dozy, Vol.II, P. 733.

١٢١٢ هجرية بعد قيام تلك المشيخة بخمسة سنين وقيل أن ذلك كان بولس[١] الكوليرية[٢] الفرنساويين الذين كانوا موجودين بها وبعد توليهم على مدينة مالطة رفعوا منها الحكام الكوليرية الذين كانوا موجودين من قبل ساير الملوك الإفرنجية وأطلقوا الماسورين بها من الإسلام وأرسلوهم إلى بلدانهم بالسلام وأوعدوهم بأن ما عاد يصير استئسار على الإسلام من المالطية على الدوام ثم أمرهم أن يبشّروا بذلك في جميع بلدان المسلمين[٣] ويشكروا بذلك فضل الفرنساوية وبعد ذلك وضع في مدينة مالطة ستة آلاف مقاتل من الفرنساويين وأخذ عوضها من المالطيين وصار[٤] في تلك النية قاصداً مدينة الإسكندرية هذا ما كان من أمير الجيوش بونابارته وأما الإنكليز لما بلغهم خروج هذه العمارة العظيمة وظنوا أنهم قاصدين بلدانهم فحصّنوا ثغورهم ومكاناتهم ولما حققوا أنهم قصدوا الديار المصرية جهزوا أربعة عشر مركباً بكلك[٥] كبار وساروا إلى محاربتهم لأنه كان بين الإنكليز والفرنساوية عداوة عظيمة وحقود قديمة وقد تسلموا بعض البلدان في الهند كانت للفرنساويين[٦]

---

(١) الصحيح بواسطة

(٢) الكوليرية: كلمة مأخوذة من الكلمة الايطالية Cavalière أي الفارس، ويقال في التركية قوالير، أنظر: Barbier de Meynard, Vol.II, P. 544
والمقصود هنا فرسان القديس يوحنا في مالطة، وهم طائفة دينية كانت تعرف باسم «اسبتارية القديس يوحنا الاورشليمي، وقد تولوا حكم مالطة منذ عهد شارل كانت وقد قضى نابليون على حكمهم. للتوسع راجع: C.E. Engel, histoire de l'ordre de Malte (Nagel, 1968)

(٣) يذكر المؤرخ الجبرتي، أن الفرنسيين قد أرسلوا جواسيسهم مع من أُطلق سراحهم من الاسرى المسلمين في مالطة، وقد كانت مهمة هؤلاء الجواسيس إقناع الشعب المصري بأن الفرنسيين ضد الأسر، ولتثبيط عزائم الشعب عن قتالهم.
أنظر: الجبرتي، عبد الرحمن، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس، ج ١، ص ٥٧

(٤) الصحيح وسار

(٥) كلك: جمع للكلمة التركية «كوله، كله» وهي كلمة مأخوذة من الفارسية إلى التركية وتعني بالفرنسية Boulet أي كرة من الحديد تستخدم لتعبئة المدافع، أو قنبلة، أي كرة من المعدن مجوفة ومليء بالبارود
أنظر: Dozy, vol. II, P. 480. cf. Barbier de Megnard, Vol. II, PP. 642, 660, 675

(٦) المقصود هنا مستعمرات الفرنسيين فى الهند الشرقية.

وبهذا السبب كان مسير الفرنساويين إلى الديار المصرية مؤملين أنه بعد تملكهم الأمصار المصرية يستسيرون في بحر السويس إلى بلاد الهند لأن المسافه قريبة وحين دخلت مراكب الإنكليز ثغر الإسكندرية أرسلوا قارباً يطلبون حاكم المدينة فتوجه إلى مقابلتهم كمركجي[1] الإسكندرية السيد محمد كريم[2] الذي كان متروساً[3] من قبل الأمير مراد بيك[4] وبعد وصوله للمراكب سألهم عن سبب قدومهم فأخبروه أنهم طالبون عمارة الفرنساوية لكي يصدوها عن الدخول إلى ثغر الإسكندرية فارتاب السيد محمد كريم وقال في نفسه ما هذا إلاّ خداعٌ عظيم وأجابهم أن الفرنساوية غير ممكن أنهم يحضروا لبلادنا ولا لهم في

---

(١) كمركجي: كلمة مشتقة من الاسم المفرد كمرك، وجمعها كمارك وهي كلمة مأخوذة من مفردات اللغة اللاتينية العامة «Comorcium» وتعني المكوس وكمركجي هو إسم الشخص الذي يمارس مهنة فرض المكوس على البضائع الداخلة إلى البلاد.
أنظر: Barbier de Meynard, Vol. II, P. 648, Dozy, Vol. II, P. 439

(٢) السيد محمد كريم: يقول الجبرتي في ترجمته «كان في أول أيامه قباناً يزن البضائع في حانوت بالثغر، ثم عمل وكيلاً بدار السعادة وكان له الكلمة النافذة في كفر رشيد واتصل بمراد بيك الذي رفع شأنه وقلده أمر الديوان والجمارك بالثغر فشدد على التجار وبالأخص على الفرنسيين «ولقد إتهمه الفرنسيون بالتآمر عليهم ويتابع الجبرتي «قبضوا على السيد محمد كريم وطالبوه بالمال وضيقوا عليه ثم قطعوا رأسه ومات يوم الخميس ١٠ ربيع الاول سنة ١٢١٣/١٧٩٨».
أنظر كتابه عجائب الآثار، ج ٣، ص ٦٢، ٦٣.

(٣) متروساً: أن الشخص الذي يمارس هذه الوظيفة، يكلف عادةً بتحصيل الضرائب، ومراقبة البضائع،
أنظر: Volney, voyage en Egypte et en Syrie Vol. I, P. 202, ef - Dozy, Vol. II, P. 508

(٤) الامير مراد بيك: يقول الجبرتي في ترجمته: هو من مماليك محمد بيك أبو الذهب، تزوج بالست فاطمة زوجة الامير صالح بيك، والست نفيسة سرية صالح بيك، ولما انفرد محمد بيك بإمارة مصر كان مراد بيك وابراهيم بيك أكبر أمرائه، فلما سافر محمد بيك إلى الديار الشامية محارباً لظاهر العمر ١٧٧٥ أخذ مراد بيك معه، ولما مات محمد بيك في عكا (١٠ حزيران ١٧٧٥) عاد مراد بيك إلى مصر مع مماليك محمد بيك واتفق الرأي بينهم على تولية ابراهيم بيك شيخاً للبلد، مع مشاركة مراد بيك له بالأحكام، وهربا معاً إلى الصعيد أثر قدوم حسن باشا (١٧٨٦) ثم رجعا وحكما مصر، وبلغ مراد بيك من نفوذ الكلمة في مصر ما لم يبلغه أحد، حتى جاء الفرنسيس، مات مطعوناً بسوهاج في رابع شهر ذي الحجة سنة ١٢١٥ ٨ نيسان ١٨٠١.
أنظر: عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣ ص ١٦٤ - ١٧١.

أرضنا شغل ولا بيننا وبينهم عداوة وجلبنا عليهم رداوة وهذا كلام غير ممكن أن نصدقه وأن حضروا كما تزعمون فنصدهم عن الدخول وليس لهم إلينا وصول وأما أنتم فليس لكم الإقامة بهذه الديار وإنما إذا جئتم تأخذون شيئاً من الماء والمأكل فلكم الإختيار فأجابوهُ الإنكليز أنتم لستم في هذا الحين كفؤاً لصد الفرنساويين ولكن سوف تندمون على عدم قبولكم إيانا وعلى ما يحل بكم تتحسرون(١) وفي الحال أقلعوا من مقابل الإسكندرية وكان ذلك في ثلثة عشر من شهر محرَّم افتتاح سنة ١٢١٣ هجرية فرجع السيد محمد كريم وهو حاير من ذلك البلا العظيم وفي الحال أعرض ذلك إلى مراد بيك والي مصر وفي ثالث الأيام من بعد قيام مراكب الإنكليز من ثغر الإسكندرية عند العصر نفد مركب عظيم في البحر ولما قرب إلى البوغاظ(٢) أرسل قارباً إلى أسكلة(٣) الإسكندرية يطلب قنصل الفرنساوية(٤) ولما ٧-أ بلغ أهلَ المدينة خافوا خوفاً عظيماً وعقدوا

---

(١) حول ظهور نلسن أمام الاسكندرية، والمحادثات التي دارت بينه وبين حاكم الاسكندرية، ثم رحيله

أنظر: F. Charles -Roux, l'Angleterre et l'expédition française, Vol. I, PP. 53, 54, 55.

(٢) البوغاظ: جمعها بواغيظ، أو بواغيز، كلمة تركية تعني مضيق، ويستعمل التعبير عند الاتراك للاشارة إلى البوسفور، وبوعاظ تعني أيضاً ذراع في البحر، أو مضيق، أو مصب نهر.
أنظر: V.Y. Parry, art Bougaze, encyclopédie de l'Islam 2[en] ed, Vol I, P. 1289-1290. cf. Dozy, Vol. I, P. 390. ef. Barbier de Meynard, Vol.I, P. 1289.

(٣) اسكلة: كلمة مأخوذة عن الكلمة الايطالية Scala جمعها أساكل، وتعني مرفأ، محطة بضائع المراكب،

أنظر: Barbier de Meniard, Vol. I, P. 55

ويقول دوزي، أن أصل الكلمة إسباني، ويعني سلم متحرك، أو لوح.

أنظر: Dozy, Vol. I, P. 23.

(٤) إن القنصل الفرنسي الموجود آنذاك في الاسكندرية هو لازار ماجالون (Lazare Magallon) وهو إبن أخ شارل ماجالون القنصل الفرنسي في مصر سابقاً، وقد كان يشغل منصب عمه منذ رحيل هذا الأخير إلى فرنسا.

أنظر: Henri, Deherain, histoire de la nation Egyptienne, sous la direction de Gabriel Hanataux 7 vols. l'Egypte Turque, Pacha et Mameluks au XVIII[eme] - siècle, l'expédition du général Bonaparte, Vol. V, Paris 1931 P.250

ديواناً واتفق رأيهم على عدم توجه القنصل وكان يومئذ مركب الريالة[١] في البوغاظ وقبطانه[٢] في المدينة فأمرهم أن يطلقوا القنصل وقال لهم وإن حصل سؤال عن ذلك فعليّ الجواب وسار في القارب إلى المركب ثم ما أغربت الشمس إلّا وأقبلت العمارة العظيمة التي ليس لها عدد فسقط على أهل الإسكندرية خوفٌ عظيم وهمٌّ جسيم حين نظروا وجه البحر تغطّى من المراكب وحرّر السيد محمد كريم يعلم مراد بيك عن قدوم تلك العمارة في هذه الألفاظ سيّدي أن العمارة التي حضرت مراكب عديدة ما لها أول يُعْرَف ولا آخر يوصف لله ورسوله داركونا بالرجال وفي تلك الليلة أرسل ثلاثة عشر ساعياً بلا خلاف وقد أيقنوا بالموت والتلاف.[٧-ب] وأما الفرنساوية بقوا تلك الليلة ينقلون العساكر من المراكب إلى البر بالقوارب إلى مكان يقال له العجمي[٣] بعيداً من مدينة

= الجزء الخامس هو المستعمل في هذه الدراسة لذا سنشير إليه إختصاراً (H. Deberain Vol. V)
حول الحديث الذي جرى بين هذا القنصل ونابليون على ظهر سفينة الشرق راجع: Marcel, Dupont, Napoleon en campagne, d'Arcole à Aboukir, (France 1950) P. 221

(١) الريالة: هي تحوير للكلمة الايطالية .(Reale) وأُعطيّ الاسم في الامبراطورية العثمانية للبارجة الحربية الاميرالية الثالثة.
أنظر: Encyclopédie de l'Islam, 1er ed, Vol III, P. 1243-1245.
واستخدم الاسم كصفة لقبطان هذه البارجة فيقال (ريالة بيك).
أنظر: D'Ohsson, tableau... op. cit. Vol. VII, P. 424

(٢) قبطان: كلمة مأخوذة عن الكلمة الايطالية .(Capitana) وجمعها قباطين وتعني قائد سفينة. وفي التركية قبودان باشا هو قائد الاسطول العثماني.
أنظر: Dozy, Vol. 11, P. 302.
وفي هذا العصر (أي نهاية القرن الثامن عشر) أعطي إسم قبطان لحكام مرافىء الاسكندرية ورشيد والسويس أنظر: ڤيت، ص ٣٠٨. ويقول الرافعي: القبودانات كانوا ثلاثة قباطين في ثغور دمياط والسويس والاسكندرية، وكانت هذه الثغور على جانب عظيم من الاهمية لأنها أبواب مصر.
أنظر: عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر (طبعة رابعة (١٣٧٣ هـ - ١٩٥٥ مصر). ج ١، ص ٢١.

(٣) العجمي: في أقصى شارع الميناء الغربي بالاسكندرية يوجد اللسان المعروف بجهة العجمي وتجاهه توجد الجزيرة المعروفة بجزيرة العجمي وكان لها برج إسمه برج العجمي، كما أن بها مسجداً يعرف الآن باسم مسجد الشيخ العجمي وهو لا يزال باقياً حتى الآن. أنظر: الرافعي، تاريخ الحركة القومية، ج ١ ص ١٥٨. ويقول المستشرق ديغرانج: هو إسم لبقعة من الارض واقعة على =

الاسكندرية مسافة ساعتين وعند الصبح نظرت أهالي البلد إلى العساكر في البر ليس لهم عدد ولا لهم على حربهم جلد فتأهبّت الإسلام إلى الحصار ومحاربة تلك الكفار واطلقوا المناداة اليوم يوم المغازاة ولكن إذ كانت المدينة مامنة من تلك الحوادث وغير مستعدة لمثل هذه النواكث[1] فما وجد في قلع هذه المدينة إلاّ قليل من البارود وأكثره كالتراب من طولة الأيام وعند طلوع الشمس هجمت عليهم تلك العساكر كالبحار الزواخر والأسود الكواسر فما مضى نحو ساعتين من النهار حتى تملكت الافرنج الأسوار ودخلت المدينة قوة واقتداز وكان ذلك في ١٥ محرّم [٨-أ] سنة ١٢١٣ الموافق لشهر حزيران سنة ١٧٩٨ وطلبت الأمان الرعية من العساكر الفرنساوية فأعطاهم أمير الجيوش[1] الأمان وعدم المعارضة والعدوان وكان قد قتل في ذلك النهار من المسلمينماية قتيل ومن الفرنساوية شي قليل وانجرح جرحاً كبيراً الجنرال كليبر[2] ثم حضرت قدام أمير الجيوش أعيان[3] البلد فتوسلوا إليه فترحب بهم وأمنّهم واختار منهم سبعة أنفار من

= شاطىء مصر على بعد ستة أميال بحري، غرب الاسكندرية، وتواجه المكان الجزيرة التي يوجد بها برج مريوط، الذي يسميه الاورويبون برج العرب، وفي هذا المكان قام الفرنسيون بأول إنزال لهم في شهر حزيران ١٧٩٨. أنظر: ديغرانج، ص ٢٧٨.

(١) حول تحصينات الاسكندرية كتب الرحالة الفرنسي «فولني» ما يلي: «إن الاسكندرية ليس لها أية قدرة دفاعية ولا يوجد بها قلاع هامة، فقلعة المنارة بأبراجها العالية لا تصلح للدفاع. إذ ليس فيها سوى أربعة مدافع صالحة، ورماتها لا يحسنون الرمي بالقنابل وحاميتها المؤلفة من خمسمائةانكشاري قد هبط عددهم إلى النصف».

أنظر: C.F. Volney, voyage en Egypte et en Syrie, 2 vols (Paris 1787). Vol. I, P. 28

(٢) أمير الجيوش: هو الجنرال نابليون بونابرت، ويطلق الترك عليه أحياناً إسم «ساري عسكر»

(٣) الجنرال كليبر: هو الجنرال الفرنسي Kleber ولدَ في ستراسبورغ عام ١٧٥٣، وتطوع في الجيش عام ١٧٩٢ ثم أصبح قائداً لجيش الريف، حكم مصر بعد رحيل بونابرت واغتيل عام ١٨٠٠ على يد سليمان الحلبي:

راجع: G. de la Jonquiere, l'expédition d'Egypte (1798-1801), 5. Vol. Paris (1899-1907) Vol. V.P. 650

(٤) أعيان: هم طبقة من وجهاء الولايات العثمانية وبرزت هذه الطبقة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وهم عادةً من ملاكي الأراضي، وفي القرن الثامن عشر كان الاعيان على ما يقال هم الذين يشرفون على الادارة المدنية والمالية في المدن، أنظر: جب وباون، المجتمع الإسلامي =

الأعيان الكبار وهم الأستاذ(١) الفاضل والحاذق العاقل الشيخ محمد المسيري(٢) العالم العلامة والمشهور بالفضل والكرامة ثم السيد محمد كريم عين الأعيان وريس الديوان ومعهم خمسة أنفار من أهالي الاسكندرية الاخيار وقلدهم زمام الأحكام وما تحتاج إليه البلد من النظام وأن كل يوم يعملوا ديوان مشهور ويحكموا بما بينهم من الأمور وقال لهم إنه على مقتضى الحرية يجب أن تتقلد ٨-ب الأحكام عقلاً الرعية لأن الخلق عند الله كلّ بالسوية وليس يتفضل أحد على الآخر إلّا بالعقل والنية وبعد ذلك آمر باحضار المطابع التي احضرها معه من مدينة رومية وكانت تطبع في اللغة الفرنساوية ولغة اللاتينية واليونانية والسريانية والعربية وكتب فرمانات(٣) وطبعها في العربية ووزعها على الديار المصرية وهذه صورتها حرفاً فحرفاً

= والغرب ج ١، ص ٢٧٨. وأعيان هي جمع كلمة «عين» أي رئيس، وهم المنظورون في البلاد، ويشغلون وظائف البلديات، وينتخبون من مواطنيهم، وتوافق الدولة على انتخابهم للتوسع راجـع: H. Bawon, art (ayan) dans l'encyclopédie de l'Islam, 2ème, éd, Vol.I, P. 801. ef. Barbier de Meynard Vol. , P. 73, 74

(١) الصحيح الاستاذ.

(٢) الشيخ محمد المسيري: هو فقيه مالكي، من مشايخ وعلماء وأعيان الاسكندرية، كان له دورٌ هام حتى بعد خروج الفرنسيين من مصر. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٢٦٦، ٢٧٦، ج ٤، ص ٥١، ٥٦ وحول دور هذا الشيخ أنظر: الرافعي ج ٤، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ولنقولا الترك شعر في مدح هذا الشيخ عندما كان في بيروت عام ١٨١٢ أنظر: الترك، ديوانه الشعري، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٣) فرمان: من الكلمة الفارسية (فرامانا) وتعني أمر، وهو الأمر الذي يصدر عن السلطان، والموجه إلى مقاطعات الامبراطورية.

أنظر: Barbier de Meynard, Vol. II, P. 412

وتختص الكلمة بالأوامر المكتوبة، وقد انتقلت هذه الكلمة من التركية إلى الفرنسية للتوسع راجع: H.Busse art «Faraman» dans l'encyclopédie de l'Islam, 2ème ed, Vol. II, P. 822-823.

بسم الله الرحمن الرحيم
لاإله إلاّ الله لا ولد لهُ ولا شريك
بملكه

من طرف الجمهور الفرنساوي المبنيَ على أساس الحرية والسر عسكر الكبير(١) بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية نعرف أهالي مصر جميعهم أن من زمان مديد السناجق(٢) الذين يتسلطون في البلاد المصرية يعاملون بالذل

(١) السر عسكر: إسم مركب من كلمتين، عسكر العربية، والسر الفارسية من «سار» وتعني قائد الجيوش، وتأتي بشكل الساري عسكر، صاري عسكر، وجمعها سواري عسكر.

أنظر: Dozy, Vol. I, P. 649

وأعطي إسم سر عسكر لوزير الحربية في الامبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر، في حين أعطي هذا الاسم في هذا العصر لرؤوساء الجيوش.

راجع: B. Lewis, art. «Askar» dans l'encyciopédie de l'Islam, e[eme], ed, Vol. I, P. 861.

(٢) السناجق: مفردها «سنجق» وهي كلمة تركية، ويقال سنجاق، صنجاق، أو صانجاق، وهي تعني لواء أو راية، على اعتبار أن العلم هو إشارة إلى السلطة الملكية، لذا أطلق على حكام الاقاليم في الامبراطورية العثمانية لقب «سنجاق» باعتبارهم أمراء العلم، وكان السنجاق أصغر الاقاليم الادارية، وهو مقسّم إلى عدد من الوحدات، كل واحدة منها تسمى «قضاء»، ويقيم في كل قضاء قاضي مسلم يتولى الشؤون الشرعية.

أنظر: Gibb and Bowen, Islamic society... op. cit. Vol.I, P. 139

ويقول حتي: إن كلمة صنجاق أصبحت فيها بعد تعني وحدة إدارية، ولقد ورث الاتراك هذه المصطلحات عن السلاجقة. أنظر: فليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٤٤٠.

ويقال السنجاق بيك، أي ما يقابل بالعربية أمير اللواء، الذي أخذ إسمه من إسم المنطقة التي يتولى إدارتها،

أنظر: Dozy, Vol. II, P. 419

ومنها الصنجقية التي قد تكون مجرد رتبة دون أن يكون حاملها حاكماً لصنجاق، وكان على الصناجق أن يؤدون مال الميري للحكومة نظير وظائفهم.

راجع مقال: Tugh dans Encyclopédie de l'Islam, 1[er] ed, Vol. Iv, P. 154-156.

وقد كانت مصر مقسّمة في هذا العصر إلى ستة عشرة مديرية تسمى كل منها سنجقية، أنظر: الرافعي، تاريخ الحركة القومية ج ١، ص ٦٠

والإحتقار في حق الملة الفرنساوية ويظلمون تجارها بأنواع البلص[1] والتعدّي. فحضرت الآن ساعة عقوبتهم وحسرت[2] من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من جبال الاباذا[3] والكرجستان[4] يفسدوا في الأقاليم الإحسان[5] ما يوجد في كرة الأرض كلها فأما رب العالمين القادر على كل شيء قد حتم في انقضاء دولتهم يا أيها المصريون قد يقولوا لكم إنني ما نزلت في هذا الطرف إلّا بقصد إزالة دينكم وذلك كذب صريح فلا تصدقوه وقولوا للمفترين إنني ما قدمت إليكم إلّا لكيما أخلص حقكم من يد الظالمين وأنني أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى واحترم نبيّه محمد والقران العظيم وقولوا لهم أيضاً إن جميع الناس متساوين عند الله وأن الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم بعض فهو العقل والفضايل والعلوم فقط وبين المماليك ما العقل والفضل والمعرفة التي تميزهم عن الآخرين وتستوجب أن يتملكوا وحدهم كلما تحلو به حيوة الدنيا حيثما يوجد أرض مخصبة فهي للمماليك والجوار[6] الجمال والحلل

---

(١) البلص: بلص فلان من ماله، أي أخده منه: (قطر المحيط مادة بلص). والمقصود هنا أموال التجار الفرنسيين التي كان المماليك يأخذونها منهم ظلماً. وهو من الاسباب التي تذرعت بها فرنسا لغزو مصر.

(٢) الصحيح: وحصرت.

(٣) الاباذا: أو جبال القفقاس، وهي عبارة عن تتابع سلسلتين جبليتين متوازيتين، الأكثر إرتفاعاً تقع في الجنوب وهي مغطاة بالثلوج، أما المنخفضة فتقع في الشرق، أنظر: ديغرانج، ص ٢٧٨. وجبال الابازا. كلمة تركية معناها القوقاس نسبة إلى بلاد القوقاز، وبها سلسلة الجبال الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين. أنظر: الجبرتي، مظهر التقديس، ج ١، حاسية ص ٥٧.

(٤) الكرجستان: هي بلاد الكرج، المعروفة باسم «جورجيا» إحدى جمهوريات الإتحاد السوفيتي، وتقع وراء جبال القفقاس وعاصمتها تغليس.
أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج، ا، حاشية ص ٥٧.

(٥) الصحيح الحسان.

(٦) الصحيح: الجواري.

الحسان والمساكن الأشهى فهذه كلها لهم خاصةً فإن كانت الأرض المصرية التزام للمماليك فليوردوا الحجة التي كتبها لهم الله رب العالمين هو رأوفٌ وعادل على البشر بعونه تعالى من اليوم وصاعداً لا يستثنى أحداً من أهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية فالعقلاء والفضلاء والعلماء بينهم سيدبروا الأمور وبذلك يصلح حال الأمة كلها سابقاً في الديار المصرية كانت المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر وما زال ذلك إلّا لطمع وظلم المماليك أيها القضاة والمشايخ والايمة ويا أيها الشورباجية[1] واعيان البلد قولوا لأمتكم أن الفرنساوية أيضاً مسلمين خالصين واثباتاً لذلك قد نزلوا في رومية الكبرى[1-أ] وخرّبوا بها كرسي البابا الذي كان دايماً يحث النصارى على محاربة الإسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكولرية الذين كانوا يزعمون أن الله يطلب منهم مقاتلة المسلمين ومع ذلك الفرنساوية في كل وقت كانوا محبين الخاص لحضرة السلطان العثماني واعداً اعدايه أدام الله ملكه وفي الخلاف المماليك امتنعوا من طاعة السلطان غير ممتثلين إلى أمره فما طاعوا أصلاً إلا لطمع نفوسهم طوبى ثم الطوبى إلى أهل مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير وينصلح حالهم وتعلا مراتبهم طوبى أيضاً للذين يقعدون في مساكنهم غير مبالين لأحد من الفريقين المحاربين أن يعرفونا بالأكثر يسرعون إلينا بكل قلب لكن الويل ثم الويل للذين يتحدوا مع أوليك المماليك ـ ويساعدوهم في الحرب علينا فما يجدوا طريق الخلاص ولا يبقى[1-ب] لهم آثار المادة الأولى جميع القرى القريبة ثلث ساعات عن المواضع التي يمر بها العسكر

(١) الشورباجية: جمع بالعربية للكلمة التركية المفردة جورباجي، ويطلق هذا اللقب على قائد فرقة في الجيش الانكشاري، وفي مصر هو قائد إحدى فرق المليشيا العسكرية.
أنظر: Barbier de Meymard, Vol. I, P. 606
والشورباجية كلمة تعني من الناحية اللغوية «صانع الشوربا» وفي ترتيبات الجيش الانكشاري كان يوجد ١٨٠ شخصاً يحملون لقب شوربجي من بين الـ ٢٢٩ أورطة والذين يشكلون مليشيا الانكشارية أما الباقون فلهم أسماء مختلفة.
أنظر: D'hosson, Vol. VIII, P. 310

الفرنساوي ترسل للساري عسكر بعض وكلا لكي يعرّفوا المشار إليه أنهم أطاعوا ونصبوا السنجق الفرنساوي الذي هو أبيض وكحلي وأحمر المادة الثانية كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوي تحرق بالنار المادة الثالثة كل قرية تطيع العسكر الفرنساوي الواجب عليهم نصب السنجق الفرنساوي وأيضاً نصب السلطان العثماني محبنا أدام الله بقاه المادة الرابعة المشايخ في كل بلد يختموا حالاً جميع الأرزاق والبيوت والاملاك متاع المماليك وعليهم الإجتهاد الزايد لكي لا يضيع أدنى شي منها المادة الخامسة الواجب على المشايخ والقضاة والايمة أن يلازموا وظايفهم وعلى كل من أهل البلد أن يبقى في مسكنه مطمأناً وكذلك تكون الصلوة قايمة في الجامع على العادة والمصريون بأجمعهم يشكروا فضل الله سبحانه وتعالى لانقراض دولة المماليك قايلين بصوتٍ عالٍ أدام الله تعالى اجلال السلطاني العثماني أدام الله تعالى إجلال العسكر الفرنساوي لعن الله المماليك وأصلح الله حال الأمة المصرية تحريراً في عسكر اسكندرية في ثلثة عشر شهر من شهر مسيدور[١] سنة ست من إقامة الجمهور الفرنساوي أعني أواخر شهر محرم سنة ١٢١٣ هجرية[٢].

ثم أنه توجهت تلك الفرمانات إلى الديار المصرية وفي ثاني الأيام أرسل أمير الجيوش بونابارته العساكر من الاسكندرية إلى دمنهور[٣] وبندر[٤] رشيد[٥]

---

(١) هو الشهر العاشر من تقويم الثورة الفرنسية ويمتد من ٢٠ حزيران إلى ١٩ تموز.

(٢) إفتتح نابوليون في هذا البيان سياسته الاسلامية في مصر والتي حاول من خلالها أن يقوي إنتصاره بالتقرب من الدين الذي يعتنقه من غزاهم. وقد أثارت سياسته الإسلامية الجدل لدى مؤرخي الحملة. واعتبر أكثرهم أنه تظاهر بالإسلام كنوع من الحنكة السياسية. لكن المؤرخ شارل - رو قال: كان للإسلام سحره وفتنته على مخيلة بونابرت حتى ما قبل الحملة. وازداد تأثيره أثناءها واستمر طويلاً بعدها..
أنظر F. Charles, Roux, Bonaparte, gouverneur d'Egypte. P. 76 وللتوسع حول سياسة بونابرت الإسلامية راجع مقال Matti, Moušsa Moora, Napoleon's Islamic policy in Egypte, Index Islamicus, Vol. X. N. 10, 1966, P. 103-116.

(٣) دمنهور: هي مدينة تقع في الشرق والجنوب من الاسكندرية وتعرف بدمنهور الوحش وإليها تنسب الثياب الدمنهورية، أنظر: علي باشا المبارك: الخطط الوفيقية، (بولاق ١٣٠٦ هـ) ج ٢، =

وعندما بلغ أهالي رشيد قدوم الفرنساوية خرج إلى لقاهم علما وأعيان البلد فسلموهم البندر خوفاً من الضرر وتسلم بندر رشيد الجنرال منو(١) حاكماً به وهذا الجنرال كان بطلاً من الأبطال. الكبار وكنا ذكرنا أن السيد محمد كريم قد أخبر مراد بيك بذلك البلا العظيم والخطاب الجسيم ولما وصلت النجابة(٢) إلى مصر واخبروا مراد بيك بقدوم ـ الفرنساوية إلى مدينة الاسكندرية طرح الكتاب من يده وصاح على عساكره وجنده واحمّرت عيناه واضطرمت النار في احشاه وأمر بإحضار الخيل للركوب وسار إلى منزل ابراهيم بيك(٣) على ذلك الأسلوب(٤) وشاع الخبر واضطربت البشروها جت تلك الأمم على ساق وقدم وحل في القوم الأسف والندم واجتمعت الكشّاف(٥) والأمرا والأشراف(٦)

= ص ٢٢.

(٤) بندر: جمعها بنادر. وهي كلمة فارسية تعني مرفأدخلت إلى اللغة العربية بهذا المعنى منذ القديم. أنظر: Encyclopédie de l'Islam, 1er ed, vol.I, P. 11. وفي مصر تستعمل الكلمة للإشارة إلى المراكز التجارية الهامة مثل رشيد ودمياط والمنصورة، أنظر: نسخة ڤيت، ص ٢٩٣.

(٥) رشيد: هي مدينة تقع على مصب النيل الغربي إلى الشرق من الاسكندرية بلغت أوجها عام ١٧٧٧ حيث جددت وتوسعت فيها ١٥ جامعاً: أنظر: المبارك. المصدر السابق: ج ٢ ص ٧٥.

(١) هو الجنرال الفرنسي جاك منو الذي حكم مصر من ١٤ حزيران ١٨٠٠ ـ ٢ أيلول ١٨٠١ للتوسع راجع: محمد فؤاد شكري، عبد الله جاك منو وخروج الفرنسيين من مصر. دار الكتاب العربي ١٣٧١ هـ ١٩٥٢م.

(٢) النجابة: النجاب هو الهجان أي ساعي بريد يستخدم الجمل أنظر: Dozy, Vol. II, P. 641.

(٣) هو ابراهيم بيك الكبير، من مماليك محمد بيك أبو الذهب، تقلد الإمارة سنة ١١٨٢ هـ ١٧٦٨ م زمن علي بيك الكبير، ثم تقلد مشيخة البلد بعد وفاة أستاذه عام ١١٨٩ هـ ـ ١٧٧٥ م كان موصوفاً بالشجاعة والفروسية، ولا يحب سفك الدماء تشرد إلى بلاد الشام بعد الاحتلال الفرنسي لمصر ثم عاد إلى البلاد وكان كل شيء قد تغير فيها، عمل مع قومه بالزراعة، توفي في دنقلة عام ١٢٣١ هـ ١٨١٦ م. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٢٦٣، ٢٦٧، ٢٦٨.

(٤) يقول الجبرتي: حول وصول الخبر إلى مراد بيك: «وأما الامراء فلم يهتموا بشيء من ذلك، ولم يكترثوا إعتماداً على قوتهم وزعمهم أنه إذا جاءت جميع الافرنج لا يقفون في مقابلتهم وأنهم يحطمونهم بسنابك الخيول ويحصدون رؤوسهم ببوارق السيوف، أنظر: الجبرتي مظهر التقديس، ج ١، ص ٤٩.

(٥) الكاشف: هي كلمة مأخوذة عن فعل كشف، والاصل في وظيفة الكاشف الكشف عن أحوال المديريات. والكاشف هو بمثابة المدير إذا حكم المديرية.. وفي التنظيمات الادارية للدولة العثمانية =

لقصر ابراهيم بيك بلا خلاف وحضر باكير باشا[1] من القلعة السلطانية[2] الى المعنية[3] وحضروا جميع السناجق والأعيان مثل ابراهيم بيك الكبير ومراد بيك

سميت الوحدة الإدارية بولاية مصر بإسم كشوفية وعرف حاكمها بإسم كاشف في حين أطلق على بقية الولايات إسم صناجق ـ ولما اتسعت سلطة الكشاف في مصر وصار إليهم الحكم (أخذوا المديريات إلتزاماً بقي الاسم القديم لهم: Gible and Bowen, Islamic society.. op. cit. T.I, P. (148-149) وللتوسع راجع: Stanford J. Shaw. The financial and administrative organisation and developement of Egypte 1517-1798. (Prineeton 19620.)

(٦) الاشراف: مفردها شريف، وهو لقب يطلق على من هو من سلالة الحسن أو الحسين إبني على بن أبي طالب، والإسم يعني «نبيل»، ولقد كان الاشراف رؤوساء العائلات التى يعهد إليها تنظيم أمور القبيلة، والشريف هو الشخص الذي ينتمي إلى أصل عريق بالمقارنة مع شخص آخر من أصل وضيع، هكذا كان معنى الكلمة عامةً في النصوص الجاهلية عند العرب. وفي العهد الإسلامي صار الشريف هو من ينتمي إلى «أهل البيت» أي إلى فاطمة إبنة الرسول وأولادها. وكان العباسيون يعتبرون أنفسهم من أهل البيت مع الطالبيين. ولم يستخدم لقب شريف للدلالة على سلالة العلويين، عند المؤرخين العرب، إلا بعد إنحلال الامبراطورية العباسية، وهنالك لقب «السيد»، الذي هو لقب سيد القبيلة ثم أصبح بعد الإسلام يخص الطالبيين والعلويين ويشير خاصةً إلى من هم من سلالة الحسن والحسين، وفي الحجاز يلقبون الحسينيين أشرافاً أما لقب السيد فيستعمل في ايران وتركيا وبلاد فارس. أنظر: مقال:

C. Van Arandouk 1er ed, dans l'Ecyclopedic de l'Islam ed, Vol. IV, P. 336-341

أنظر أيضاً: Dozy, Vol. I, P. 649

Barbier de Meynard, Vol. II, P. 146.

(١) يسميه الجبرتي، بكير باشا، وهو الباشا العثماني الذي كان في مصر عند مجيء الحملة الفرنسية، وقد هرب مع ابراهيم بيك بعد معركة الاهرامات نحو بلاد الشام، ورفض عروض نابليون بالعودة إلى مصر وممارسة وظائفه كالسابق، وقد أرسل باكير باشا عدة رسائل إلى مصر تحث على الجهاد ضد الفرنسيين. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص٣، ٦، ٩، ٢١، ٢٨.

(٢) القلعة السلطانية: بناها السلطان صلاح الدين عام ١١٦٥/م ٥٦١ هـ بين جبل المقطم وحي الرميلة، وتتألف من طابق علوي كان يشغله في هذا العصر فرقة الانكشارية، وفي الطابق السفلي فرقة العزب مع بقية فرق المليشيا، وتحتوي جناحات متعددة خاصةً القواد، وفيها أيضاً جناح فخم للباشا العثماني،

أنظر: Description de l'Egypte, Vol. XVIII, P. 347-363, cf.

Deherain: histoire.. op cit. P. 23.

(٣) هو قصر العيني، يقع حالياً مكان مستشفى تحمل نفس الاسم وكان باشا مصر يقطنه قبل إنسحابه إلى القلعة والتخلي عن مهماته، وبه كان يجتمع كما ذكر الترك مستشارو الباكوات المماليك، ورؤساء الاوجاقات، والشيوح العلماء. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ١، ص ٤٥، ١٧٩، ج ٢، ص ١٥، ٢٥، ٧٤، ١٠١، ٢٥١، ٢٦٢.

الكبير ومصطفى بيك[١]. الكبير وأيوب بيك الكبير[٢] وابراهيم بيك الصغير[٣] ومراد بيك الصغير[٤] وسليمان أبو دياب[٥] وعثمان بيك الشرقاوي[٦] ومحمد بيك الألفي[٧] ومحمد بيك المنوفي[٨] وعثمان بيك البرديسي[٩] وعثمان بيك الطبجي[١٠] وقاسم بيكي المسكوبي[١١] وقاسم بيك ابو سيف[١٢] وقاسم بيك

---

(١) لقب بيكاً عام ١١٨٥ هـ - ١٧٧١ م، هرب إلى سورية مع إبراهيم بيك الكبير، ثم عاد إلى القاهرة أثناء ثورتها الثانية ضد كليبر، وتوفي عام ١٢١٥ هـ - ١٨٠٠ م. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٩٣، ٩٦، ١٧٣

(٢) سمّي أيوب بيك الكبير بيكاً عام ١١٨٩ هـ - ١٧٧٥م، ومات عام ١٢١٥ هـ - ١٨٠٠م. أنظر. الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٧٢.

(٣) سمّي إبراهيم بيك الصغير بيكاً عام ١١٩٢ هـ - ١١٧٨م وهو من مماليك محمد بيك أبو الذهب، تقلد الزعامة بعد موت أستاذه، وتوفي في معركة أمبابة ١٢٢٣ هـ - ١٧٩٨ - م. أنظر: المصدر السابق، ج ٣، ص ٦٣، ٦٤.

(٤) تقلد مراد بيك الصغير الإمارة والسنجقية عام ١٢٠٥ هـ - ١٧٩١ م وهو من مماليك محمد بيك أبو الذهب، يعرف بمراد كاشف، قتل في الفخ الذي نظمه الاتراك للمماليك في أبو قير عام ١٢١٦ - هـ - ١٨٠١ م. أنظر المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٨.

(٥) تقلد سليمان أبو دياب الامارة عام ١١٨٩ هـ - ١٧٧٥م، وقتل عام ١٢٢٢ هـ - ١٨٠٧ م في معركة بين العثمانيين والمماليك في أسيوط. أنظر المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٤، ج ٤، ص ٤٨.

(٦) تقلد عثمان بيك الامارة عام ١١٨٩ هـ - ١٧٧٤ م، وحارب الفرنسيين في مصر العليا، ثم اشترك في ثورة القاهرة الثانية بشكل فعّال، وعاد إلى بلاد الشام، حيث توفي بعد مرضه بالطاعون عام ١٢١٥ هـ - ١٨٠٠ م. أنظر: المصدر السابق، ج ٣، ص ٦٣، ٦٤، ٩٢، ١٧٢.

(٧) تقلد محمد بيك الالفي السنجقية عام ١١٩٢ هـ - ١٧٧٨ م وهو من مماليك مراد بيك، ولقد عيّن من قبله كاشفاً في الشرقية، أنشأ محمد بيك عدة قصور في مصر، ومن أجملها قصره في اليزبكية، كان على علاقة طيبة مع التجار الأجانب، وحارب الالفي الفرنسيين طيلة وجودهم في مصر، ثم إتفق مع الانكليز، وتوفي عام ١٢٢٠ هـ - ١٨٠٥ م.
أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٢٦ - ٣٠.

(٨) لم نجد له ترجمة.

(٩) تقلد عثمان بيك البرديسي الامارة عام ١٢١٠ هـ - ١٧٨٦ م وهو من مماليك مراد بيك، ولعب دوراً في التصلح بين مراد بيك والجنرال كليبر، وتوفي سنة ١٢٢٠ هـ - ١٨٠٥م.
أنظر: الجبرتي المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٢.

(١٠) تقلد عثمان بيك الطبجي الامارة عام ١١٩٦ هـ - ١٧٨٣ م وهو من مماليك مراد بيك، وقد عينه الفرنسيون بعد وفاة أستاذه أميراً على المماليك المرادية، وكذلك اختارته المرادية زعيماً لها، قتل عام ١٢١٦ هـ - ١٨٠١ م.

أمين البحر (١) والأمير مرزوق ابن ابراهيم بيك الكبير (٢) وعثمان بيك الطويل(٣) وشروان بيك(٤) وحضر من العلما الشيخ محمد السادة(٥) والشيخ

= أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢١٨.

(١١) تقلد قاسم بيك المسكوبي الامارة عام ١١٩٧ هـ ـ ١٧٨٣ م هرب إلى سورية مع ابراهيم بيك بعد معركة الاهرامات، وقاتل الفرنسيين باستمرار، مات مطعوناً في سورية عام ١٢١٥ هـ ـ ١٨٠٠ م. أنظر: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٧٤.

(١٢) تقلد قاسم بيك أبو سيف الامارة عام ١٢٠١ ـ هـ ـ ١٧٨٧ م، وهو من مماليك مراد بيك، وقد تقلد إمارة الحج مرتين وكافح ضد الفرنسيين وتوفي عام ١٢١٦ ـ هـ ١٨٠١م أنظر: الجبرتي، ج ـ ٣ ـ ص ١٧٤

(١) هو من مماليك ابراهيم بيك، استشهد قاسم بيك أمين البحر، في معركة العريش، أي أثناء فتح نابليون للعريش، أنظر: المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٦.

أمين البحر: يعتبر أمين البحر كمفتش، ووظيفته الاشراف على المخازن البحرية، وعلى السفن، وتأمين إصلاحها وتسليحها وتموينها.

أنظر: جب وباون، المجتمع الإسلامي والغرب، جزءان هما ترجمة الجزء الاول من المؤلف بالانكليزية ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف (١٩٧١) ج ١، ص ٤٦.

أنظر أيضاً: Barbier de Meynard, Vol. I, P. 120.

(٢) لقب الامير مرزوق بيكاً وهو في سن صغيرة، وتولى أمرة جرجا زمن محمد علي باشا، لا نعرف شيئاً عن وفاته لأن الجبرتي لم يعاصر وفاته. أنظر الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٢، ص ٨٠، ٨٣، ج ٤، ص ٧٨، ٧٩، ٢٧٩.

(٣) لم نجد ترجمة عند الجبرتي لهذا الاسم، وقد يكون عثمان بيك الطبل، ويذكر الترك أنه توفي عام ١٢١٥هـ ـ ١٨٠٠م بالطاعون. أنظر: ما يلي ص ـ ١٤٤ حيدر الشهابي، ج٢، ٣، ص٣٢٢، ديغرانج، ص ١٩٩.

(٤) ورد الاسم في نسخة ڤييت، ص ١٥ «رشوان بيك» حارب الفرنسيين مع مراد بيك وقتل في مذبحة المماليك عام ١٢٢٦ هـ ـ ١٨١١ م. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ١٣١. ولكن الترك يذكر أنه توفي عام ١٢١٥هـ ـ ١٨٠٠م بالطاعون، أنظر. ما يلي ـ ص ١٤٤ ـ حيدر الشهابي، ج٢، ٣، ص ٣٢٢، ديغرانج، ص ١٩٩.

(٥) خطأ والصحيح الشيخ السادات، ووردت عند الشهابي، في ص ٢٢٥ الشيخ السارره، وعند ديغرانج ص٢٣ الشيخ السادة.

هو السيد محمد السادات سليل بيت السادات العريق في المجد، تربى في مهاد العز والنعمة، وتلقى العلوم الشرعية واللغوية على يد شيوخ الازهر، فوصل في العلم والثقافة ما لم يصل إليه أحد في ذلك العصر، تولى خلافة ال السادات ومشيخة سجادتهم زمن علي بيك الكبير، عام ١٧٦٨، وعاش السيد السادات نافذ الكلمة عظيم المكانة بين الناس سواء قبل الحملة الفرنسية، وفي خلالها وبعد انتهائها، ورفض عضوية الديوان زمن الفرنسيين وقد إتهمه نابليون بزعامة ثورة القاهرة الاولى، كما كان من زعماء ثورة القاهرة الثانية، وقد ناله الاضطهاد زمن كليبر ومنو، ولما =

عبدالله الشرقاوي (١) والشيخ سليمان الفيومي (٢) يوالشيخ مصطفى الصاوي (٣) والشيخ ميحمد المهدي (٤) والشيخ خليل البكري (٥) والسيد عمر نقيب الأشراف (٦) والشيخ العربي (٧) والشيخ محمد الجوهري (٨) وأما

= جلا الفرنسيون عن البلاد، إشترك الشيخ السادات في الحركات التسعبية التي قامت في مصر وتوفي عام ١٢٢٨ هـ - ١٨١٣ م. أنظر. الرافعي، تاريخ الحركة القومية، ج ٢، ص ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥.

(١) ولد الشيخ عبد الله الشرقاوي ببلدة تسمى الطويلة، شرقية بلبيس، عام ١١٥٠ هـ - ١٧٣٧ م، ولذلك سمي الشرقاوي، وكان شافعي المذهب، أصبح شيخاً في الازهر عام ١٢٠٨ هـ - ١٧٩٤م، وعين رئيساً للديوان الذي شكله نابليون في البلاد وللشرقاوي مؤلفات عديدة في العلوم الفقهية والتصوف، توفي عام ١٢٢٧ هـ - ١٨١٢ م. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣. الرافعي، تاريخ الحركة القومية، ج ٢، ص ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢.

(٢) الشيخ الفيومي من مواليد الفيوم، حضر إلى مصر وتلقى علومه في الأزهر، ثم أصبح شيخاً لرواق طلاب الفيوم في الأزهر، وكان من مشايخ الديوان الذي أنشأه نابليون، وكان الفيومي مثال الشهامة والمزوءة، توفي عام ١٢٢٤ هـ - ١٨٠٩ م. أنظر: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧. ويذكر الرافعي أن الشيخ الفيومي كان له ضلع في ثورة أمير الحاج، وقد وضعه الفرنسيون تحت المراقبة بعد عودته إلى القاهرة، وكان له شأن زمن حكم منو. أنظر: تاريخ الحركة، ج ٢، ص ٢٧١، ٢٧٢.

(٣) ولد الشيخ الصاوي في بلدة «الصوة» من أعمال الشرقية، درس في الأزهر وتضلع في العلوم وضرب بسهم في الأدب والبلاغة، وأصبح مدرساً بالمدرسة الصالحية المجاورة لضريح الإمام الشافعي، وانتخب عضواً في الديوان الذي أنشأه نابليون، توفي عام ١٢٢٧ هـ ١٨١٢ م. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار ج ٣، ص ٢١٣، ج ٤، ص ١٨٥ - ١٨٦. أنظر: الرافعي تاريخ الحركة القومية ج - ٢ (ص ٢٧٣).

(٤) كان الشيخ المهدي من كبار العلماء، إشتهر بسعة علمه وذكائه، كان والده من الاقباط، ثم أسلم المهدي وأصبح شيخاً حنفياً في الأزهر، أحبه الفرنسيون ووثقوا بأقواله وكانت كلمته نافذة عندهم وتولى عضوية الديوان الذي أنشأه نابليون، وظل المهدي محتفظاً بمكانته إلى أن أدركته الوفاة عام ١٢٢٧ هـ - ١٨١٢ م. أنظر: الجبرق، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧.

(٥) هو سليل آل البكري الاشراف، وقد كانت نقابة الاشراف لعائلته وكان زمن الفرنسيين من أهم أعضاء الديوان، مسموع الكلمة مقبول الشفاعة عندهم، وقد عينه نابليون نقيباً للاشراف، إلا أنه عزل من منصبه بعد خروج - الفرنسيين، وأعيدت النقابة إلى السيد عمر مكرم توفي عام ١٢٢٠ هـ - ١٨٠٥ م. أنظر: المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٦، ٧٧، ٨٨.

(٦) لا نعرف الشيء الكثير عن مولد السيد عمر مكرم ونشأته، لأن الجبرتي لم يترجم له كما ترجم =

العلماء الصغار فلا نقدر نعدهم لكثرتهم فهؤلاء السناجق المذكورين مع العلماء المشهورين، والوزير السلطاني باكير باشا العثماني ١٢-ب عقدوا الديوان وحضرت السبع اوجاقات(١) وعدة من الاغاوات(٢) وجملة من العوام أرباب الصوت والكلام وبدوا يتداولون بأمر الفرنساوية ودخولهم إلى الاسكندرية ويستغربون من هذا الخطب المهول والأمر المجهول فأمير اللواء مراد بيك بما أنه عارف أن خاطر الدولة العلية متغير عليه فالتفت إلى الوزير وقال له إن هؤلاء الفرنساوية ما

= لمعاصريه، لأنه لم يدرك وفاته. ولد السيد عمر في أسيوط وهو من سلالة الحسن بن علي بن أبي طالب، كان نقيباً للاشراف قبل مجيء الحملة ثم رفض عضوية الديوان وهاجر إلى سورية، وظل في منفاه بمدينة يافا إلى أن احتلها الفرنسيون أثناء حملتهم على سورية، حيث قابله نابليون، وأمر بإرجاعه إلى مصر واعتزل السياسة واعتكف في بيته إلى أن حدثت ثورة القاهرة الثانية فكان من زعمائها، ولما أخمد الفرنسيون تلك الثورة هاجر من مصر ثانية، وكان له اليد الطولى في الثورة التي قامت ضد المماليك عام ١٨٠٤ وضد الوالي التركي عام ١٨٠٥. أنظر: الرافعي تاريخ: ج ٢، ص ٢٦١ - ٢٦٢.

نقيب الاشراف: أسس منصب نقابة الاشراف في عهد السلطان بيازيد الثاني، وكان السلطان يعين النقيب من بين كبار القضاة، وقد تميز الاشراف باتخاذ العمامة الخضراء وبلقب سيد، ولم يكن لهم دورٌ هامٌ في مصر، أنظر: رافق، بلاد الشام ومصر، ص ٨٥ - ٨٦.

D'Hosson, tableau de l'empire of Toman, vol. Iv. P. 555

(٧) لم نجد له ترجمة، يقول ڤييت، ص ١٨ أنه ربما هو الشيخ العريشي.

(٨) ولد الشيخ الجوهري عام ١١٥١ هـ - ١٧٣٨ م، له مؤلفات عديدة، ولقد أخذ رهينة من قبل كليبر في حوادث ثورة القاهرة الثانية، توفي عام ١٢١٥ هـ - ١٨٠٠ م. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٦٤، ١٦٥.

(١) السبع اوجاقات: هي ست طوائف عسكرية رتبها الوزير الاعظم ابراهيم باشا في مصر عام ١٥٢٤. وقد ذكرها قانون نامه ولم يذكر الطائفة السابعة المسماة «المتفرقة والتي تأسست فيما بعد في مصر عام ١٥٥٤. للتوسع راجع:

S.J. Shaw, the financial and administrative.. op. cit. P. 189-197.

(٢) الآغاوات: مفردها آغا، وتعني حرفياً «الأخ الأكبر». وفي التنظيمات العثمانية تعني الكلمة: قائد أو سيد وأحياناً مالك. وقد بقيت كلقب فقط حتى عصر الاصلاح في القرن التاسع عشر. وأطلق أحياناً إسم آغا على كاخيا الوزير والذي كانت له وظائف إدارية واستشارية أنظر مقال:

H.Bowen dans l'encyclopédie de l'Islam, 2ème ed, Vol. I, P. 253, 254. cf.

Barbier de Meynard, Vol I,P. 74,75.

دخلوا على هذه الديار إلّا بإذن الدولة العثمانية ولا بد الوزير عنده عدم بتلك النية ولكن القدرة تساعدنا عليكم وعليهم فأجابه الوزير لا يجب عليك أيها الأمير أن تتكلم بهذا الكلام العظيم ولا يمكن أن دولة بني عثمان تسمح بدخول الفرنساوية على بلاد الإسلامية فدعوا عنكم ذلك المقال وانهضوا نهوض الأبطال.[١٣-أ] واستعدوا لنحرب والقتال ثم اتفق رأيهم أن يسجنوا القنصل والتجار الموجودين من الفرنساوية في مصر القاهرة خوفاً من الخون والمخامرة وسجنوهم جميعاً في قلعة الجلية(١) وبعد ذلك اتفق الجميع الكبير منهم والوضيع على القتال والصدام وأن مراد بيك يسير في العساكر المصرية لملاقاة الفرنساوية عند دمنهور وإبراهيم بيك الكبير وباكير باشا الوزير مع بقية العساكر والقواد والدساكر يقيمون في المدينة وكان قد هاج أكثر العلماء والأعيان وقالوا لا بدّ نقتل بالسيف جميع النصارى قبل أن نخرج لحرب الكفار وقال الوزير وشيخ البلد(٢) إبراهيم بيك غير ممكن أننا نسلّم إلى هذا العزم والرأي لأن هولاً رعية مولانا السلطان صاحب النصر والشأن وأما النصارى فوقع عليهم وهمّ عظيم وخوف جسيم وبدوا الإسلام يتهددوهم بالقتل والسلب ويقولوا لهم اليوم يومكم.[١٣-ب] قد حلّ قتلكم ونهبكم وسلبكم وكانت مدة مهولة مرعبة ونار ثايرة مهلبة ولكن بالمراحم المولى عز شأنه إذ أنه قد عطف وحنن عليهم قلب الوزير وشيخ البلد

---

(١) قلعة الجليلة: وردِ الاسم عند حيدر الشهابي، ج ٢، ص ٢٢٥ قلعة الجبل، وفي نسخت ڤييت، ص ١٢ القلعة، أما عند ديغرانج، ص ٢٤ قلعة الجليلة. هي القصر الواقع بين جبل المقطم ومدينة القاهرة التي يشرف هذا الجبل عليها، ولقد عزي بناؤها إلى السلطان سليم الفاتح، وهي مؤلفة من عدة أقسام: قسم للباشا وآخر للانكشارية، وآخر للعزب. أنظر: ديغرانج، ص ٢٧٣. ملاحظة رقم (١).

(٢) شيخ البلد: هو لقب زعيم الباكوات المماليك الذي كان يشغل وظيفة حاكم القاهرة، في أوائل القرن الثامن عشر كانت سلطته تفوق سلطة الباشا العثماني، وهو عادةً زعيم حزب المماليك المنتصر على بقية الأحزاب، ويفرض نفسه بشكل آلي شيخاً للبلد. أنظر: حب وباون، المجتمع الإسلامي والغرب، ج ٢ ص ٤٢. وللتوسع حول الدور الكبير الذي مارسه شيخ البلد في مصر في عصر الإنحطاط العثماني راجع: عبد الكريم رافق، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابلوين بونابرت (١٥١٦ ـ ١٧٩٨) دمشق ـ ١٩٦٨. ص ٣٩٦ ـ ٤١٨.

وكانوا في كل يوم يرسلوا إليهم سليم آغا(١) آغة الإنكشارية(٢) حالاً يطمنوهم على أرواحهم وأموالهم ويطلق المناداة في كل البلدان على حفظ الرعايا وعدم المعارضة لهم فلنرجع إلى ما كنا في صدده وهو أن مراد بيك جمع الفرسان والغز والعربان وأهل تلك الأطراف ما ينوف عن عشرين ألف مقاتل من كل فارس وراجل وسار في العساكر كالبحور الزواجر نهار الجمعة إلى أرض الرحمانية(٣) وهي بلاد بالقرب من رشيد وكان قد أرسل الجبخانات(٤) والذخاير مع عسكر كريد(٥) في بحر النيل(٦) وكان صحبتهم علي باشا الجزّام(٧) الذي كان مطروداً من جزاير الغرب ومقيماً في مدينة مصر وناصيف باشا ابن سعد الدين باشا العظم(٨) مطروداً من الدولة فهولاً ملتجيين إلى مراد بيك في ذلك الوقت =

(١) تقلد سليم آغا، آغا مستحفظان عام ١١٨٤ هـ - ١٧٧٠ م، زمن علي بيك الكبير، وقد إشترك في ثورة القاهرة الثانية. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ١٠، ص ٣٥١، ج ٣، ص ٩١.

(٢) وهو قائد اوجاقات الانكشارية، وكان تعيينه من قبل آغة الإنكشارية العام في القسطنطينية، ويكلف بحفظ الأمن في المدن إلى جانب قيادته للقوات المحاربة المرسلة إلى مصر للإنضمام إلى القوات الامبراطورية حين تقضي الحاجة، وهو بحكم منصبه رئيس للبوليس. أنظر: جب وباون، المجتمع الإسلامي والغرب، ج ٢، ص ٨٠٧.

(٣) الرحمانية هي إحدى مدن مديرية البحيرة وتقع على الشاطىء الغربي لفرع النيل على فتحة ترعة المحمودية، وقد اهتم بها الفرنسيون فأقاموا فيها قلعة ومستودعاً لتموين الجيش. أنظر: الجبرتي، مظهر التقديس، ج ١، حاشية ص ٦٤.

(٤) الجبخانات: جمع للكلمة المفردة «جبخانة»، وهي كلمة مركبة من الفارسية والتركية وتعني: مؤن الحرب، الذخيرة، وتطلق أيضاً على مخزن الذخيرة أنظر:

Barbier de Meynard, Vol. II, P. 522,

Dozy, vol. I, P. 169.

(٥) هم فرقة من المرتزقة التي استوردها إسماعيل بيك ومراد بيك من اليونان وجزيرة كريت، لبناء مصانع صهر المعادن وصنع البارود ولانشاء أسطول جديد. أنظر: جب وباون، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦.

(٦) إعتاد المصريون إن يقولوا بحر النيل للدلالة على النيل، في حين يطلقون اسم بحر فقط للدلالة على المتوسط، أنظر: ديغرانج، ص ٢٧٩.

(٧) لم نجد له ترجمة.

(٨) يقول الجبرتي عنه «كان من المقربين لمراد بيك، وقد اشترك في ثورة القاهرة الثانية». ولكن لسنا =

فأرسلهم مع الذخاير والجبخانات وسار مراد بيك مع العساكر على شاطىء النيل أمامهم وعندما وصلوا إلى أراضي الرحمانية فقابلوا الجيوش الفرنساوية قادمين كالسيل القاطر وكانت غلايطهم[1] سايرة تجاههم بحراً وعندما نظروا الغلايط إلى تلك المراكب التي بها الذخيرة فتجاروا إليهم ووقع الكون بينهم وأرموا بعضهم بالمدافع والقنابر[2] فسقطت إحدى القنابر على المركب الذي كانت به الجبخانة فطار البارود واحترق المركب والذي بقربه من المراكب وكانت الناس تتطاير بالجوّ كالطيور ووصلت إلى الجبخانة التي على البر فشعلعت فيها وانوعرت العساكر لما شاهدت تلك النار واستفولوا من الانكسار وأيقنوا بالعدم والدمار وفي ذلك الوقت دهمتهم العساكر الفرنساوية وأنزلت بهم البلية فولّت العساكر المصرية مدبرين وإلى النجاة طالبين ولا زالوا راجعين وفي مسيرهم مُجدّين إلى أن وصلوا إلى محل يقال له الجسر الأسود[3] وأقاموا هناك في غاية الذل والنكد[4] فهذا ما كان من مراد بيك وذلك التدبير وما أصاب عسكره من الذل والتدمير وأما ما كان من باكير باشا وإبراهيم بيك الكبير فإنهم بعد مسير مراد بيك نزلوا إلى بولاق[5] ونصبوا الخيام والوطاق[6] وابتدوا يبنوا

= متأكدين أنه هو المقصود. أنظر: الجبرتي، ج ٣، ص ٤، ٩١، ٩٣، ٩٦، ٩٩.

(١) غلايطهم: جمع للكلمة المفردة غليوطة، وهي كلمة مأخوذة من الكلمة الفرنسية «Galiote» والغلايط هي المراكب المخصصة لعبور النيل. أنظر: ڤييت، ص ٣٠٦.

(٢) القنابر: جمع بالعربية للكلمة التركية قنبرة، أو قنبرة، وتعني القنبلة.
أنظر: Dozy, Vol. II, PP. 408, 409.
Barbier de Meynard, Vol. II, P. 539

(٣) الجسر الأسود، هو جسر يصل بين الجبل في مديرية الجيزة والقناطر الخيرية على النيل، وبه قنطرتان معدتان لصرف المياه على النيل أحدهما قنطرة الرهاوي، والأخرى تعرف بقنطرة أم دينار. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ٦، ص ٨٥.

(٤) وقعت هذه المعركة في ١٢ تموز عام ١٧٩٨ وتعرف بمعركة شبراخيت وهي المعركة الأولى التي التقى فيها المماليك والفرنسيين، وإثرها إحتل نابليون شبراخيت واسحب مراد بيك إلى القاهرة. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٦.

(٥) بولاق مدينة تقع على النيل إلى الشمال الغربي من القاهرة، وكانت تُعَدُ من ضواحي العاصمة، وفيها مرفأ القاهرة على النيل ويستخدم للمواصلات مع مصر السفلى، أحرقها الفرنسيون عام =

المتاريس على شاطي النيل وعندما اتتهم الأخبار بما قد حصل بعساكر مراد بيك من الدمار والانكسار من الأعداء الكفار الفرنساوية الأشرار فتقطعت ظهورهم وحاروا في أمورهم ووصلت الأخبار إلى مصر فكان يوماً مهولاً وقامت أهالي البلد بالسلاح والعدد وتهددوا النصارى وصاحوا اليوم قد حل قتلكم يا ملاعين وصرتم غنيمةً للمسلمين [١٥-أ] ثم أرسل إبراهيم بيك إلى مراد بيك أن يحضر إلى أمبابة[١] تجاه بولاق ويبنوا المتاريس على شاطي البحر[٢] ويضعوا المدافع ويبقى إبراهيم بيك وعسكره في بولاق ومراد بيك وعسكره في أمباية تجاه بعضهما والبحر بين الجهتين احتساباً بأن الفرنساوية إذا أتوا بحراً يتلقاهم إبراهيم بيك وإذا أتوا براً يتلقاهم مراد بيك وفي نهار الجمعة سادس عشر يوم من شهر صفر صعدت علماً مصر وعامة الناس إلى القلعة السلطانية واحضروا البيرق[٣] النبوي بضجيج عظيم واحتفال جسيم[٤] وأتوا به إلى مدينة بولاق وهم يموجون

= ١٧٩٩، وهي مشهورة بمطبعتها التي تعتبر الاولى في مصر بعد مطابع الفرنسيين، وقد تأسست هذه المطبعة عام ١٨٢٢.

أنظر مقال: J. Jomier dans l'encyclopédie de l'Islam, 2ème ed, vol. I, P. 1339.

(٦) الوطاق: هي كلمة تركية قد تأتي أيضاً بشكل أوتاق، أوطاق، أوتاغ، ومعناها مجموعة خيم أي مخيم، وقد تأتي أوتاق بمعنى خيمة خاصة كبيرة مصنوعة من القماش الفاخر.

أنظر: Barbier de Meynard, Vol. I, PP. 133, 171

أنظر أيضاً: Dozy, Vol. II, P. 819.

(١) أمبابة أو أنبابة، هي قرية في شمال الجيزة على الشاطىء الغربي للنيل تجاه رملة بولاق مصر مركبة من أربعة كفور، أبنيتها أعلى من أبنية الأرياف وبها سوق يشتمل على دكاكين وأكثر أهلها أرباب حرف أو نوتية أو صيادون للسمك أو عاملون في البساتين، وفيها جامع لسيدي إسماعيل الأنبابي، وقصور لبعض الأمراء. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ٨، ص ٨٦، ٨٧.

(٢) كلمة شاطىء البحر تعني شاطىء النيل.

(٣) البيرق كلمة إنتقلت من الفارسية إلى التركية ثم إلى العربية، وهي علم كبير ينتهي بغرزة حديدية تثبت في الارض.

أنظر: Barbier de Meynard, Vol. I, P. 283.

(٤) حول هذا الحادث يقول الجبرتي: «صعد نقيب الأشراف السيد عمر للقلعة فأنزل منها بيراقاً أسمته العامة البيرق النبوي فنشره من القلعة إلى أن وصل به إلى بولاق ومعه ألوف من العامة يهللون ويكبرون». أنظر: الجبرتي، مظهر التقديس: ج ١، ص ٦٧.

البحر الدفّاق وجميع تلك الإقاليم في الوجل العظيم ويضجون بالدعا المستديم إلى الرب الكريم وقد صعدوا إلى المنابر وفتحوا المصاحف وهم في غاية المخاوف ونهار السبت سابع عشر صفر أقبلت الجيوش الفرنساوية براً وبحراً ١٥-ب وتقدمت العساكر المصرية واستعدوا لحرب الفرنساوية وقرعوا طبول الحرب ووطدوا نفوسهم على الطعن والضرب وتقدم إلى المحاربة الجبار العنيد والمعد في الحرب بألف صنديد الجنرال دُبوي[١] فتلاطما العسكران وتصادما الجيشان وتهاجمت الشجعان وفر الجبان وبان القوي من الجبان وجادت العربان وتقدموا إلى الضرب والطعان وتجارت الفرسان إلى حومة الميدان وعجّت بالمناداة اليوم يوم المغاذاة ثم انقضّت السناجق كانقضاض البواشق بالسيوف البوارق والرماح الخوارق والخيول السوابق وأطلقوا المدافع كالصواعق وثار العجاج وزاد الهياج وقد هجم في ذلك الوقت البطل المغوار والأسد الهدّار أيوب بيك الدفتردار[٢] وقحم بحصانه وسط الغبار وصاح في الأعداء ويلكم يا ليئام ساقكم الغرور لفتح هذه الثغور اليوم نملي منكم القبور ونجعله عليكم يوماً مشهور. [١٦-أ] وفي مثل هذا الآوان تبان الشجعان وتبلغ المنازل العالية الفرسان وتكسب الحمد والثنا فمن مات منا احتوى بالجنان ومن عاش ربح من دون خسران وكان بدنياه

---

(١) هو الجنرال الفرنسي Dupuy كان على رأس الفرق التي احتلت القاهرة. وعينه نابوليون حاكماً عليها. ولقبه المصريون بشيخ البلد وقتل في ثورة القاهرة الأولى بتاريخ ٢١ تشرين الأول ١٧٩٨.
أنظر: Deherain, histoire de la nation Egyptienne, Vol. V, P.270, 347, ef..
عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٢٦.

(٢) أيوب بيك الدفتردار هو من مماليك محمد بيك أبو الذهب. تولى الإمارة والصنجقية بعد وفاة أستاذه. قتل في معركة أمبابة عام ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) أنظر: الجبرتي: المصدر السابق، ج ٣ ص ٦٦.

الدفتردار: كلمة مركبة من دفتر وّدار فارسية الأصل تعني حافظ الدفاتر أو السجلات وهو يترأس دائرة الشؤون المالية المسماة «بالدفتردارية» وفي الإدارة العثمانية كان يوجد الدفتردار الأعلى أو (باش دفتردار) ومركزه في استانبول. ويرتبط به دفتر دارو الولايات المشرفون على حسابات الولاية. وكان كل دفتردار ولاية يتولى وظيفته بمقتضى فرمان من استانبول وهو مستقل عن الباشا الوالي راجع: جب وباون، المجتمع الإسلامي والغرب ج ٢، ص ٧، راجع أيضاً مقال:
B. Lewis, dans l'encyclopédie de l'Islam, 2em ed, Vol. 11 P. 84-85.

سعيد ومن مات راح بالله شهيد ولما طال الحرب واشتد البلا والكرب ودام الطعن والضرب ١٦-ب فعند ذلك الوقت قرعت الفرنساوية الطبول النحاسية وهجم ذلك البطل الذي ذكره تقدم الجنرال دبوي المعظم ولا زالوا يلتقون الكلل في صدورهم ويدوسون مجروجهم ومقتولهم حتى ملكوا المتاريس وكان ذلك على الغزانكيس(١) وبدوا يطلقون المدافع على الإسلام ويورثوهم مواريث الإعدام وجادت الأفرنج في القتال لما ملك دبوي المتاريس وكانت الأفرنج ثلاثين ألف مقاتل ما بين فارس وراجل وكان كلٌ من هؤلاء الصلدات في كل دقيقةٍ يطلق الرصاص سبع دفعات. فعند ذلك صاحت الغز الفرار الفرار من حرب هولا الكفار وولّت العربان وانهزمت الشجعان وإذ ضاق عليهم ذلك السبيل ألقوا أرواحهم في بحر النيل فما سلم منهم إلاَّ القليل وكان قد سقط قتيل وداسته الخيل ذلك الجبار والأسد المغوار أيوب بيك الدفتردار ولم يبان له علايم ولا آثار بعد أن قَتل جمعاً غفير وثبت قدام تلك الجماهير(٢) وأما مراد بيك فر في رجاله وأبطاله طالب النجاة لنفسه العزيزة ودخل إلى الجيزة(٣) وقد أحرق مركبه الكبير الذي كان أنشأه خوفاً ليلاً تكسبه أعداه ثم سار نحو الصعيد وكان باكير باشا وإبراهيم بيك حين انهزموا من بولاق وقلوبهم تضطرم بنار الإحتراق ودمعهم

(١) أنكيس هي إستعمال عامي لكلمة نكس، والنكس قلب الشيء على رأسه. أنظر: لسان العرب مادة نكس.

(٢) أطلق على هذه المعركة معركة أنبابة أو الاهرامات، وقد حدثت في ٢١ تموز، ويقول الجبرتي حول هذه المعركة «أما بونابرت فلم يشاهد الوقعة بل حضر بعد الهزيمة وكان بعيداً عن هولا بكثير».
أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٨.
وهذا القول خطأ، لأن نابليون كان في قلب المعركة يعطي أوامره للفرق. وحول معركة الاهرامات راجع:
Deherain, Histoire.. Vol. V, P. 258-266.

(٣) الجيزة مدينة صغيرة تواجه القاهرة القديمة «الفسطاط» ويفصلها عنها نهر النيل، هي مسورة بحصن من جهة الغرب، باتجاه الاهرامات، وهي مركز مديرية الجيزة، وفيها قصر مراد بيك الكبير المشهور بحدائقه الخلابة وبكرومه الرائعة.
أنظر: Description de l'Egypte, Vol, XVIII. ,P. 472- 474
أنظر أيضاً: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٠، ص ٥٨.

ينحدر من الأماق وقلوبهم مغترضات بالحسرات وهم يتأسفون على ما فات ثم أخذوا أعيالهم ورجالهم وخرجوا [١٧-أ] من باب النصر[١] قاصدين البرية والديار الشامية وبقت بقية أهل القاهرة تلك الليلة بمخاوف وافرة وعند الصباح اجتمع القاضي والأعيان وقالوا أن الحكام ولّت وأحوالهم اضمحلت فالتسليم لنا أصلح وحقن دماً الإسلام أوفق وأربح وقد كنا ذكرنا أن القنصل[٢] والتجار الفرنساوية[٣] تحت اليَسق[٤] في قلعة الجبل فأحضروهم وطلبوا منهم أن يسيروا معهم إلى بولاق ويأخذوا لهم الأمان فأشار عليهم القنصل أن يتوجه إثنان من التجار ومحمد كتخدا ابراهيم بيك[٥] وساروا إلى بر امبابة وفي وصولهم تقدموا

---

(١) باب النصر هو أهم أبواب القاهرة، أنشأه القائد جوهر الصقلي، وكان موقعه في الماضي غير موقعه اليوم، إذ نقله بدر الجمالي عندما جدد أسوار القاهرة عام ١٠٨٧، ويتفرغ منه شارع إسمه شارع النصر.

أنظر: Description de l'Egypte, Vol. XVIII, P. 300, 477.

(٢) هو قنصل النمسا والبندقية في مصر إسمه كارلو روزيتي، وقد عمل مستشاراً لعلي بيك الكبير، وكان له دورٌ في إقامة العلاقات بين علي بيك الكبير وروسيا.

أنظر: Volney, voyage en Egypte et en Syrie, Vol. I, P. 100.

(٣) تذكر نسخة ڤييت أسماء بعض التجار الاجانب الذين كانو في القلعة: «فمنهم كان التاجر بودوف والحكيم الخواجة كلوه»، في حين لم ترد هذه الاسماء عند ديغرانج، ولا عند حيدر الشهابي، أنظر ڤييت، (ن. م.) ص ١٥.

(٤) اليسق كلمة تركية تعني «حبس أو حجر»، ويقال يسق عثماني.

أنظر: Dozy, Vol. II, P. 852. Barbier de Meynard, Vol. II, P. 880.

ويقول المبارك: اليسق هو الترتيب وهي كلمة مركبة من كلمتين «سي ومعناها بالعجمي ثلاثة، «وسار» ومعناها الترتيب، وصارت الكامة التراتيب الثلاثة، ثم السياسة، ثم من خالف السياسة «اليسق» يخلع. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ١١، ص ٢٩.

(٥) يقول الترك في ترجمته «كان أصله أرمنياً وأسلم وترقى في زمن المماليك إلى أن صار كتخدا إبراهيم بيك الصغير، ولقد أصبح آغة الإنكشارية» أنظر: ماسيلي، ص - ٩٩

كتخذا، أو كاخية، جمعها «كواخي»، وهي كلمة فارسية تعني سيد البيت ولكن معناها حسب مصطلحات الادارة العثمانية «وكيل الباشا»، الذي كان يعيَّن لمدة عام واحد.

أنظر: جب وباون، المجتمع الاسلامي والغرب، ج ٢، ص ٧ وكان الكاخيا في مصر يحل محل الباشا في حال عزله أو موته، ويعيَّن مباشرة من استنبول، وهو من الموظفين الضباط قواد الاوجاقات السبع. راجع مقال:

E. Kuran dans l'encyclopédie de l'Islam, 2eme, Vol. II, P. 476.

إلى مقابلة الجنرال بوي وترحب بهم وسألهم عن أحوال مدينة مصر وما هو مراد أهلها فقالوا له أن الحكام ولَّت والرعية ذلَّت وقد أتينا من قبل علما البلد والأعيان نطلب لهم الأمان فأجابهم الجنرال دبوي من ألقى سلاحه حرم قتاله فلهم مني ومن أمير الجيوش [١٧-ب] ومن كل من هذا المكان وإنما يلزمكم في هذه الليلة ترسلوا المعادي والقوارب لننقل بهم العساكر لأن مرادي في هذه الليلة أدخل البلد ثم رجعوا محمد كتخدا والتجار واعلموا العلما بتلك الأخبار فأمرت العلما وحكام البلد حالاً بمسير القوارب والمعادي إلى بر امبابة ونزل الجنرال دبوي بماية وخمسين صلدات إلى بولاق حيث كانت العلما بذلك الإتفاق وحين تقابلوا أعطاهم الأمان وساروا قدامه بالمشاعيل إلى أن دخلوا المدينة والمنادية تنادي أمامهم بالأمان على الرعية والأعيان وجلس الجنرال دبوي في منزل ابراهيم بيك الصغير[١] وأرسل بعض الصلدات تسلمت قلعة السلطان واتّقدت تلك الليلة النار بمنزل مراد بيك وكان ذلك من الذين ينهبون وهم من أولاد البلد فنهض الجنرال دبوي وأطفأ تلك النار. [١٨-أ] وعند الصباح في تاسع صفر نهار الإثنين[٢] ابتدأت تنتقل العساكر من بر الجيزة وامبابة إلى مصر فعندما قدم أمير الجيوش بونابارته فخرجت العلما والأعيان والنصارى والإسلام لملتقاه وكان يترحب بهم ويلتقيهم بالبشاشة والإكرام ويوعدهم بالخير والنظام ثم أمر أن يفرشوا له منزل بقرب النيل ففرشوا له منزل محمد بيك الألفي[٣] الكاين على شاطيء برك

---

(١) يقع هذا المنزل جنوب قلعة القاهرة وشمال الشارع الحالي نور السلام، في الزاوية الجنوبية الشرقية لحارة الحلمية. أنظر: ڤييت، ص ٢٥.

(٢) في ٢٤ تموز دخل نابليون بونابارت القاهرة، بعد أن وجه بيانا إلى شعب القاهرة أمنهم فيه على حياتهم ودينهم وممتلكاتهم وشدد خاصةً على احترامه للدين الإسلامي.
أنظر: F. Charles - Roux, Bonaparte gouverneur d'Egypte, P. 40-42.

(٣) يقول الجبرتي: «سكن بونابرت بيت محمد بيك الالفي، وكان المذكور عمره وزخرفه وصرف عليه أموالاً عظيمة، وفرشه بالفرش الفاخرة وعند تمامه وسكناه فيه حصلت هذه الحادثة فأخلوه وتركوه بما فيه، فكأنه كان بناه للفرنسيس». أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٤٠، ٤٢.

اليزبكية(١) ونـزل كبير الأقبـاط المتسلمين الأقـاليم المصرية وهـو جرجس الجوهري(٢) وباشر بفرش المنزل وفي يوم الثلاثة(٣) دخل أمير الجيوش ونزل بذلك المنزل ودخلت جميع تلك العساكر التي ليس لها أول من آخر وأمر الجيوش أن جميع أهالي مصر يضعوا على رؤوسهم أم صدورهم علامة المشيخة وهذا النيشان(٤) هو من الحرير الأبيض والكحلي والأحمر قد زهرة الورد وقد وضعتها جميع الناس من الرجال والنساء وأطلق المناداة أن كل من دخل ١٨-ب من دون علامة يجب له القصاص وحين دخلت العساكر الفرنساوية كانوا ينهبون من بيوت الغز والمماليك فأمر أمير الجيوش برفع النهب وكانت الغز قد دفنت أموالها تحت الأرض ولم يبقَ سوى الفرش والأمتعة وقد نهبت أهالي المدينة منهم شيء كثير وفي ١٢ الشهد|ارتفع النهب واطمأنت الناس في أماكنها فهذا ما كان من دخول الفرنساوية وأما ابراهيم بيك وباكير باشا فإنهم بعد خروجهم من مصر ساروا إلى مدينة بلبيس(٥) وهم في الذل والتعكيس وأما مراد بيك فسار

---

(١) بركة اليزبكية، أو ميدان اليزبكية،«هي مسكن الامراء، يحيط بها القصور البديعة، وفي أيام فيضان النيل تمتلىء البركة بمياه النيل فيصير فيها لجة من الماء يتنزه فيها الناس بالزوارق في الليل والنهار، وقد أحدقت بها البساتين الوافرة الظلال والنادرة المثال» أنظر: الرافعي، تاريخ الحركة القومية، ج ١، ص ٦٢.

(٢) يقول الجبرتي في ترجمته «هو كبير المباشرين بالديار المصرية، وبيده كان حل الامور وربطها، كان المذكور كريم النفس يعطي ويهب وبنى عدة بيوت وله دار كبيرة عند قنطرة الدكان، تقدم في أيام الفرنسيس فكان رئيس الرؤساء، وبقي حافظاً مكانته إلى أيام محمد علي باشا، توفي عام ١٢٢٥ هـ الموافق (١٨١٠ م - ١٨١١)» أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ١٢٥، ١٢٦.

(٣) ورد في نسخة ڤييت، ص ١٦، في الثلثا عشر شهر صفر، وكذلك في نسخة ديغرانج، ص ٣٠، إلا أن الجملة ساقطة عند الشهابي، ج ٢، ص ٢٢٨.

(٤) هو علم الثورة الفرنسية، عبـارة عن شارة مثلثة الالوان، وقد ابتكرها لافاييت محرر أميركا والقائد المنتخب ـ لرئاسة الحرس الاهلي في باريس، ولقد كانت هذه الشارة مثالاً لتحرر الأمة الفرنسية بعد سقوط الباستيل. وحول النيشان يعلق الجبرتي «هي إشارة الطاعة والمحبة فانف أغلب الناس من وضعها، وبعضهم رأى أن ذلك لا يخل بالدين، إذ هو مكروه، وربما ترتب من عدم الامتثال الضرر، فوضعها». أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٧.

(٥) هي مدينة تمثل باب مصر من جهة سورية، وهي مركز لمقاطعة الشرقية، يطلق عليها السوريون إسم «باب سورية»، وقدر لها موقعها أن تكون محاصرة دائماً بالجيوش المجتاحة.

إلى أراضي الصعيد وفارقت الغز الكنانة وبليوا بالذل والإهانة وقد وقعوا بالشتات والخبال وانتهبت أموالهم وسبيت أعيالهم وناحوا على فراق مصر وتفرقهم في كل قطر وارموا من رؤوسهم القواويق الصفر[١] ولم يبقَ آثار للقووق الأصفر في مملكة مصر وذاقوا من الغربة ١٩-أ أمر كاس وبقوا كعامة الناس وكان أمير الجيوش بونابارته بعد دخوله إلى أرض مصر أحضر تجار ديوان البهار[٢] المعروف بديوان البن الوارد من الأقطار وطلب منهم ألف وستماية كيس[٣] وطلب من الأقباط المباشرين[٤] الدواوين ألف وستمايه كيس ومن تجار النصارى ثمان ماية كيس وتسلم تلك الأربعة آلاف كيس في ستة أيام وأوعدهم بوفايها عندما يروق الحال ويتسع المجال وبعد ذلك ابتدأ في النظامات في مدينة مصر كما يأتي ذكره فأحضر أولاً خمسة أنفار من العلما الكبار وهم الشيخ عبدالله الشرقاوي والشيخ خليل البكري والشيخ مصطفى الصاوي والشيخ محمد المهدي والشيخ سليمان الفيومي[٥] وأحضر معهم إثنين من الأوجاقات وواحد

= راجع مقال G. Wiet في:

Encyclopédie de l'Islam, 2^eme ed, vol. I, P. 1254.

(١) القواويق الصفر: جمع للكلمة المفردة قاووق وتعني قلنسوة طويلة من ملابس الرأس، وتستعمل في بلاد العجم. أنظر: المنجد بيروت طبعة ٢٢، مادة قوق.

(٢) هذا الديوان هو ديوان تجارة القهوة في مصر. وحول أهمية هذه التجارة في هذا العصر راجع: André, Raymond, Artisants et commerçants au Caire au XVIII^e siècle, 2 Vols, Damas 1974. Vol. I. P. 173-179

(٣) إن كمية المال التي فرضها بونابرت على تجار ديوان اليها مختلفة. في نسخة ڤييت عنها في هذه النسخة، ولكنها مطابقة لما جاء في نسخة ديغرانج، ص ٣١، وكذلك عند حيدر الشهابي، ج ٢، ص ٢٢٩. أنظر: ڤييت، ص ١٧.

الكيس: يطلق على مبلغ قدره ٢٥,٠٠ فضة، والفضة هي أصغر وحدة في العملة العثمانية وهي تعادل البارة. أنظر: الجبرتي، مظهر التقديس، ج ١، حاشة ١، ص ١٠٥.

(٤) هو الذي ينوب عن الملتزم في تحصيل الضريبة.

(٥) عدد الجبرتي «عشرة أنفار من المشايخ للديوان» وسماهم أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج ١، ص ٧٩، ٨٠ وتتفق المصادر العربية والأجنبية على كونهم تسعة أعضاء.

أنظر: Deherain, histoire op. cit. Vol. V, P. 341.

= F. Charles - Roux, Bonaparte Gouverneur d'Egypte, P. 62, 63, 64.

من التجار وهم علي كتخدا باشي(١) ويوسف شاوش باشي(٢) والسيد أحمد المرحروقي(٣) وأفرز إلى هولا محلاً معيناً(٤) وعيّن لهم علايف شهرية(٥)

الرافعي، تاريخ الحركة القومية، ج ١، ص ٩٤، ٩٥.
شكري، الحملة الفرنسية وظهور محمد علي، ص ٩٤، ٩٥.

(١) الصحيح مصطفى كتخدا الباشا، والترك يعود ويورد إسمه مصطفى كتخدا، إنظر: ما يلي - ص - ٩٩أما علي كتخدا فيترجمه الجبرتي قائلاً «هو من مماليك ابراهيم بيك مات في الشام بعدما .هرب مع سيده»، أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص ١٧٥.

(٢) لم يرد هذا الاسم عند الجبرتي، ولم نجد له ترجمة. شاوش باشي: شاوش كلمة تركية تعني «رسول». وقد عُزي استخدام السلاطين العثمانيين للجاويشية إلى تقليدهم للبيزنطيين ولكن ثبت أن هذه الوظيفة وجدت عند حكومات إسلامية سابقة وكانوا يقومون بمهام الحجاب والرسل والحرس ويتقاضون رواتب معينة. أنظر: جيب وباون، (ن. م.) ج ٢، ص ٢٢٦. أما شاويش باشي فهو إما وزير الدولة أو رئيس الديوان أو قائد الشرطة، وتحت أمرته فرقة مؤلفة من ٦٣٠ شرطي يلقبون مثله شاوش، ويعطي لهذه الفرقة إسم شاويشية، أنظر:
Barbier de Meynard, Vol. I, P. 573.
والباش شاويش هو الذي يتولى قيادة الاورطة الخامسة في الجيش الانكشاري. أنظر: مقال (R. Mantran) في: Encyclopédie de l'Islam, 2eme ed, Vol. II, P. 16.

(٣) السيد احمد المحروقي هو كبير تجار القاهرة، بل كبير تجار مصر في ذلك العصر، كان في الحاج عند قدوم الفرنسيين، ثم رجع إلى مصر وانتخبه نابليون ممثلاً للتجار ضمن أعضاء الديوانين العمومي والخصوصي، واصطحبه نابليون في رحلته إلى السويس، كان من زعماء ثورة القاهرة الثانية ومن المتصدرين لتنظيمها بماله ونفوذه، لكنه خرج من مصر بعد خروج الاتراك والمماليك من القاهرة، وظل المحروقي محتفظاً بمكانته، إلى أن داركته الوفاة عام ١٢١٩ هـ - ١٨٠٤ م. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥.

(٤) لقد أقام نابليون مقر الديوان في بيت قائد آغا وهو من مماليك محمد بيك أبو الذهب، شغل منصب آغة مستحفظان عام ١١٩٨ هـ - ١٧٨٣ م، وهذا المنزل يقع في شارع الرويعي. أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢.

(٥) أي رواتب شهرية يتقاضاها أعضاء الديوان بدلاً عن أتعابهم. ولقد توسع الجبرتي في وصف الدواوين المختلفة التي أنشأها الفرنسيون راجع كتابه، عجائب الآثار ج ٣، ص ١١ - ٣٧. هذا وأن بونابرت بإقامته هذه الدواوين حاول ايجاد نقطة إرتكاز من الشعب المصري. أي أنه أراد نقل السلطة من المماليك والاتراك إلى الشعب المصري ذاته بعلمائه ومشايخه ورغم أن سلطة الدواوين كانت إسمية إلا إن تاريخ إجتماع الديوان العام في مصر يعتبر حدثاً تاريخياً توضحت فيه هوية الشعب المصري وسوف تظهر نتائج هذه التجربة فيما بعد. عندما سيختار علماء مصر محمد علي باشا حاكماً على البلاد: للتوسع حول السياسة الادارية لبونابرت راجع:
F. Charles Roux, Bonaparte, gouverneur d'Egypte, P..57-59. cf.Matti, Moussa, Moora, Napoleon's.. op. cit, P. 112-113.

وأقامهم روساً في ديوان خصوصي وكانوا في كل يوم يجتمعون وأقام معهم رجلاً فرنساوياً مترجماً(١) وذلك ليكون ديوان البحر(٢) وأفرز لهم محلات معلومة لاستماع دعاوي التجار والمتسببين وأحضر أمير الجيوش محمد كتخدا المسلماني(٣) فهذا كان أصله أرمنياً وأسلم وترقّى في زمان المماليك إلى أن صار كتخدا إبراهيم بيك الصغير الذي غرق في النيل يوم الحرب فجعل هذا الرجل آغة الإنكشارية وأحضر أيضاً رجلاً من الأوجاقات(٤) وجعله على الإحتساب(٥) وأحضر أيضاً رجلاً يسمى علي آغا(٦) وجعله والياً على البلد ثم أمر أمير الجيوش بأن تفرز محلات معيّنة لأجل المطابع التي أحضرها معه من رومية وهي

---

(١) هو الكوميسار بوفوازان وقد عينه بونابرت مفوضاً في الديوان. وكان ينقل إليه كل ما يجري في جلسات الديوان راجع:

F. Charles Roux, Bonaparte.. P. 58.

يوجد نقص في هذه المخطوطة، وسوف نكمله إستناداً إلى نسخة ديغرانج وإلى كتاب الشهابي وهو «ثم أن أمير الجيوش بونابرته رتب ديواناً ثانياً فيه سبعة أنفار من التجار ومعهم رجلاً فرنسياً مترجماً وذلك ليكون ديوان البحر» أنظر: ديغرانج، ص ٣٢، الشهابي، ج ٢، ص ٢٢٩.

(٢) ورد عند الجبرتي: «ديوان محكمة القضايا» ويقول في صدده: «رتبوا فيه ستة أنفار من النصارى القبط وستة أنفار من التجار المسلمين وفوضوا إليهم القضايا في أمور التجار والعامة والمواريث والدعاوى وجعلوا لذلك الديوان قواعد وأركاناً من البدع السيئة» أنظر كتابه عجائب الآثار: ج ٣، ص ١٩.

(٣) كان محافظاً للقاهرة، وقد عُين بناءً على اقتراح أعضاء الديوان، وتولى بعد ذلك منصب كتخدا أمير الحاج، إلا أن الفرنسيين عزلوه من منصبه وعينوا بدله مصطفى آغا، الذي قتل في ثورة القاهرة الثانية، ٢٠ آذار - ٢١ نيسان ١٨٠٠، وهو غير مصطفى بيك أمير الحاج. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١١، ٢٤.

(٤) إن الرجل الذي تعين لهذا المنصب هو «حسن آغا محرم»، أنظر: الجبرتي، مظهر التقديس، ج ١، ص ٨٠.

(٥) المحتسب: هو الموظف المختص بشؤون الطوائف، وبتحصيل مختلف الرسوم على السلع والصفقات التجارية، وكان يفرض رسماً خاصاً على كل أصحاب الحوانيت لجمع راتبه ورواتب رجاله، وفي يده سلطة معاقبة أصحاب الحوانيت. أنظر: جب وباون، ج ٢، ص ١٣٠.

(٦) هو علي آغا الشعراوي، عينّ قائداً للشرطة بناءً على طلب أعضاء ديوان القاهرة، واستمر في منصبه حتى خروج الفرنسيين من مصر. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١١، ١٠٩، ١٩١.

تطبع بجميع اللغات كما قدمنا ذكره وجعل لذلك محلات على شاطي اليزبكية ثم أن أمير الجيوش قسم البلد خطوطاً وجعل لكل خط حاكماً فرنساوياً. [٢٠-أ] وكانت الولاة من الفرنساوية واقفين على باب المدينة ليلاً ونهاراً وخارجاً إلى حدود بولاق وإلى حدود الجيزة وانقطعت جنس اللصوص والخطّافين والعربان والسرّاقين وكانت حكام الخطوط في كل سبت يطلقون المناداة على الرعايا بكناسة الطرقات والشوارع ورش الماء لأجل النضافة ونظام الطرقات ورسموا أن على كل باب بيت أو باب وكالة[١] يكون قنديلاً شاعلاً كل الليل[٢] وكانت حكام الخطوط تدور في الليل فكل باب لم يجدوا عليه قنديلاً فكانوا يضربون عليه مسماراً وفي الغد يقع على صاحبه القصاص وكانت المدينة تضي في الليل كالنهار ثم أن أمير الجيوش أحضر مصطفى آغا كتخدا باكير باشا[٣] وآمنهُ وألبسهُ فرواً وجعله أمير الحاج[٤] وأمرهُ أن يباشر لوازم الحاج

---

(١) وكالة، تلفظ وتكتب أحياناً (اوكالة)، وهو تعبير عربي يعني مخزن البضائع، وفي البدء كانت دار الوكالة مؤسسة للدولة تواجد فيها الموظفون والشرطة الذين كانوا يقومون بتقدير قيمة البضائع والمكوس المفروضة عليها، وبعد ذلك أصبح إسم الوكالة يشير إلى الأبنية المماثلة للخانات، وقد استعمل التعبير منذ القرن التاسع عند المقريزي، وفي العصر العثماني صار تعبير وكالة أكثر شيوعاً وحل بالتدريج محل تعبير الخان، وفي الوكالات كانت تتم تجارة الجملة في القاهرة، وكان أكثرها مخصصاً لنوع واحد من البضائع، وعدا عن دورها هذا «مخزن للبضائع» فقد استخدمت الوكالات كمسكن للتجار الاوروبيين أو المصريين أو للأشخاص الذين يمرون بها كالحجاج.

أنظر: Raymond A. artisants et commersants, Vol. I, P. 254-255.

(٢) علق الجبرتي على الرسوم التي وضعها الفرنسيون على القناديل المطفأة قائلاً: «وإذا مروا بالليل ووجدوا قنديلاً أطفأه الهواء أو أفرغ زيته سمروا الحانوت أو الدار التي هو عليها ولا يقلعون المسمار حتى يصالحهم صاحبها على ما أحبوه من المال، وربما تعمدوا كسر القنديل لأجل ذلك، «أنظر: عجائب الآثار، ج ٣، ص ٣٩.

(٣) مصطفى آغا هو الموظف التركي الوحيد الذي بقي في القاهرة عقب معركة الاهرامات، وعينه الفرنسيون أميراً للحاج، ثم ثار عليهم. أنظر: الجبرتي المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٧.

(٤) هو رئيس قافلة الحاج الذاهبة إلى مكة، ومنذ السنة التاسعة للهجرة سمّى النبي أبا بكر الصديق قائداً لقافلة الحاج وأصبحت هذه المهمة فيما بعد من مهام الخليفة ولما تشتت سلطة الخليفة أصبح هناك عدة رؤساء لقافلة الحاج، أما أمير الحاج المصري زمن العثمانيين فقد كان يكلف كل سنة بقيادة القافلة، وتولى هذه المهمة في القرن الثامن عشر أحد الباكوات المماليك القواد، أنظر مقال:
J. Jomier dans l'encyclopédie de l'Islam, 2ème ed, Vol. I, P. 456.

وما يحتاج إليه وقال لماذا الوزير فر هارباً مع المماليك ألم يعلم أننا متحدين مع الدولة العثمانية ونحن ما حضرنا إلى هذه الأمصار إلّا بالإذن من السلطان سليم[1] والإختيار ثم آمر إلى مصطفى آغا أن يحرر إلى باكير باشا بأن يرجع إلى القلعة كما كان وله الكرامة والأمان ورجع مصطفى آغا من أمامه وهو منشرح الصدر مستغرباً هذا الأمر ثم أن أمير الجيوش شغل الضربخانة[2] في القلعة كما كانت وأمر أن يضع اسم السلطان سليم حسب العادة وأمر أيضاً أمير الجيوش أن يفرزوا محلات للمرضى والمجروحين المعروف بالأسبستار وأفرزوا لذلك قصر العيني الذي على شاطي النيل بين القاهرة ومصر القديمة فجعلوا أماكن لأجل صنع الأدوية وأقام هناك رئيساً للأطباء ورئيساً للجراحية وبعد ذلك أمر أمير الجيوش بونابارته بتفريق الجنارليات على الأقاليم المصرية فأقام الجنرال ديزه[3] على إقليم بلاد الصعيد وكان هذا الجنرال برج مشيد وبطل عنيد ثم أقام الجنرال مورا [4] وكان من الأبطال الشداد وقلدهُ أحكام إقليم القلوبية

---

(١) هو السلطان العثماني سليم الثالث، ولد في القسطنطينية عام ١٧٦١، أصبح سلطاناً للعثمانيين من عام ١٧٨٩ - ١٨٠٧، وقد عزل عن الحكم وتوفي عام ١٨٠٨. للتوسع راجع:

J.H. Kramers, art, Salim III dans encyclopédie de l'Islam, 1ere ed, Vol. IV, P. 227- 232.

(٢) الضربخانة: إسم مركب من كلمتين، ضرب العربية، وخانة الفارسية، ومعناها «مركز صك العملة».

أنظر: Barbier de Meynard, Vol. II, P. 246

(٣) ديزه: هو الجنرال الفرنسي «Desaix» (١٧٦٨ - ١٨٠٠) القائد الذي احتل مصر العليا حيث لقب بالسلطان العادل، ثم مثل كليبر في مباحثات صلح العريش، وعاد بعد ذلك إلى فرنسا، وكان له الفضل في نصر مارانجو على النمساويين في ١٤ تموز ١٨٠٠، وقد قتل في هذه المعركة.

للتوسع راجع:

C. de la Jonquiere, l'expédition d'Egypte, 5 Vol. Paris 1899-1907, Vol. III, P. 515 et suivi.

(٤) هو الجنرال الفرنسي Murat (١٧٦٧ - ١٨١٥)، ولقد أظهر هذا الجنرال شجاعة في مصر منحته رتبة فريق، ومنذ ذلك الحين إرتبط بنابليون وسافر معه إلى فرنسا واشترك في انقلاب بروميرِ.

أنظر: C. de la Jonquiere... Ibid, Vol. II, P. 300

وكان شاباً بالسن بديعاً بالحسن ثم أقام الجنرال لانوس[1] الرجل الوديع المأنوس وكان خبيراً بالحروب ومقداماً على الشدايد والخطوب وقلده إقليم المنوفية من الجهة الغربية ثم أحضر الجنرال دكا[2] االحسن الصورة صاحب الوقائع المشهورة وقلدهُ أحكام المنصورة[3] وهي بلد مشهورة وإقليمها واسع وبرها شاسع ثم أحضر الجنرال وبال[4] وكان حميد الخصال وبطل من الأبطال وأرسلهُ إلى مدينة دمياط[5] وصحبته ثلثماية نفر صلدات وسار إلى أن دخل البلد بسرعةٍ ونشاط فالتقوة العلما والأعيان وأعطاهم الأمان ثم نظم إقليم دمياط أحسن مما كان أما ذاك البطل العنيد والليث الصنديد صاحب الغز والنصر المشيد الذي كان بين تلك الجيوش فريد الجنرال دبوي ٢١-ب فان أمير الجيوش أقامهُ شيخ البلد مكان إبراهيم بيك لأن ذلك الإنتصار وفتح تلك الأمصار كان عن يد هذا الجبار ثم أن أمير الجيوش أحضر أحد الكوميسارية[6] الكبار المسمى

---

(١) هو الجنرال الفرنسي Lannusse ولقد تسلم حكم منوف في ٢٠ آب ١٧٨٩ وقد كان يحكمها قبله الجنرال زويونشك .Zoyonchek

أنظر: De la Jonquiere, Vol. II, PP. 302, 383, 552.

(٢) هو الجنرال الفرنسي Ducca ولد في طولون عام ١٧٤٠ أقامه نابليون حاكماً على القاهرة والوجه البحري أثناء حملته على سورية، ثم قائداً لموقع القاهرة أثناء معركة أبو قير ترك مصر بعد صلح العريش، وتوفي عام ١٨٠٢.

أنظر: M.G. Daressy, Moustafa Pacha le prisonnier d'Aboukir, B.I.E. Vol. XI, (1928-1929) P. 54

(٣) تقع هذه المدينة على الشط الشرقي لفرع دمياط وهي رأس مديرية الدهقلية، حدثت فيها واقعة مشهورة زمن الفرنسيين. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٥، ص ٨٨.

(٤) المقصود هو الجنرال Vial

(٥) مدينة قديمة تقع بين المتوسط والنيل فيها حصن بناه المتوكل، وكانت دمياط من أهم مدن مصر من الوجهة الإقتصادية والحربية باعتبارها مركز تجاري وصناعي هام، وفيها كثير من الوكالات والخانات القائمة آثارها إلى اليوم. -وقد كانت تزاحم الاسكندرية في مركزها التجاري. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٠٢. أنظر: الرافعي، تاريخ الحركة القومية، ج ١، ص ٣٣٦.

(٦) نفردها كوميسار، وهي كلمة مأخوذة من الكلمة الايطالية commissario وتعني مفوض أو وكيل.

بوسلنج[١] وقلده معاطاة الأقلام الميرية وضبط مداخيل الأقاليم المصرية وأقامهُ في بيت الشيخ البكري الكاين في بركة اليزبكية وكان المصريون يدعونه الوزير أي وزير المشيخة الفرنساوية وارتقى هذا إلى رتبة علية وكان عالماً بعلم الحسابات كاملاً بجميع الصفات ولفظة كوميسارية هم الذين لا يتعلقون بأمر الحرب بل في معاطاة الكتابة والحسابات والصنايع وما مثل ذلك ثم ين بونابارته أقام خزندار[٢] إلى المشيخة أحد الكوميسارية المدعو استيفو[٣] وهو كان عالماً بعلم الحسابات وجميع الأمور تصل إليه ثم أمـر أمير الجيـوش أن العلما الفرنساويين والفلاسفة يسكنون في البيوت[٢٢-أ] التي إلى قاسم بيك[٤] وحسن بيك[٥] وما حولهم من بيوت الكشاف التي هي في باب الناصرية[٦] النافذة إلى مصر العتيقة ثم أن أمير الجيوش بونابارته أمر أن يفرزوا محلات معيّنة خارجاً من المدينة بحفظ الكرنتينا[٧] وكذلك في مدينة الإسكندرية ثم في مدينة رشيد

---

(١) هو السيد Poussielgie ولد في باريس عام ١٧٦٤، وتقلد بعض المناصب المالية في عهد الثورة الفرنسية، وقد أرسله نابليون إلى مالطة لدراسة كيفية احتلال هذه الجزيرة، وقام بمهمته على أكمل وجه، ثم جاء إلى مصر مع الحملة، وعهد إليه نابليون إدارة الشؤون المالية، وقد مثل كليبر في صلح العريش وكانت شعبيته قوية جداً في مصر.
أنظر: L'umanite de poussielgne, cha.hist, eg. Vol, 2, 1950.. P. 528.

(٢) جمعها خزندارية، وهي كلمة مركبة من الكلمة العربية (خازن) والفارسية (دار) وهو وكيل المال أي أمين الخزينة العام.
أنظر: Barbier de Meynard, Vol. I, P. 679

(٣) هو مدير خزانة الحملة الفرنسية، ثم مدير الشؤون المالية في أواخر عهد الحملة، وقد درس مالية الحكومة المصرية في عهد المماليك وكتب عنها بحثاً مستفيضاً في كتاب تخطيط مصر الجزء التاسع عشر.

(٤) أنظر: ما سبق، ص - ٨٤

(٥) هو حسن كاشف المعروف بجركس، من مماليك محمد بيك أبو الذهب، هرب إلى بلاد الشام. وهناك تقلد الصنجقية. وهو الذي بنى الدار العظيمة بالناصرية والتي أصبحت فيها بعد مركز «معهد مصر»، توفي عـام ١٢١٨ هـ - ١٨٠٣ م. أنظر: الجـبرتي، عجائب الآثـار، ج ٣، ص ١٧٤.

(٦) هو أحد أبواب القاهرة الغربية يقع إلى الغرب من النيل باتجاه مصر القديمة،
أنظر: Description de l'Egypte, Vol. XVIII, P. 108.

(٧) كلمة مأخوذة من الكلمة الايطالية Quarantina جمعاً كرنتينات، وهي المكان الذي يحجر فيه =

ثم لمدينة مصر تكون الكرنتينا في بولاق ثم لمدينة دمياط فتكون الكرنتينا في مدينة القربة(١) وشرعوا في بناية المحلات المعلومة وذلك لمنع رائحة الطاعون المسمومة كما جرت العادة في بلادهم ثم أن أمير الجيوش من بعد ما رتب الترتيب المقدم ذكره أخذ جانب من العساكر وسار بهم قاصد مدينة بلبيس لمحاربة الوزير باكير باشا وإبراهيم بيك وخرج في شهر صفر وحين قارب مدينة بلبيس بلغه أن الباشا وإبراهيم بيك هربوا إلى الصالحية(٢) فتبع أثرهم وهناك التقت بهم خيالة الإفرنج وهجمت عليهم في تلك المرج وابتدأ الحرب واشتد البلا والكرب وإذ كانت الفرنساوية على الخيل لا يستطيعون مقاومة الغز المصريين فرجعوا عنهم مكسورين فمات منهم جملة مقتولين ولما وصل الخبر إلى أمير الجيوش فسار في الحال وحين بلغ الغز قدومه فولوا مهزمين ولم يزالوا سايرين إلى أن وصلوا لمدينة غزة(٣) ورجعت العساكر الفرنساوية إلى مصر وهم مايدين بالسعد والنصر وبعد ذلك ابتدأ ابراهيم بيك يحرر إلى الأقاليم المصرية ويحثهم إلى القيام على الفرنساوية(٤) ويستخرج لهم البيورلديات(٥) من الجزار

= المصابون بأمراض سارية.

أنظر:

Dozy, Vol. II, P. 454.

(١) قرية القربة وردت هنا خطأ، والصحيح هي (الخربة). «وهي خربة وردان، قرية بمديرية الجيزة بقسم أول على الشط الغربي للنيل والبحر يحد أطيانها من جهة الشرق والشمال» أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٠، ص ٩٦.

(٢) الصالحية، «بلدة بمديرية الشرقية من مركز العرين في نهاية بلاد الشرقية، وهي واقعة بجزيرة من رمال شرقي المناجتين بقدر ٨ آلاف متر وهي جملة كفور ذوات نخيل» أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٣، ص ٦ -٧.

(٣) غزة مدينة في فلسطينة إشتهرت بالتجارة لوقوعها على الطريق نحو مصر وعلى مفترق الطرق المتجهة نحو الجزيرة العربية والقادمة منها وهى قريبة من شاطىء المتوسط وكانت تابعة لولاية الشام. راجع مقال:

D. Sourdel «art Gaza» dans l'encyclopédie de l'Islam, 2ème ed, T.11, P. 1080, 1081.

راجع أيضاً: سالنامة ولاية سورية لعام ١٢٨٦، ص ٦٤ - ٧٠.

(٤) حول هذه الرسائل راجع: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٢٨.

(٥) البيلوردات: جمع مؤنث سالم للكلمة «بيلوردي» وتعنى امر من الوزير الاعظم، وقد نصدر =

كير باشا وكان جميع الغز يهيجون العربان والفلاحين على العصاوة والقيام
الفرنساوية فأحضر أمير الجيوش بونابارته أمراء الديوان وهم المقدم ذكرهم
رح لهم السبب الداعي إلى حضورهم لتلك الديار وإن ذلك باتفاق مع
ولة العثمانية وأن الدولة الفرنساوية [٣] مساعدة إلى الدولة العثمانية على قهر
ولة المسكوبية[١] وصدها عن مطلوبها المبين واسترجاع ما ولُّوا عليهِ بالتغلب
بلاد المسلمين وكتب لهم صورة كتابات أن يطبعوها بالعربية ويرسلوها إلى
قاليم المصرية ففعلوا ما أمرهم به من المأمورية وهذه صورة كتابات من علما
ر والأعيان إلى الأقاليم والبلدان نخبّركم يا أهل المداين والأمصار وسكان
رياف والعربان كباراً وصغاراً أن ابراهيم بيك ومراد بيك وبقية دولة المماليك
سلوا عدة مكاتبات ومخاطبات إلى ساير الأقاليم المصرية لأجل تحريك الفتن
المخلوقات ويدّعو أنها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرايه[٢]
لك كلهُ كذبٌ وبهتان وسبب ذلك أنه حصل لهم شدة الغم والكرب والهم
غتاظوا غيظاً شديداً من علما مصر ورعاياهم حيث ما وافقوهم على الخروج
هم وترك أعيالهم وأوطانهم وأرادوا أن يوقعوا الفتن والشر بين الرّعيّة [٣]
فرنساوية لإجل خراب البلاد وهلاك كل الرعية والعباد وذلك لشدة ما
صل لهم من الكرب بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية ولو
وا في هذه الأوراق صادقين وأنها من حضرة سلطان السلاطين لكان أرسلها
ـاراً مع أغاوات من طرفه معيّنين ونخبركم أن الطايفة الفرنساوية بالخصوص

عن أي وزير أو موظف ذي رتبه عالية. وتحمل معنى الماضي «لقد صدر الأمر الذي بموجبه تنتهي الحالة السائدة». وهي نوعان: أ ـ أوامر من حكام المقاطعات وتحمل غالباً صفة الفرمان، والثاني أوامر منشورة لتثبيت قانون جرى إعلانه، وفرمان السلطان يستخدم عادةً لتأكيد ما جاء في الاوامر السابقة.

أنظر مقال: (U.Heyd) dans l'encyclopédie de l'Islam, 2ème ed, Vol. I, P. 1397-1398.

انظر أيضا: Barbier de Meynard, Vol. I P. 355.

الدولة المسكوبية: المقصود هنا الدولة الروسية واشتق هذا الاسم من إسم عاصمتها (موسكو)

الصحيح وزرائه.

عن بقية الطوايف الإفرنجية دايماً يحبون المسلمين وملتهم ويبغضون المشركين وطبيعتهم وهم أحباب لمولانا السلطان قايمين بنصرته وأصدقاء له ملازمين لمودته ومعونته ويحبون من ولاه ويبغضون من عاداه وكذلك بين الفرنساوية والمسكوب غاية العداوة الشديدة لأجل عداوة المسكوب للإسلام وأهل الموحدين وأعلمهم أن المسكوب يتمنى الأخذ لاسلامبول المحروسة[1] ويعمل أنواع الحيل والدسايس المعكوسة في أخذ ساير الممالك ٢٤-أ العثمانية الإسلامية لكنه لا يحصل على ذلك بسبب اتحاد الفرنساوية وحبهم وإعانتهم إلى الدولة العلية ويريدون يستولو أن على آيا صوفية[2] وبقية المساجد الإسلامية ويقلّبوها كنايس للعبادة الفاسدة والديانة القبيحة الردية والطايفة الفرنساوية يعينون حضرة مولانا السلطان على أخذ بلادهم إن شاءالله ولا يبقون منهم بقية وننصحكم يا أيها سكان الأقاليم المصرية أنكم لا تحركوا الفتن ولا الشر بين البرية وإياكم تعارضوا العساكر الفرنساوية بشي من أنواع الأذية فيحصل لكم الضرر والبلية فإذاً لا تسمعوا كلام المفسدين ولا تطيعوا كلام المعرفين بالفساد في الأرض الغير مصلحين فتصبحون على ما فعلتم نادمين وإنما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكل الملتزمين لتكونوا في أوطانكم سالمين وعلى أعيالكم وأموالكم آملين لأن حضرة السر عسكر ٢٤-ب الكبير أمير الجيوش بونابارته اتفق معنا أنه لا ينازع أحداً على دين الإسلام ولا يعارضنا فيما شرع من الأحكام ويرفع

---

(١) إسلامبول: كلمة مشتقة من إسلام وبوليس Poliss أي المدينة وتصبح مدينة الإسلام، وهي لقب أعطاه الاتراك للقسطنطينية، بدلاً من الكلمة التركية البيزنطية (إستامبول). ويقال إستانبول، أي ثروة الاسلام، وقد ظهر هذا الاصطلاح لأول مرة في النقود المسكوبة في عهد أحمد الثالث (١٧٠٣ - ١٧٣٠) أنظر: جب وباون، مصدر سابق ج ٢، ص ٣٠، م ١.
أنظر أيضاً: Barbier de Maynard, Vol. I, P. 57.

(٢) أيا صوفيا: هي أكبر جامع في القسطنطينية، وكانت في الماضي كنيسة شرقية بنيت زمن كونستان الثاني عام ٣٦٠ م بناءً على رغبة الملك قسطنطين، حسب النمط البازلكي، وحولها الاتراك إلى جامع زمن مراد الثالث، بعد إحتلالهم لعاصمة البيزنطيين.
أنظر مقال: K. susshein et FR. Taeschner في: Encyclopédie de l'Islam, 2eme ed. T.1, P. 797-800.

عن ساير الرعية الظلم ويقتصر عن أخذ الخراج ويزيل ما أبدعته الظلمة من المغارم ولا تعلّقوا آمالكم بابراهيم ومراد وارجعوا إلى مالك الممالك وخالق العباد فقد قال نبيّه ورسوله الإكرام الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها بين الأمم عليه أفضل الصلوة والسلام.

الداعي لكم الفقير
السيد خليل البكري
نقيب الأشراف عفي عنه

الداعي لكم الفقير
عبدالله الشرقاوي
عفي عنه

الداعي لكم الفقير
مصطفى الضاوي[1]
عفي عنه

الداعي لكم الفقير
محمد المهدي الحنفاوي
الشافعي عفي عنه[2]

الداعي لكم الفقير
محمد الأمير مفتي المالكي[3]
عفي عنه

الداعي لكم الفقير
أحمد العريشي[4]
عفي عنه

الداعي لكم الفقير
سليمان الفيومي المالكي

الداعي لكم الفقير
محمد الداواخلي الشافعي[5]

---

(١) الصحيح مصطفى الصاوي.

(٢) وردت ترجمته هامش ص - ٦، كان سكرتيراً في الديوان، وصادق المستشرق مارسيل، الذي نشر مذكراته، وكان هذا الشيخ وسيلة الارتباط بين نابليون واعضاء الديوان.
أنظر: Deherain, Histoire.. op.cit, T,V,P. 353-354.

(٣) ولد محمد الأمير في سنبو، وهي قرية في مركز أسيوط عام ١١٥٤ هـ - ١٧٤١ م، كان أستاذاً وكاتباً، ثم أصبح عضواً في الديوان الذي أنشأه منو، إشتهر بجرأته وشجاعته. توفي عام ١٢٣٢ / ١٨١٧. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٢٨٤..

(٤) ولد الشيخ العريشي في خان يونس، درسَ في القاهرة، كان عضواً في الديوان زمن الفرنسيين، ثم عينوه في مركز قاضي مصر الكبير بعد هرب القاضي التركي، واستمر في منصبه إلى أن عادت مصر للعثمانيين فخلعوه ولازم منزله إلى أن توفي عام ١٢١٩ - ١٨٠٤ م. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص ٢٨٩.

(٥) محمد الدواخلي كان تلميذ الشيخ عبد الله الشرقاوي، إشتهر ذكره أيام الفرنسيين، باشتهار ذكر أستاذه. توفي عام ١٢٢٦ هـ - ١٨١١ م. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٢٩٥.

عـفـي عـنـه		عـفـي عـنـه	
الـداعـي لـكـم الـفـقـير		الـداعـي لـكـم الـسـيـد	
موسى السِرسـي الـشـافـعـي[1]		مـصـطـفـى الـدمـنـهـوري[2]	
عـفـي عـنـه		عـفـي عـنـه	

ثم أن أمير الجيوش بعدما طرد إبراهيم بيك وباكير باشا في شهر صفر ورجع إلى مصر أحضر القنصل كارلو[3] وأمره أن يتوجه إلى مراد بيك في الصعيد ويتكلم معه أن يُقدم الطاعة إلى أمير الجيوش ويكون عضواً من أعضاء المشيخة ويتقلد أحكام مدينة جرجة[4] وأعمال الصعيد ويكتسب راحته وراحة البلاد والعباد[5] ويكون له الأمان فسار القنصل إلى مراد بيك بذلك الخطاب

(١) موسى السرسي: كان أستاذاً في الأزهر، وهو من قضاء المنوفية توفي عام ١٢١٩ ـ هـ ١٨٠٤ م. أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٢٠، ٣٢١.

(٢) يقول الجبرتي في ترجمة الدمنهوري «تفقه السيد مصطفى الدمنهوري على يد مشايخ عصره، وتمهر في المعقولات ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوي واشتهر بنسبه إليه، ولما وطيء مشيخة الأزهر صار المترجم عنده صاحب الحل والعقد في القضايا والمهمات والمراسلات عند الأكابر والأعيان، وكان له شغف بكتب التاريخ وسير المتقدمين، كما أنه كان أحد أعضاء الديوان القاهري. توفي عام ١٢١٣ هـ ـ ١٧٩٨ م. أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١١، ٦٧.

(٣) يقصد الكاتب هنا السيد روزيتي، قنصل النمسا، حول هذه المهمة التي كلفه نابليون بها راجع:
De la Jonquière, l'expédition d'Egypte, Vol. II, P. 474.

(٤) جرجا: هي مدينة قديمة في الصعيد على الشاطىء الغربي للبحر الأعظم قبلى أسيوط، تقع في منتصف الطريق بين القاهرة واسوان، وكانت تعتبر عاصمة الصعيد في ذلك العصر، نظراً لاهميتها التجارية والزراعية. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٠، ص ٥٣.

(٥) بعد الفتح العثماني خلع السلطان سليم على الامير علي بن عمر زعيم قبيلة هواره في الصعيد، ومنحه أمرة الصعيد وجعل مركزه جرجا، واستمرت هذه القبيلة بحكم الصعيد بموافقة السلطان العثماني حتى الربع الأخير من القرن السادس عشر. أنظر: رافق، بلاد الشام ومصر، ص ١٣٤، ١٣٥- ثم بدأ المماليك الباكوات يتسلمون حكم الصعيد منذ عام ١٥٧٦، وأصبح لباكوات جرجا أهمية أخذت تتطور مع تطور قوتهم، كما أن حكم هذه المنطقة من مصر هام نظراً لقيمتها السياسية والإقتصادية.

أنظر: Deherain, Histoire.. T.V., P. 70;71

وكان الصعيد مركز قوة المماليك، وإليه كانوا يلتجئون إذا تزايد الضغط عليهم سواء من حزب المماليك المعارض لهم أم من الدولة العثمانية، أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ١، ص ٢٥٦،

وفي وصوله ترحّب به مراد بيك غاية الترحيب وقابله مقابلة الحبيب لأن هذ القنصل كان لهُ مدة مستطيلة في مصر وكان محبوباً من [٢٥-ب] ساير السناجق ولا سيما من مراد بيك وكان له عنده مبلغ من المال ثم أن مراد بيك سأله مستخبراً عن أحوال مصر فأخبرهُ القنصل بكلما دبره أمير الجيوش ثم قال له أن بونابرته أرسلني إليك لأجل الإعتماد على اجرا الحب والوداد وأن تحقن دما العباد وتكتسب راحة البلاد فقال مراد بيك إلى القنصل ارجع وقل لهُ يجمع عساكره ويرجع إلى الأسكندرية وياخذ منا مصروف عسكره عشرة آلاف كيس ويكسب دما أجناده ويريحنا من كفاحه وجلاده فرجع القنصل إلى مصر وأخبر بونابرته بما سمعه من مراد بيك فغضب أمير الجيوش من ذلك وفي الحال امر الجنرال ديزه المعينّ على إقليم الصعيد بأن يسير بالعساكر إلى حرب مراد بيك فأخذ الجنرال أربعة آلاف مقاتل وسار بها إلى الصعيد فنرجع أن أمير الجيوش بونابارته [٢٦-أ] في ابتدا قدومه أخرج العساكر من المراكب إلى البرية في ثغر الإسكندرية وأمر إلى سر عسكر البحر[١] أنهُ يبقى مقيماً في البوغاظ لحماية الحصون لأنه قد احتسب أن لم يتوفق لهُ فتوح مصر فيحتاجوا إلى العمارة وأوصاه أن لا يلقي مراسيه في المينا بل دايماً يطوف أمام الإسكندرية وهو مُشرّع القلوع ثم أن أمير الجيوش

= ٢٥٧. وقد عرض القبطان حسن باشا أثناء حملته على مصر عام ١٧٨٦ على مراد بيك وابراهيم بيك تولي أحكام جرجا والصعيد، بعد أن فشل في حملته ضدهم. أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٣، ١٧٤.

أنظر أيضاً: De la, Jonquière, Vol. V. P. 394

ثم عرض هذا الأمر بونابرت على مراد بيك لكنه رفضه، إلا أنه أصبح أساساً للتحالف بين كليبر ومراد بيك.

أنظر: Deherain, histoire, P.146.

أنظر أيضاً: الجبرتي، ج ٣، ص ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢. كما اعتمده الانكليز فيما بعد لحل الأزمة التي قامت بين المماليك والعثمانيين عام ١٨٠١ ـ ١٨٠٢.

أنظر: Deherain, histoire, Vol. VI, P. 69.

(١) المقصود هنا الاميرال «برويس» Burueys قائد الاسطول الفرنسي. تذكر نسخة ڤييت ص ٢٠ مخالفة الاميرال البحري لأوامر نابليون، في حين نرى هنا أن الترك يذكر عدم وصول الرسول، وكما في هذه النسخة كذلك في نسخة ديغرانج، ص ٤١، وعند الشهابي، ج ٢، ص ٢٣٤.

بعد فتح مصر أرسل إلى السر عسكر نجاباً يامرهُ بالقيام وقيل أن ذلك النجّاب مات في الطريق ثم أرسل له نجاباً ثانياً فلم يصله من العربان وكان السر عسكر أرمى مراسيه في مينة بوقير(١) واطمأن وكانت مراكبه الكبار الحربية ثلثة وعشرين مركباً ومنهم مركب عظيم وهو المدعو بنصف الدنيا(٢) وكان محمولهماية وثمانون مدفعاً وفيه ألف من العساكر وكان فيه أموال جزيلة وذخايرر ثمينة أسلبوها من تلك الممالك التي تملكوها كما قدمنا ذكرها. ٢٦-ب وعندما كانت تلك العمارة رابطة في البوغاظ وغافلة عن الأيقاظ فدهمتهم مراكب الإنكليز على بغتةٍ وبدوا يطلقون عليهم القنابر والمدافع واشتد عليهم الحرب يوماً وليلة فاحترق من تلك العمارة العظيمة اربع مراكب كبار ومنهم تلك السفينة العظيمة والقلعة الجسيمة المسّماة بنصف الدنيا واستمرت تتقد في البحر أربعة أيام ومات من فيها من العسكر وسر عسكرها الذي بسو تدبيره قد هلك وأهلك معه نفوساً كثيرة وأحتوت الإنكليز على أكثر تلك المراكب واستأسرت من فيها من العساكر وأكثرهم هكوا(٣) من ضرب المدافع والقنابر(٤) ولما وصل ذلك الخبر المريع والخطب الشينع إلى أمير الجيوش فصار كالمدهوش وصفّق بكفة ودب برجليه وأحمّرت مقلتاه وتسخطّ على ذلك الجنرال لعدم اطاعته والأمتثال وقال جزاه ما حل به من الوبال وصاحت الفرنساوية ٢٧-آ يا لها من بلية لقد خابت الآمال وهلكت الرجال وذهب الحال والمال لقد امتنع عنا الأمداد وحرمت علينا البلاد وشمتت

---

(١) هي مدينة مصرية تقع على شاطىء المتوسط، ولقد أعطت للخليج والجزيرة، وهي كشبه جزيرة، تقع على بعد ٢٣ كم شرقي الاسكندرية، وفيها حدثت معركة «أبو قير» في ٣١ آب عام ١٧٩٨ ثم انتصر فيها نابليون على العثمانيين في ٢٥ تموز ١٧٩٩، وأخيراً تمت فيها المعركة التي وضعت حداً للاحتلال الفرنسي في ٨ آذار ١٨٠١.

أنظر مقال: Encyclopédie de l'Islam, 1ère ed, Vol. I, P. 120-127 (L.H. Beker).

(٢) يقصد الترك البارجة (الشرق) ولقد استعمل الجبرتي التعبير ذاته، وذلك إشارة إلى عظمتها.

(٣) الصحيح هلكوا.

(٤) حدثت هذه المعركة في أول ايلول ١٧٩٨، وكان إنتصار الانكليز بقيادة الاميرال نلسن صاعقاً، وفقد الفرنسيون سفنهم الكبرى باستثناء انسحاب فيلنوف بأربع سفن حربية قاصداً مالطة. أنظر: F. Charles - Roux, l'angleterre et l'expédition française, Vol. I,P. 56-59.

بنا الأعدا والحساد وطمعت بنا الإسلام وزاد علينا الخصام وكان ذلك بدوء الأنكيس وأول التعكيس وقد أيقنت الفرنساوية بالتهلكة بعد كسب المملكة لحجز الأمداد عنهم ونفور الإسلام منهم[١] لأن الفرنساوية قد استعملت احتيالات كثيرة وسلكوا مسالك غزيرة لأجل الضرورة كاشتهارهم بالإسلامية ونكرانهم النصرانية وأظهارهم للحرية واقرارهم بالاتحاد مع الدولة العثمانية وأنهم باذنها دخلوا الديار المصرية وأنهم مع الإسلام على اخلص طوية واصلح نية ويرغبون راحتهم ويحبون ديانتهم وكان الفرنساوية موانستهم. غريبة وطول أناتهم عجيبة وكانوا احسن سلوكاً من ساير الجنوس واشتهروا بالأمن وطولة البال وطيبة ٢٧ب النفوس ونشروا العدل وحسن الأحكام وقد احتـووا الشرايع الحقيقية على التمام ومع ذلك قلوب الإسلام غير آمنة والأحقاد في ضمايرهم كامنة ويشتهون لهم المهالك والوقوع في أضيق المسالك فهذا ما الجا أمير الجيوش إلى المخافة فبدا الإحتيال بحسن الرقـة واللطافة لجـذب القلوب وتحصيل المطلوب وكان هذا الأمير المشتهر اسد من الأسود ونادراً في الوجود[٢] رهط من الأرهاط العظام حكيماً عليماً بمكايد الأيام.

ذكر ما صنعه أمير الجيوش في جريان النيل[٣]

أنه من بعد دخول الفرنسـاوية إلى القـاهرة بمـدة قليلة جرى النيـل. السعيد فأحضر أمير الجيوش علما الديوان وسألهم عن العوايد في جريان النيل والقوانين وحررها عنده ثم آمر باخراج العساكر من المدينة إلى خارج البلد وأن يصطفوا صفوفاً في مراتبها وأحضر لديه أعيان المدينة ٢٨أ وعلماها والحكام

(١) يذكر الجبرتي، أن الفرنسيين منعوا المصريين التحدث عن كارثة أبو قير، وبأنهم قطعوا لسان شخصين ثبت لديهم أنهم أشاعوا هذا الخبر. أنظر: الجبرتي، مظهر التقديس، ج ١، ص ٨٧، ٨٨.

(٢) رهط جمعها أرهط، أرهاط، رهط من الناس، عدد من الناس، والرهط عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة، وهو ما دون العشرة من الرجال أنظر: لسان العرب (مادة رهط).

(٣) حول عادات المصريين عند وفاء النيل، وحول ما صنعه الفرنسيون في هذا العيد زمن وجودهم في مصر، أنظر: خطط المبارك، ج ١٨، ص ٢٤، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣.

والتجار من النصارى والإسلام وركب من منزله الكاين على البركة اليزبكية وركبوا جميعهم معه وخرجت أهالي مدينة القاهرة من ساير الملل(١) وكان موكباً عظيماً ومحفلاً جسيماً يذكر جيلاً فجيلاً وفرّق مالاً غزيراً وضربت في ذلك النهار مدافع كثيرة من ساير الأماكن ومن القلعة الكبيرة وصنعت الفرنساوية في تلك الليلة مدافع كثيرة من ساير الأماكن ومن القلعة الكبيرة وصنعت الفرنساوية في تلك الليلة حرّاقات عظيمة(٢) لم تكن صارت في المدن القديمة وكان أمان شاملاً لكل الناس وخرجت النسا والرجال من دون باس وصنع أمير الجيوش وليمة عظيمة لساير الأعيان والعلما واهل الديوان والجنرالية الفيسالية وحكام الخطوط المصرية وقد أعجبت اهل القاهرة تلك الأحوال الباهرة والأمور الصايرة.

ذكر ما صنعه أمير الجيوش في مولد النبي الواقع في ١٢ ربيع الأول سنة ١٢١٣ أن أمير الجيوش بعد تملكه القاهرة في أثنى عشر ربيع[٢٨-ب] أول كان مولد النبي محمد فصنع في ذلك الأوان مولداً عظيماً على بركة اليزبكية كعادة أهل القاهرة وكانت ليلة عظيمة لأنه صف جميع العساكر الموجودة داخل القاهرة صفوفاً بطبولهم والآلات الموسيقية وأمر بحراقات عظيمة وضرب مدافع كثيرة وكان احتفالاً عظيماً ومولداً فخمياً وحضر في الوليمة بمنزل الشيخ خليل البكري لأن هذا المولد مختص بالسادات البكرية وذلك مع كامل الجنرالات والفيسالية والعلما والأعيان وأصحاب الديوان ثم أولى الشيخ خليل البكري منصب النقابة عوضاً عن السيد عمر مكرّم نقيب الأشراف(٣) لأنه قد كان هرب مع الغز إلى

(١) حول أحداث هذا العيد يقول الجبرتي: «أما أهل البلد فلم يخرج منهم أحد تلك الليلة سوى النصارى والشوام والقبط والاورام والافرنج البلديين ونساؤهم وقليل من الناس البطالين». أنظر: كتابه، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٥.

(٢) حراقات: هي فتيلة، أو مجموعة من خرق نصف محروقة ومحضرة للإشتعال بسهولة. أنظر: Dozy, Vol. I, P. 274.

(٣) «كان السيد عمر مكرم نقيباً للإشراف عند مجيء الحملة، ثم غادر مصر فخلت بذلك نقابة الاشراف من النقيب، لذا عين الفرنسيون السيد خليل البكري نقيباً للاشراف» أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٩، ١٥.

الشام وقد كان الشيخ خليل البكري محباً لجمهور الفرنساوية فلاجن ذلك بغضته الإسلام المصرية.

ذكر العيد الذي صنعه أمير الجيوش للمشيخة في ربيع ثاني سنة ١٢١٣. ٢٩-أ

أنه حين دخل شهر ربيع الثاني صنعت الفرنساوية عيداً عظيماً للمشيخة في البركة اليزبكية وذلك أنهم اصطنعوا عاموداً طويلاً مرّصفاً وغرسوه في البركة اليزبكية وصوروا عليه صورة سلطانهم وصورة زوجته الذين قتلوهما في مدينة باريز ثم جعلوا من العامود إلى البر أخشاب مثلّثة الألوان وصوروا عيها صور الموقعات التي حدثت في بر امبابة وفتوح القاهرة وصورة الأشخاص المحاربين من الفريقين وصورة ايوب بيك المقتول في هذه المعركة ومن مات من الغز وانهزامهم وكلما تم في هذه المعركة وكانوا يقولون أن هذه شجرة الحرية وأما اهالي مصر كانوا يقولـون أن هذه اشـارة الخازوق[1] الـذي ادخلوه فينا واستيلايهم على مملكتنا واستمر هذا العامود نحو عشرة اشهر وحينما رفعوه استبشرت أهل مصر وابتهجت بالفرح وكانت الفرنساوية تصنع هذا العيد اينما وجدوا[2] ٢٩-ب بفرح عظيم في كل سنة.

ذكر أمير الحج لما خرج في الحج قبل دخول الفرنساوية. أنه في سنة ١٢١٣ خرج الحج الشريف من مدينة مصر وكان صالح بيك[3] أمير الحج

(١) الخازوق: جمعها خوازيق، وهو عبارة عن وتد أو دائرة من الاوتاد يستخدم عادةً لتنفيذ حكم الاعدام.
أنظر: Dozy, Vol. I, P. 368.
أنظر: Barbier de Meynard, Vol. I, P. 679.

(٢) لقد نظم الفرنسيون إحتفالات بعيد الثورة الفرنسية في جميع المقاطعات المصرية، أنظر حول تفاصيل هذا العيد.
Deherain, histoire Vol. V,P. 316-318.

(٣) صالح بيك: هو من مماليك محمد بيك أبو الذهب، تولى الزعامة بعد موت أستاذه، وتقلد كتخدا الجاويشية، وأصبح من جماعة إبراهيم بيك ثم من جماعة مراد بيك، وتقلد صالح بيك إمارة الحاج عام ١٢١٢ هـ - ١٧٩٧ م وخرج بالحجاج في تلك السنة وفي غيابه وصل الفرنسيون، فرجع إلى =

وبعد رجوعه من الزيارة الشريفة في الطريق وصلت له الأخبار عن دخول الفرنساوية إلى الديار المصرية وخروج الغز فبكا صالح بيك على خراب أوطانه وتفرق خلانه وذهاب ماله وسبي اعياله وغاص في بحر الأفكار وخاف من رجوعه إلى تلك الديار وصار حايراً من تلك المصايب وفرقة الحبايب وقطع رجاه والأمل ولم يعرف كيف العمل وأخذ بالمشورة مع اصحابه وخلانه فثبت رايه أن يتوجه إلى القدس الشريف فحينما شاهدوه أهالي المدينة بدوا يشتمون ويقولون لعنكم الله يا ملاعين ويأأظلم الظالمين سلمتم مدينة الإسلام إلى الفرنساوية الليئام وهربتم. ٣٠-أ وهربتم من وجه الكفار وابتديتم تخربوا هذه الديار فلما سمع صالح بيك تلك الشتايم المغمة والألفاظ المسمة فاتقدت بقلبه النيران وغاص في البحران ونزل في منزله وهو مثل النشوان ومرض جملة أيام من قهره ثم توارى في قبره[1] وكذا جرى إلى ابراهيم بيك ولمن معه لما حضروا إلى اراضي الشام فكانوا يسمعون من الناس غليظ الكلام وقد ذاقوا المشقة والأتعاب وقضوا الإهانة والعذاب في البراري والقفار من الذل والأضرار وكانوا اهالي الشام يعيرونهم في الكلام ويلومونهم وهم لا يستحقون الملام وما كانوا يدرون ما قاست الغز في الحرب والصدام من الكفرة الليئام وكانوا يظنون أن الغز هربت من تلك البلدان من دون حربٍ ولا طعان ولم يدربوا ما جرى عليهم من اوليك الشجعان فهذا ما كان من الغز بارض الشام وأما ما كان من أمير الجيوش فأن بعد قيام الفرنساوية بمدة طويلة في مصر علموا أن ٣٠-ب عدواتهم في سراير الإسلام مستكنة فلذلك لم تكن قلوبهم مطمأنة وكانوا يخشون تسليم كتابتهم للسعاة من أهل تلك البلاد فأمر أمير الجيوش بأبطال السعاة

= بلاد الشام ومات هناك عام ١٢١٣ هـ- ١٧٩٧ م. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٦٦، ٦٧.

(١) يشير الجبرتي إلى أن جسد صالح بيك أعيد إلى القاهرة بعد ثلاث سنوات من موته، ويقول «دفنوا صالح بيك بتربة أعدت له والعجيب أن الناس من القديم يتمنون أن يقبروا في الأراضي المقدسة وما جرى بالعكس ما هو الأ لتطهيرها منه». أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩٦.

من مصر إلى البنادر وكانوا يرسلون المكاتب في المراكب وكانوا يضعون فيها عدة من الصلدات لأن المراكب كانت لأهل تلك البلاد والنوتية منهم ومن كون أن أهل تلك البلاد عازمين على ضرر الفرنساوية ومهمّين على تلك النية فكانوا يضيّعون كثيراً من الصلدات مع الذين يسافرون إلى البنادر فالتزم أمير الجيوش حين تسلّم مدينة الاسكندرية قلّد السيد محمد كريم لتدبير أمور البلد كعادته في أيام مراد بيك ففي ذلك الزمان وقع منه مكاتبة إلى مراد بيك يحثّهُ على الحضور إلى الأسكندرية لكي يسلمه البلد فلما وصلت [٣١-أ] تلك المكاتيب إلى أمير الجيوش ففسرهم وفهم ما فيهم وفي الحال ارسل إلى الجنرال الحاكم في الأسكندرية بأن يقبض على السيد محمد كريم[١] ويرسله له وحين حضر السيد محمد كريم قدام أمير الجيوش سأله عن تلك الكتابات فأنكر ذلك فاخرج له أياهم وحين نظر كتاباته صار مذهولاً ولم يعلم ماذا يقول فأمر الجيوش بأرساله إلى شيخ البلد وقد أتت العلما والأعيان يترجونه باطلاقه[٢] فاجابهم أن قد عرض أمره على الشريعة وحكمت عليه بالموت ودفعوا عنه خمسين كيس فلم يقبل ذلك وقال لهم أن شريعتنا لا تقبل الرشوة ولا يقدر أحد أن ينقذه من الموت حتى ولا أمير الجيوش لأن الشريعة إذا حكمت على أحد بالموت فلا بد له من ذلك ثم اعرض عليهم تلك الكتابات وأحضر السيد محمد كريم وقال له هذا خطك قال نعم ثم رجّعه إلى السجن إلى أن انصرفت العلما وآمر بأن يمضوا. [٣١-ب] بالسيد محمد كريم إلى ساحة الرملة[٣] ويطلقوا عليه الرصاص[٤] وكان وهو ساير ينادي يا امة محمد

---

(١) يذكر الجبرتي أن سبب إلقاء القبض على محمد كريم هو مطالبة الفرنسيين له بدفع كمية من المال إلى الجباة كما وجدوا في قصره بالإسكندرية رسائله إلى مراد بيك. أنظر: كتابه، مظهر التقديس، ج ١، ص ٩٤.

(٢) يذكر الجبرتي أن السيد احمد المحروقي كبير تجار البهار والبن في القاهرة هو الذي تدخل لدى الفرنسيين لاطلاق سراح السيد محمد كريم. أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج ١، ص ٩٥.

(٣) تقع ساحة الرملية وسط حي الرميلة على سفح جبل قلعة القاهرة، وهذه الساحة تعرف الأن بإسم (ميدان المنشية)، وفيها مسجد السلطان حسن بن محمد بن قلاون وجامع المحمودية، وكانت هذه الساحة مركزاً للصراعات المختلفة في مصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر، أنظر: المبارك الخطط التوفيقية، ج ١١، ص ٧٥.

اليوم بي وغدا بكم وحين قتل كان حزن عظيم عند المصريين ومن ذلك الوقت تنافرت قلوبهم بالزيادة وقد كانت الإنكليز بعد تملكهم عمارة الفرنساوية قد ربطت عليهم البواغيظ وحاصرتهم في الديار المصرية فارسل سر(١) عسكرهم وأعلم ملكهم بذلك الإقتدار فهاجت المملكة واستبشرت بانتصار وهيجوا معهم الدول الإفرنجية واستنهضوا لمحاربة الفرنساوية ومن حيث أن الجمهور الفرنساوي قد قهر ساير الممالك الإفرنجية وظفر بهم وسلب أموالهم وتملك منهم مُدناً وقلاعاً حصينةً وذلك ببطش مقدمهم وناشر اعلامهم الفرد الظاهر والليث الظافر أمير جيوشهم بونابارته وقد ترك في ساير الأقاليم الأفرنجية مخافة قلبية سيما بعد اطلاعهم على التملك في الديار المصرية ولكن حيث بلغهم ما فعلت بهم الإنكليز وأن قد ربطت عليهم البواغيظ فقويت قلوبهم وأملوا بنيل مطلوبهم فصمموا النية على طرد العساكر الفرنساوية التي قد كان تركها في الأقاليم الأفرنجية واشهر الحرب ملك النمسا واستنهض معه ملك بروسيا ونهضت ممالك ايطاليا مع رومية الكبرى هذا ما كان وسياق الكلام عنه في غير مكان وقد ذكرنا أن الفرنساوية حين تملكوا مالطة ابقوا بها ستة الاف من العسكر وأصبحوا عوضها وفي هذه الأيام توجهت الإنكليز إلى تلك البواغيظ

= أنظر أيضاً: A. Raymond, Artisants et.commersants, Vol. II, P.447,448.

(٤) إن قضية السيد محمد كريم ليست بالبساطة التي يصفها الترك. توقف محمد كريم في ٢٥ تموز ١٧٩٨، ونقل بمركب إلى بارجة (الشرق) في أبو قير، ولقد حكم عليه بتاريخ ٣٠ تموز بدفع غرامه، ثم نقل إلى رشيد، وفي ٤ آب إلى القاهرة، وحكم عليه بالموت في ٥ أيلول ونفذ الحكم في اليوم التالي.

أنظر: De la Jonquière, Vol. II, P. 226-228, Vol. III P. 9110.

أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٦٢، ٦٣. ويذكر عبد الرحمن الرافعي أن السيد محمد كريم رفض دفع الغرامة التي فرضت عليه ليفتدي نفسه رغم نصيحة فانتوري كبير التراجمة، له بدفعها. أنظر: كتابه، تاريخ الحركة القومية، ج ١، ص ١٨٨.

(١) المقصود هنا الاميرال نلسن، Nelson هو اميرال في البحرية البريطانية ولد عام ١٧٥٨، وهو بطل معركة أبو قير ثم معركة الطرف الاغر، وقد توفي في هذه المعركة الاخيرة عام ١٨٠٥.

أنظر: La grande encyclopédie larousse, vol. 14, P. 8453-8454.

وحاصرت مدينة مالطة أشد حصار إلى أن أضر بهم الجوع وايقنوا بالفجوع فتسلموا الإنكليز المدينة بالأمان وقويت شوكة الإنكليز فاشتد باسهم في تملك مالطة(١) لأنها بالقرب من الاسكندرية.

ذكر ما تم في ممالك الدولة العثمانية أنه عندما شاعت الأخبار بأن الفرنساوية تملّكت ٣٢-ب الديار المصرية هاجت جميع ممالك الإسلام لمحاربة الفرنساوية الليام وصاحوا يا غيرة الدين وحماية المؤمنين واستنهضت الدولة العلية والسدة المملوكية لاستخلاص الديار المصرية(٢) وأبرزت الأوامر والأحكام وساير الباشاوات(٣) والحكام تستنهضهم للمغازاة على دين الإسلام وقد حضرت الأوامر الشريفة إلى أحمد باشا الجزّار بالمغازاة على هولا الكفار ويكون سردار(٤) العسكر وكان أمير الجيوش بونابارته حين بلغه استنهاض

---

(١) عندما قررت الحكومة الانكليزية التدخل عسكرياً لاخراج الفرنسيين من مصر أرسلت حملة عبر المتوسط واحتلت مالطة في طريقها في ٥ تشرين الاول ١٨٠٠.
أنظر: F. Charles - Roux, l'angleterre et l'expédition française, Vol. II, P. 122.

(٢) أعلن السلطان سليم الثالث الحرب على الفرنسيين في ٢ ايلول عام ١٧٩٨ بعد إنكسارهم في معركة أبو قير.

(٣) مفردها باشا، وهي كلمة تركية مأخوذة من كلمة (باش) أي الرأس، وهو اللقب الرسمي للوزراء ولبعض الموظفين الكبار وفي النظام القديم أعطي الاسم أيضاً لبعض الوظائف العسكرية، وكان للباشوات إشارة مميزة لوظائفهم وهذه الاشارة تكون طوخ أو طوخان بدلاً من الطبل والعلم التي كانت تخص حكام المقاطعات.
أنظر: Barbier de Meynard, Vol. I, P. 281.
ولقب الباشا يعتبر من أرفع ألقاب الامبراطورية العثمانية وقد ظهر منذ القرن الثالث عشر، وأعطي الاسم إلى حكام المقاطعات ووزراء العاصمة، وقد تزايد عدد الباشوات بعد القرن السادس عشر،
أنظر: Encyclopédie de l'Islam, 1ere ed, Vol, III, P. 1101-1104.

(٤) سردار: معناها الحرفي (حافظ السر)، أما معناها في المصطلحات العسكرية العثمانية فهي جنرال أو قائد جيش، ومنها سردارية أى جنرالية،
أنظر: Barbier de Meynard, Vol. II, P. 76
وسردار تعني أيضاً، ممثل السلطان في الجيش، ولا يسمى السردار إلا زمن الحرب، ولكن قد يحمل بعض الموظفين الكبار في مقاطعات الامبراطورية هذا الاسم وكذلك فإن قائد الإنكشارية في المدن الكبرى يسمى سرداراً.

الإسلام إلى تلك الديار فاستدرك الأمر بكتابات إلى الجزار واستدعا بأحد الكوميسارية[1] وأرسله إلى دمياط لكي يسير في مركب إلى عكار وكتب كتاباً إلى الجزَّار على هذه الصورة بعد الترجمة أنه من المعلوم عندكم اتحاد الدولة الفرنساوية مع الدولة العثمانية بالحب والصدوقية منذ أعوام عديدة ثم لا خفاكم عداوتنا مع دولة الإنكليز وسطاها على بلداننا التي في أراضي الهند[٣٣-أ] فاضطررنا إلى الحضور إلى هذه الأقطار المصرية وذلك بإذن الدولة العثمانية وبإرادتها الكلية أوّلاً لقطع شجرة المماليك العصاة على الدولة العلية ثانياً لكي بعد قطع هولا الظالمين وتمهيد المملكة وخلاصها من يد القوم الفاجرين فنسير إلى الأقطار الهندية لتخليص بلادنا وأرضنا من الدولة الإنكليزية وها نحن مباشرين في قرض المماليك العصاة على السلطان وما أتينا إلاّ أننا نحامي عن المسلمين ونرفع شرايع الدين ونسيّر محمل الحج الشريف إلى المقام المنيع ونبقي السكة والخطبة باسم حضرة محبنا السلطان سليم دام بالعز والتنعيم فبناءً على ذلك أصدرنا لكم هذا الكتاب لتعلموا منا حقيقة السبب الداعي لهذا الإياب وتكونوا من قبلنا في حيّز الأمان وغاية الإطمئنان وتفتحوا البنادر وتسيّروا المتاجر لعمار البلاد وراحة العباد والسلام ثم توجه ذلك الكوميسارية المدعو باظان من مصر إلى دمياط[٣٣-ب] ومن هناك توجه في مركب أحمد باشا الجزّار الذي كان رابطاً في المينا وأصحب معه ترجماناً واثنين من التجار ولما وصل إلى أسكلة عكّا فكتب الكوميسارية باظان إلى الجزار يعلمه عن قدومه من طرف أمير الجيوش بونابارته ونزل القبطان إلى عكا وحينما دخل أمام الجزار فسأله عن مصر وعن أحوالها

= أنظر: Dozy, Vol. II, P. 76

(١) أرسل نابليون الكوميسار بوفوازان رسولاً من قبله إلى أحمد باشا الجزار حاكم عكا وسيد سورية وفلسطين الحقيقي، ولكن هذا الرسول فشل في مهمته وعاد إلى مصر دون إن يستقبل، وحتى دون أن يقدم الرسالة التي يحملها، لأن الجزار رفض إستقباله، واستلام الرسالة. حول هذه المهمة راجع:

F. Charles - Roux, l'angleterre et l'expédition française, Vol. II, P. 135.

راجع أيضاً: الجبرتي، مظهر التقديس، ج ١، ص ٨٩.

وعن سبب خلاصه من مدينة دمياط فأجابه القبطان أن الفرنساوية أطلقوا سبيلي وحضر معي كوميسارية من طرف سر عسكرهم بكتابةٍ وهو الآن معي في المركب ثم أعطاه كتاب الكوميسارية باظان فلما فهم الجزار ذلك الخطاب اشتد به الغيظ والغضب وقال للقبطان وجّه هذا الكافر ودعهُ يسافر وإن لم يرجع في الحال من هذه الديار أحرقتهُ بالنار ثم سأله من الذي أتى معه فقال له القبطان ليس معي سوى ترجمانه واثنين من التجار وهم نصارى من أبناء العرب.[٣٤-آ]

فقال الجزار أخرج التجار بأرزاقهم إلى البلد ودع الكافر حالاً يسافر ورجع القبطان إلى المركب وأعلم الكوميسارية بما سمع من الجّزار وفي الحال أحضر لهُ مركباً صغيراً ورجع إلى دمياط من غير تأخير وقبض الجزار على تلك التجار وكان بين الجزار وبين الفرنساوية عداوة قَديمة وبغضة جَسيمة من طرد قناصلهم من بلاده فلهذا السبب ما كان يود منهم أماناً ثم أن الجزار ابتدا يحرر إلى ساير الأقاليم المصرية ويستنهضهم على القيام على الفرنساوية وكانوا الغز الذين حضروا إلى بر الشام تهيّج الفلاحين والعربان لذلك المرام ويكتبوا لهم على النهوض والقيام وقد تظاهرت المصريون في العصاوة والأسيَّة على الطايفة الفرنساوية وقامت الأربع أقاليم المصرية القبلية والبحرية والغربية والشرقية وكان في كل وقت يقع الخصام بينهم وبين الجنراليّة من الأربع الجهات المصرية وتُحرق البلادُ[٣٤-ب] وتّهلك العباد إلى أن هلك عربان كثيرة العدد ومن فلاحين البلد وأما ذلك الكوميسارية الذي رجع من عند الجزار فهنه وصل إلى دمياط وفي الغد سار إلى مصر وأخبر أمير الجيوش بما تم لهُ من الجزار فاشتد بالغضب من ذلك السبب وبدا من ذلك الحين يباشر بتجهيز السفر وما يحتاج إليه من الإستحضار وقد كنا ذكرنا أن في المنصورة أقام من الفرنساوية ما ينيف عنماية وثلاثين صلدات وفي ذلك الوقت بدت أهالي البلد يتشاورون على قتلهم وإذ كانت هذه البلدة بعيدة عن مصر وبرها متسع وعربانها كثيرة وقد كان في كل

جمعة نهار الخميس يصير السوق[^1] ويجتمع فيه كثير من الناس لأجل البيع والشراء ففي أحد الأيام قامت أهالي المدينة وكبسوا أوليك الصلدات الفرنساوية وانتشب الحرب بينهم وإذا تضايقت الفرنساوية [٣٥-أ] وكاد يخلص ما عندهم من البارود فخرجوا إلى البر ونزلوا في إحدى المراكب فتكاثرت عليهم أوليك العوالم المجتمعة في يوم الخميس وقد كان ذلك الوقت أيام جبر النيل[^2] فلم تسير معهم المراكب والتزموا بالرجوع إلى البر وقصدوا يسيروا براً إلى مصر فلم تمكنهم أوليك الأمم وأورثوهم مواريث العدم ولم يزالوا يكافحون وعن أرواحهم يدافعون إلى أن قتلوا عن آخرهم ولم يبق بقية من أوليك الصلدات الفرنساوية وحين وصلت الأخبار فاشتد بأمير الجيوش الغيظ والغضب وأمر الجنرال دوكا بأن يتوجه إلى المنصورة ويحرقها ويقتل كل من بها فسار الجنرال بثلثة آلاف صلدات وحينما بلغ أهالي المنصورة قدومه فهربوا منه ولم يبقَ إلاّ القليل وحين وصوله رأى البلد خراباً وتقدم إليه أوليك الباقون وابتدوا يعتذرون له بقولهم أن أهالي المدينة ليس لهم ذنب بذلك الصنيع [٣٥-ب] وإنما صدر ذلك من الفلاحين والعربان لكثرتهم في ذلك الميعاد من كل البلاد وأن أهل المدينة حيث تحققوا أن ليس لهم اقتدار عن منع أوليك الأقذار فروا هاربين خوفاً من الفرنساويين فلما سمع الجنرال ذلك الكلام قبل اعتذارهم وعفى عن خراب ديارهم وأمرهم في الرجوع والطاعة والخضوع ثم أن الجنرال دوكا صنع ديواناً وقال لهم أنني مأمور من أمير الجيوش بأن أحرق هذه المدينة وأقتل كل من وجد بها ولكنني قد قبلت عذركم وصفحت عن ذنبكم ولكن من حيث أن قبل ما تقع هذه الشرور ما أعرضتم عنها أنتم مُطّلعين عليه من حقايق الأمور مع أنكم تعرفون رداوة أهل البلاد وما هم عليه من العناد فيلزمكم أن تدفعوا

[^1]: (١) كانت تجرى التجارة الداخليه في مصر، في أسواق أسبوعية تعقد في المدن والمراكز الزراعية، وفيها تستبدل البضائع الواردة من العاصمة بفائض إنتاج الاقليم. أنظر: جب وباون، ج ٢، ص ٢٤٦.

[^2]: (٢) جبر النيل: هو اليوم الذي يقطع فيه حاجز المياه في القناة لجريان المياه. أنظر: Dozy, Vol. I, P. 169.

جريمة قصاصكم أربعة ألاف كيس فدا دماكم فقبلت الرعية ذلك المقال وفي مدة قليلة أوردوه المال وبعد ذلك أرسل[٣٦-أ] الجنرال دوكا وأعرض على أمير الجيوش ما تدبر فرجع له الجواب بأن يأمر أهل تلك الأقاليم أن يرفعوا بيراق الفرنساوية على روس المؤذن وكل بلد لا ترفع ذلك السنجاق حالاً تُحرق وقد كنا ذكرنا أنه حين دخل أمير الجيوش إلى القاهرة ورتب أمورها وقلّد الجنرالية الأحكام في الديار المصرية وأرسل الجنرال ويال إلى مدينة دمياط فهذا الجنرال كان ذا مكر واحتيال وبطل من الأبطال فلما استقر في مدينة دمياط أحضر إليه سبعة أنفار من التجار الكبار وأقامهم لتدبير البلد وتلك الديار ثم رتب آغة إنكشارية وأقام والياً للبلد ومحتسباً للديوان ورتّب الترتيب القديم وأحضر شيخ قرية الشعرا[١] وهي بالقرب من مدينة دمياط وألبسه فرواً وقلّده سيفاً وأحضر لديه شيخ إقليم المنزلة[٢] المعروف بالشيخ حسن طوبال[٣] وقلَّده سيفاً مذهباً وهذا الشيخ المذكور كانت أهالي تلك الأقاليم تمتثل رأيه وتقتدي به.[٣٦-ب] وبعد ما تقلّد ذلك الإلتزام أتت إليه الكتابات من أحمد باشا الجزار ومن ابراهيم بيك وبها يحثوه أن لا يقبل الفرنساويين في أرضهم وأن يستنهض أهالي الأقاليم ضدهم ويكون مجاهداً في حربهم وكانوا في كتاباتهم لهُ يوعدوه بسرعة وصولهم إليه بالعساكر الوافرة ومن ذلك السبب تشاهر هذا الشيخ المذكور في خبث النية ضد

---

(١) قرية الشعرا: تقع إلى الجنوب من مدينة دمياط على ترعة الشرقاوية، بالقرب من بحيرة المنزلة. أنظر: الرافعي، ج ١، حاشية ص ٣٣٧.

(٢) إقليم المنزلة يقع هذا الإقليم في الوجه البحري، وفيه مدينة المنزلة التي كانت من المدائن الكبرى الشهيرة، وينتسب إلى هذا الاقليم بركة المنزلة التي بجوار بركة دمياط.
أنظر: Description de l'Egypte, Vol. XI, P. 524 et suivi.
أنظر أيضاً: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٥، ص ٧٥.

(٣) يقول الجنرال أندريوسي Andreossy الذي إرتاد بحيرة المنزلة وقدم تقريراً عنها إلى المجمع العلمي: «كان حسن طوبال زعيماً لاقليم المنزلة، ولسكان هذه المنطقة أربعين زعيماً يتبعون الشيخ طوبال الذي احتكر الصيد في البحر لقاء جعالة للحكومة، ويعتبر من أكبر أغنياء مصر وربما أغناهم، وتوارثت أسرته مشيخة البلد منذ أربعة أو خمسة أجيال، وسلطته تقوم على ثروته وقبيلته، وعلى مؤازرة الاعراب له لأنه كان يقدم لهم الهدايا ويقتطعهم الأراضي لزراعتها.
أنظر: Description de l'Egypte, Vol. XI, PP. 525, 526.

الفرنساوية وقد استنهض أهل تلك القرايا الذين حوله وعمدوا رأيهم أن يجتمعوا في قرية الشعراء بالقرب من دمياط ويكبسوا الفرنساوية ليلاً وأوصلوا العلم مع أهالي دمياط واتفقوا جميعاً على ذلك الرباط وفي شهر ربيع الثاني كبست الرجال البلد ليلاً وقد كان مسكن الفرنساوية في الوكايل التي على البحر وهجموا بضجيجٍ عظيم وعجيجٍ جسيم وهم ينادون اليوم يوم المغازاة من هولا الكفار ومن يتبعهم من النصارى اليوم ننصر[٣٧-أ] الدين ونقتل هولا الملاعين فانتبهت الفرنساوية من المنام واستعدوا للحرب والصدام والتقوا في تلك الأمم واورثوهم مورث العدم واصطفوا صفوف وضربوهم بالرصاص والسيوف ومنعوهم عن الدخول وكانت ليلة مرعبة ونار ملهبة فلله درهم من الرجال ما أشدهم بالحرب والقتال لأن تلك الأمم كانت قدرهم أضعاف فكسروهم بلا خلاف وأوردوهم موارد التلاف وقبل أن يطلع النهار أخرجوهم من البلد قوةً واقتدار إلى البرو القفار ورجعوا إلى قرية الشعرا خاسرين وفي أمورهم حايرين وكان قد وصلت الأخبار عند طلوع الشمس إلى أهالي الغربة وهي قرية صغيرة عند بوغاظ البحر المالح أن المسلمين كبست دمياط وقتلوا أوليك الكفار ولم يبقوا منهم آثار وقتلوا جميع نصارى البلد ولم يبقوا منهم أحد وكان في قرية الغربة خمسة أنفار من الافرنج فهجموا عليهم وقتلوهم وقدم مركب[٣٧-ب] فيه ثلثة أنفار فقتلوهم ثم هجموا على قلعة الغربة وكان بها عشرين من الفرنساويين فاغلقوا الأبواب وارموهم بالرصاص فرجعوا عنهم خاسرين وعند نصف النهار تحققت الأخبار بأن الرجال المسلمين رجعوا منكسرين والفرنساوية في دمياط مقيمين فندم أهل الغربة على تلك الفعال وخافوا على الحريم والعيال وفي ساعة الحال جمعوا أموالهم وأخذوا عيالهم وانحدروا في المراكب هاربين وإلى نواحي عكا قاصدين ووصل الخبر إلى دمياط بما صار في الغربة من الإختباط فركب الجنرال ويال إلى الغربة فلم يجد بها أحداً فنهبوا ما وجدوه واحرقوها بالنار ورجع إلى دمياط وابتدأت الافرنج تبني في الغربة حصوناً للعساكر ثم بعد رجوع الجنرال ويال إلى دمياط بلغهُ إن لم تزل أهل تلك البلاد مجتمعين وفي قرية الشعرا

مقيمين فعزم الجنرال ويال على المسير إليهم والقدوم ١٣٨-أ عليهم وأمر بأن المجاريح والمرضي من الأفرنج ينزلوا إلى المراكب خوفاً من مسلمين البلد وفزعاً مما يتجدد وحين شاهدت النصارى أن الفرنساوية عازمين على تخلية البندر فساروا إلى ذلك السر عسكر وقالوا له ما يحل لك أيها الجنرال أن تذهب وتلقينا بأيدي هؤلاء الأشرار لأننا قد سمعنا منهم جملة امرار قايلين اقتلوا النصارى قبل الفرنساوية لأنهم متحدين معهم سوية فلما نظر الجنرال ويال ما حل بالنصارى من الخوف والوبال اثنى عزمه عن القتال وكتب إلى الجنرال دوكا حاكم مدينة المنصورة يطلب منه الاسعاف (١) فوجه له ماية وخمسين صلدات وحين حضروا سار بهم إلى قرية الشعرا بعدما ترك اجناده في دمياط وحين وصل إلى القرية المذكورة انهزمت منهُ تلك الجموع فاحرق البلد وقتل من وجد بها ورجع إلى دمياط بقوة ونشاط (٢) وصنع شنّك عظيم (٣) ونشر البيارق علامة الإنتصار ١٣٨-ب ونكس البيراق العثماني الذي كان ناشره سابقاً حيث كان قد آمر أمير الجيوش أن في كل مكان توجد الفرنساوية فلينشروا سنجاق الدولة العثمانية وبعد أيام بسيره حضر الجنرال دوكا إلى دمياط وعقد المشورة مع الجنرال ويال على آخذ الجيزة وبلدة المنزلة ثم رجع الجنرال دوكا إلى المنصورة ومن هناك سار بالعساكر إلى البحر الصغير(٤) قاصداً أقليم المنزلة فخرجت له عربان ذلك البر في محلة

---

(١) ورد في نسخة ڤييت، ص ٢٤ إن نابليون هو الذي أرسل يطلب نجدة بمقدار ٣ آلاف عسكري من دوكا، ولكن الكلام في هذه المخطوطة مطابق لنسخة ديغرانج، ص ٥٤، وفي كتاب الشهابي ج ٢، ص ٢٤١.

(٢) ورد في نسخة ڤييت أن الجنرال دوكا هو الذي انتصر في قرية العزبة، أنظر: ڤييت، ص ٢٤.

(٣) شنك: من الكلمة التركية (شنك)، جمعها شنكات، تعني فرح جماعي. أنظر: Dozy, Vol. II, 793.
ويقول ديغرانج أن أصل الكلمة شنكل وتعني فرصة، ثم أصبح معناها المألوف فرح جماعي.
أنظر: ديغرانج، ص ٢٨٥.
وشنكل: الاحتفال بعيد ما، أو سعادة وفرح مدينة بأسرها.
أنظر: Barbier de Meynard, Vol. II, P. 156.

(٤) البحر الصغير: هو الاسم الذي أعطاه المصريون لبحيرة المنزلة الواقعة شرقي دمياط، كما أن الجزء =

يقال لها إلجملة والتقى في جماعة وفية وفرسان قوية فصدمهم هذا الشجاع والقرم المناع وشتت عسكرهم وأفنى أكثرهم وأحرق تلك البلدة ثم سار إلى المنزلة فحين بلغ الشيخ حسن طوبال قدوم ذلك الأسد المغوار فاترج رجة عظيمة وطلب الهزيمة وفر من ساعته إلى الأقطار الشامية وعندما وصل الجنرال دوكا إلى بلدة المنزلة التقته أهلها وقدموا لهُ الطاعة [٣٩-أ] وأخبروهُ بانهزام الشيخ حسن طوبال فأعطاهم الأمان وأحضر أخا الشيخ حسن طوبال وأقامهُ شيخاً على تلك الديار وضبط القوارب التي كانوا يسيرون بها من المنزلة إلى دمياط في البحيرة المالحة وأرسل تلك القوارب إلى دمياط وكانت كثيرة في العدد تنوف عن خمسة آلاف وقد أمنت الأفرنج في دمياط من نواحي أقليم المنزلة لأن قد كان حسن طوبال منتظراً قدوم عساكر الجزار ليركب بتلك القوارب ويأتي بها إلى مدينة دمياط وبعد أيام يسيرة رجع الجنَرال دوكا إلى المنصورة من بعد ما حارب في طريقه عرباناً كثيرة الذين كانوا يقصدون حربه ويقفون في دربه واستمر أقليم المنزلة وبر دمياط طايعاً للفرنساوية والعداوة في ضمايرهم مخفية وقد قدمنا الشرح في تحكم الجنرالات الفرنساوية في الأقاليم المصرية فكان الجنرال ميراد قد قلدهُ أمير الجيوش أحكام أقليم القليوبية وكان هذا الجنرال ذا شجاعة في القتال قوي البطش في [٣٩-ب] الحرب والجدال وحين سار في العساكر القوية إلى أقليم القليوبية وكان هذا الأقليم أصعب الأقاليم لكثرة عربانه العتاه وقومه العصاه وبراريه الواسعة ووديانه الشاسعة فهذا البطل الشجاع اطاعته آل تلك البقاع والاصقاع من بعد ما أذاقهم حروب شديدة وأحرق بلدان وأهلك عربان وبحروبٍ كثيرة افنى قبايل غزيرة وكان شيخ هذا الأقليم يدعى الشيخ الشواربي(١) وكان يجمع خلقاً وافرة وكانت بلده بعيدة

= القريب من البحر عند مصب الدلتا يدعى أيضاً بحيرة أو بحر صغير.
أنظر: Description de l'Egypte, Vol. XI, P. 525.

(١) يذكر الجبرتي أن اسمه سليمان الشواربي، إبن شيخ قليوب وكبير الناحية هناك، ولقد قبضوا عليه بتهمة إثارة الفتن في إقليمه في ٥ رجب عام ١٢١٣ (١٣ كانون الأول ١٧٩٨)، وحبسوه في القلعة =

يوماً واحداً عن القاهرة وكان من القوم الجبابرة وعربان اقليمه فاجرة فالتزم أن ينكس هاماً ويطيع قهراً وارغاماً ثم أن هذا الجنرال من بعد ما تملك هذا الأقليم جمع الأموال الميرية والترتيبات السلطانية ورجع إلى مدينة مصر بكل عزٍ ونصر وأما الجنرال لانوس حاكم الأقليم المنوفية والجهات الغربية فهذا الجنرال سار إلى مدينة منوف[1] ومكث بها وجمع الأموال منها ومن القرى والجبال وفرق عساكره على بلدانها واطاعته جميع سكانها وهذا الأقليم كان ألين الأقاليم وأهونها وأجملها وأحسنها ولم يحتاج هذا الجنرال النبيل إلاّ لحربٍ قليل لأن كان أغلب أهالي الديار المصرية هابت شجاعة الفرنساوية ورجة قلوبهم من شدة حروبهم لأن الفرنساوية من بعد دخولهم إلى الديار المصرية وحريق عمارتهم على بوغاظ الاسكندرية انقطع أمالهم من الإمداد مع ما شاهدوه من الكره من أهالي البلاد وما لهم في قلوبهم من البغض والأحقاد فكانوا يتنفسون الصعدا من صميم الفواد ويهجمون ولا يهابون كثرة العدد ويحاربون بأمور حكيمة وفنون علمية وقلوب صخرية غير هايبين الموت ولا خاشيين الفوت ومكث هذا الجنرال في أقليم المنوفية مدة وفية وجمع الأموال الميرية ومهد البلاد وطمن العباد ورجع إلى مدينة مصر بعزّ ونصر. وقد ترك في مدينة منوف وكيلاً عوضاً عنه وقد ذكرنا أيضاً أن الجنرال ديزه تقلّد من أمير الجيوش بونابارته إقليم الصعيد قد تعينّ بالعساكر لحرب مراد بيك وبعدما فر مراد بيك إلى الصعيد وقد ذكرنا عن توجه القنصل لعنده من أمير الجيوش في الخطاب وما كان من الجواب فأمر أمير الجيوش الجنرال ديزه بالمسير بالعساكر إليه وكانت أربعة آلاف مقاتل وكان مراد بيك قد تجمّع عنده الجيوش من الهوار[2] والفلاحين والعربان إلى المنية[3]

= وقتلوه في ٧ كانون الثاني ١٧٩٩، ودفن في قيلوب. أنظر: الجبرتي، مظهر التقديس، ج ١، ص ١٥١.

(١) هي مدينة من مديرية الغربية، وهي رأس مركز، كان يحدث فيها سوق كل يوم ثلاثاء. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٥، ص ٣٥.

(٢) الهوارا: يقول المبارك: اصل ديار الهوارا من اخر عمل سرت إلى طرابلس، وقد قدم منهم طوائف =

وكانت مسافة ثلاثة أيام عن القاهرة واجتمع إليه ما ينفعن عشرين ألفاً وكان في بر الصعيد عدة من المماليك الهاربين فحضروا لعنده وحضر أيضاً حسن بيك الجرداوي(١) وعثمان بيك(٢) مماليك على بيك الكبير(٣) وهؤلاء كانوا مطرودين من الغز وعندما تقابلوا مع مراد بيك تصافحوا وأخلصوا الوداد وتركوا الأحقاد وغفروا السيئات وصفحوا عنما فات وقرأوا الفواتح[٤١-آ] على المغازاة في سبيل الله وصاحوا يا غيرة الدين ونصرة المسلمين الله أكبر على هؤلاء الكافرين واستعدوا غاية الاستعداد لملاقاة الأعداء والأضّداد وكانت الغزافرَس الفرسان في ركوب الخيل والحرب والطعان وكان الجنرال ديزه ساير إليهم في العساكر وهو غير فاكر إلى أن وصل إليهم وكشف عليهم فوجدهم جيوش كثيرة وطموش غزيرة فصف عسكره صفوف بالترتيب الموصوف وقرع الطبول النحاسية وتقدم

= إلى أرض مصر ونزلوا ببلاد البحيرة وملكوها، وهوارة بلاد الصعيد قد أنزلهم الظاهر برقوق هناك عام ١٩٨٢ هـ ـ ١٣٨٠ م، وأقطع رئيسها ناحية جرجا. أنظر: كتابه، الخطط التوفيقية، ج ١٠، ص ٥٥.

(٣) المنية: هي مدينة بمصر الوسطى تقع على الضفة الغربية للنيل. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٦، ص ٥٠، ٥١.

(١) هو حسن بيك الجداوي، وهو من مماليك على بيك الكبير، تقلد الامارة والصنجقية زمن أُستاذه، ولقب بالجداوي لأن علي بيك عينه قائمقام في جدة أثر حملة أبو الذهب على الحجاز عام ١٧٧٠ ثم أصبح من مماليك محمد بيك أبو الذهب، وكان منفياً خارج القاهرة عندما دخل الفرنسيون إلى البلاد، وقد حارب الجداوي الفرنسيين في الصعيد، ثم خرج من مصر مع جيوش الوزير الأعظم إلى بلاد الشام ومات مطعوناً هناك عام ١٢١٥ هـ ـ ١٨٠٠ م. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٢٩، ٣٣.

(٢) هو عثمان بيك حسن، كان من أتباع حسن بيك الجداوي تقلد الامارة والصنجقية عام ١٢٠١ هـ ـ ١٧٨٦ م، حارب الفرنسيين في الصعيد، وتوفي عام ١٢٣١ هـ ـ ١٨١٥م، في دنقلة بالسودان. أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣١، ج ٣، ص ٤٤، ج ٤، ص ٢٤٦.

(٣) كان علي بيك الكبير مملوكاً شركسي الأصل من منطقة القفقاس، توصل أن يصبح الحاكم الحقيقي لمصر، إشتهر بثورته على الدولة العثمانية عام ١٧٧١، فاحتل سورية والحجاز، وتحالف مع روسيا ومع ظاهر العمر الثائر في فلسطين، وقتل على يد مملوكه أبو الذهب في ٢٨ نيسان ١٧٧٣ في الصالحية. أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٥، ٤١٧، ٤١٨. أنظر: رافق، بلاد الشام، ص ٤٠١ ـ ٤٠٩.

بالعساكر الفرنساوية وأطلق مدفعاً واحداً للتنبيه ثم أمر بإطلاق ثانياً فنهضت الغز والعربان نهوض الأسود والشجعان بالسيوف الهندية والرماح السمهرية[١] على ظهور الخيل العربية وانقضّت انقضاض الغربان إلى حومة الميدان وصرخوا اليوم يوم المغازاة وترك النفوس والمعاداة وحملت العربان والغز والفرسان واندفقت على الفرنساوية اندفاق البحور العرمرمية وتساقطت من الجبال سقوط الصواعق [٤١-ب] العلوية حتى خيّل للناظرين أن الجبال تزعزعت والتلال تمزّقت وتضعضعت وانتشب الحرب والقتال وابتدأ ذلك الجنرال يروغ روغ المحتال حتى ملك في المجال ودهمهم بالقنابر والكلل والرصاص الغير المحتمل وبدا يريهم فنون الحرب الغربية وأنواع الأهوال العجيبة التي لم تدركها العربان ولا تعرفها الغز والفرسان وصاح بهم صيحة الأسد الغضبان في تلك الجبال والوديان حتى لم يعودوا يقدروا على الثبوت تجاه ذلك البهموت وزحمتهم أوليك الأسود حتى ملكوا متاريسهم وأشهروا تنكيسهم وشتاتهم في الجبال والتلال بشدة الحرب والقتال وملكوا مدافعهم وأعلامهم ومضاربهم وخيامهم وكسروا تلك الجماهير بقوة العزيز القدير[٢] وذهب مراد بيك مع عزوته إلى أعلا الصعيد وهو متحير من صلابة هؤلاء الصناديد وقوة قلبهم الشديد وفنونهم العجيبة وشجاعتهم الغريبة ودخل الجنرال [٤٢-أ] ديزه إلى مدينة المنية[٣] وأقام بها وحصنّ قلاعها وأبراجها وبدا يسيروا مراد بيك مرحلة بعد مرحلة إلى محل يقال له

---

(١) السمهرية: هي صفة الرماح، ويقال أنها منسوبة إلى رجل إسمه (سمهر) كان يُقَوم الرماح. أنظر: الجبرتي، مظهر التقديس، ج ١، ص ٢٠، حاشية ١.

(٢) حول احتلال الفرنسيين للصعيد والذي قاده الجنرال ديزه راجع:

Deherain, histoire, Vol. V, P. 372-390. ef.

Dela Janquière, l'expédition, d'Egypte, Vol. III, P. 505 et suivi.

F. Charles - Roux, Banaparte gouverneur d'Egypte, P. 294-296.

(٣) المنية: تقع شمال أسيوط على الشط الغربي للنيل، وهي مركز عاصمة محافظة المنية، ويسميها المبارك (مينة أبي خصيب). أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ٦، ص ٥١.

الأهون(١) وهناك خدثت بينهم وقعة عظيمة وكان قد تجمع مع مراد بيك جموع كثيرة وطموش غزيرة فشتتهم ذلك الجنرال في البراري والتلال ولم يزل يقاتل في إقليم الصعيد حتى أطاعه الشيخ والوليد وهابته السادات والعبيد وهرب منه مراد بيك إلى مدينة أصوان(٢) ثم إلى بريم(٣) ومن هناك رجع الجنرال ديزه إلى الصعيد ودبر الإقليم المذكور برأيه السديد وآمر في بنيان الحصون الرفيعة في جميع تلك المدن المنيعة ثم أنه جبى الأموال الميرية والمعاليم السلطانية ورتّب الصعيد ومهّد ذلك الإقليم غاية التمهيد وكلٍّ مراد بيك من حروب الفرنساويين من بعد حروب عديدة وأهوال شديدة وكان حينما بلغ أهالي الحجاز. ٤٢-ب دخول الفرنساوية إلى الديار المصرية فارتجّت سكان تلك الأرض وماجت واضطربت وهاجت فتحرك من الإشراف السيد محمد الجيلاني(٤) وقد جمع سبعة آلاف(٥) أماجيد وحضر بهم إلى الصعيد(٦) واجتمع إليه العربان من

---

(١) الاهون: هو جبل يقع قرب بلدة قديمة إسمها (اللاهون) من بلاد الفيوم، والجبل مرتفع على بحر يوسف. أنظر: المبارك، المصدر السابق، ج ١٥، ص ١٤، ١٥. وقد وقعت بالقرب منه معركة بين الفرنسيين والمماليك.

(٢) أصوان «أو أسوان، هي مدينة في الصعيد الأقصى، في غربي البحر، جنوبها بلاد النوبة، وتجاهها من جهة الشرق تقع جزيرة أسوان المشهورة بآثارها الفرعونية القديمة» أنظر: المبارك، المصدر السابق، ج ٨، ص ٦٤، ج ١٠، ص ٦٣.

(٣) بريم: أو أبريم، هي إحدى بلاد مديرية أسوان، وينسب إليها نوع من البلح، وفيها حصن فوق تل صخري بالشاطىء الشرقي للنيل، تجاه المينة. أنظر: الموسوعة العربية، الميسرة، ص ٦.

(٤) السيد محمد الجيلاني: أو الشيخ الكيلاني، كما يسميه الجبرتي، يقول الجبرتي هو رجل مغربي كان مجاوراً بمكة والمدينة والطائف فلما وردت أخبار الفرنسيس إلى الحجاز صار هذا الشيخ يعظ الناس ويدعوهم إلى الجهاد، واجتمع عليه نحو الستمائة من المجاهدين وركبوا البحر إلى القصير وانضم إليهم من أهل ينبع وخلافه، وبعض من أهل الصعيد، ودخل الغز معهم وحاربوا الفرنسيس في الصعيد». أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٤٤، ٥٦، ٥٧.

(٥) ورد في نسخة ڤييت، ص ٣٢، أن محمد الجيلاني جلب معه ٨ آلاف رجل، ولكن التطابق في هذه المخطوطة وعند ديغرانج وحيدر الشهابي تام. أنظر: ديغرانج، ص ٦٢، الشهابي، ج ٢، ص ٢٤٩.

(٦) يقول شارل رو أن مجيء المكيين لمحاربة ديزه في الصعيد، كان يمثل بالنسبة للشعب المصري، ثورة سكان المدن المقدسة ضد إحتلال الكفرة.
أنظر: F. Charles - Roux, Bonaparte gouverneur d'Egypte, P. 276.

أهل تلك البلدان عشرة آلاف من غير خلاف وظهر أمره واشتهر خبره فبلغ الجنرال ديزه قدوم ذلك العسكر فما هابهُ ولا تفكر بل أنه كبس عليهم بالليل بكل قوة وشدة حيل فما سلم منهم غير القليل والذي سلم تشتت في البراري والقفار وبليوا بالذل والدمار ومات في تلك الوقعة السيد محمد الجيلاني إذ كان هو على نفسه جاني لأنه كان يزعم أنه يحذف الرمال والغبار في وجوه الكفار ويعمي منهم الأبصار ويقبض عليهم باليد فخاب منه الكدّ والجدّ ثم بعد مدة تجمَّع الذين سلموا ورجعوا يفسدون(1) في البلاد ويستنهضون بالعباد فأرسل عليهم الجنرال ديزه ٤٣-آ شردمة من العسكر فهزموهم في البر الأقفر وبعد ذلك راق الصعيد من محاربين الفرنساوية واطمأن حال الرعية واحبوا الجنرال ديزه محبة عظيمة لأجل سلوكه وأحكامه المستقيمة وكان يحب العماير الملاح كريم بالعطا والسماح وكان رهطاً من الأرهاط العظام ونظم أقليم الصعيد أحسن نظام وقد كان عنده من الأقباط المباشرين يعقوب الصعيدي(2) وهو رجل شديد البطش مشهوراً بالفروسية والهمة القوية وهو الذي كان عند سليمان بيك وكان الذين خدموا من النصارى أولهم الرجل السافرلي المدعو باترو(3) وهذا الذي كانوا

---

(١) يقول الجبرتي حول حرب الصعيد «وثبت الحجازيون ثم انكفوا لقله عددهم، ووقع بين أهل الحجاز والفرنسيين بعض الحروب بعدة مواضع وينفصل الفريقان دون طائل». أنظر: كتابه، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٤٤.

(٢) يعقوب الصعيدي: (١٧٤٥ ـ ١٨٠١) كان في البدء مباشراً لدى الصنجاق سليمان بيك، ثم دخل في خدمة الفرنسيين، وربطه نابليون بديزه، وفي عهد كليبر شكل يعقوب الصعيدي فرقة من أبناء جنسه (الأقباط)، إلتحقت هذه الفرقة بالجيش الفرنسي كرديف، وفي عهد الجنرال منو عين يعقوب القبطي جنرالاً General de brigade؛ وبعد أن سلم الجنرال بليار القاهرة للعثمانيين، رحل يعقوب إلى فرنسا مع الجيش الفرنسي وتعرض لمرض في البحر حيث مات، ودفن في مرسيليا.
M.G. Guemard, auxiliaires de l'armée de Bonaparte en Egypte, B.I.E. Vol. IX P. 1,2.

ويقول الجبرتي عنه «سافر يعقوب القبطي الصعيدي مع ديزه في حملته إلى الصعيد، وكان له دور في ثورة القاهرة الثانية، وعينه كليبر جنرالاً فرنسياً، وأنشأ فرقة من الأقباط، ثم رحل إلى فرنسا مع الفرنسيس». أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٥، ٩٦، ١٠٨، ٢٦٥.

(٣) باترو: هو برتملي الشهير، كان عملاقاً، برونزي اللون، قاسياً في معاملته، وقد أظهر بطولة فائقة في معركة كانوب ١٨٠١، واشترك بإعداد معاهدة كليبر ومراد بيك. انظر: =

يدعونهُ أهل مصر فريد الزمان[1] لما عنده من العلوم والفصاحة والقوة والشجاعة وكان يعرف جميع اللغات وفاق بالحسن عن حد الصفات وكان قد خدم عند الفرنساوية وانقاد إليه جماعة من الغز المماليك واحتموا بهِ ثم الرجل الرومي المدعو نقولا قبودان[2] فهذا المذكور كان خادماً عند مراد بيك ومتروساً على عدة عساكر ومراكب في بلدة الجيزة وكان شاباً موصوفاً بالشجاعة وبهذا كان متسلم المتاريس في عسكر الأروام حين دخلت الفرنساوية إلى بر امبابة وامتلكوا القاهرة ولما امتلكت الأفرنج المتاريس ألقى نفسه في بحر النيل وطلع إلى مصر ثم خدم المشيخة وأما الذين خدموا الفرنساوية من الإسلام فهم كثيرون في العدد كالمقدمين والقوّاصة[3] والمترجمين [4]

= M.G. Guemard, auxiliaires de l'armée de Bonaparte, Vol. 1X, P. 11, 12.

ويقول الجبرتي في ترجمته، «كان أحد رجال المدفعية عند محمد بيك الالفي كما كان له حانوت بحي الموسكي لبيع قوارير الزجاج أيام البطالة، وكان مشهوراً بالقسوة والفظاعة، وكراهية الأهالي، عينه الفرنسيس كتخدا مستحفظان، فكانت له سطوة كبيرة في عهدهم وسفك دماء كثيرة، وضج الناس من فظائعه وشروره». أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٢.

(١) يقول ڤييت في مقدمة كتابه، إن هذا الاسم الذي ورد في نص نسخته (الرجل السافرلي المدعو باترو) يقول: بدأ هذا الإسم كأحجية لولا ورود كلمة السافرلي والتي هي في الحقيقة (الساقزلي)، هذا الرجل هو من ساقيزلي وليس من سافريلي وهو في الواقع بارتلمي الشهير. أنظر: ڤييت، ص ٧.

(٢) نقولا قبودان: هو بحري من سمرين، عمل قائداً لاسطول مراد بيك وبعد فرار سيده إرتبط بالفرنسيين مع جزء من فرقته البحرية، ويسمى (حجي نقولا) لأنه قدم للكنيسة الأرمنية في سيناء الرخام اللازم لبنائها شكل في عهد الفرنسيين أول فرقة شرقية هي فرقة الاروام، دخلت هذه الفرقة كرديف لجيش الشرق.

انظر: M.G. Guemard, auxliaires de l'armée de Bonaparte, op. cit, Vol. IX; PP. 3, 4, 5.

يسميه الجبرتي، المعلم نقولا النصراني الارمني، وقد كان رئيساً لمركب مراد بيك الجربي الذي أنشأه بالجيزة، وقد بنى له مراد بيك داراً عظيمة بالجيزة وأخرى بمصر، وبلغ منزلة كبيرة أيام مراد بيك، ثم عمل مع الفرنسيين، ورحل معهم بعد خروجهم من مصر. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٥٦، ١٦٨، ١٨٧.

(٣) القواصة: مفردها قواص أو قواس، أي صياد بندقية، ويكون مجنداً في الشرطة، أو حارساً مدنياً، أو حارساً مرتبطاً بخدمة القنصليات الاوروبية في الشرق، ويقال قواس المحكمة، وهو عبارة عن خادم مسلح بعصا، يسبق سيده لإبعاد الجماهير عنه.

ذكر ما حدث بمصر

أنه من بعد أن مكثت الفرنساوية في المملكة المصرية مقدار ثلاثة أشهر فكان المسلمون يظنون أن تورد لهم الأوامر من الدولة العثمانية بتقريرهم على المملكة حسبما كانوا يشيعون أنهم حضروا إلى مصر بإرادة السلطان سليم وكانوا يوعدونهم في قدوم وزير إلى القلعة السلطانية من طرف الدولة العثمانية، ٤٤-أ وقد كان يخبّر أمير الجيوش بقدوم عبدالله باشا العظم[1] من الشام إلى مصر واعد له منزلاً لينزل به وأمر بتدبيره وفرشه وإذ مضت المدة المعينة ولم يحضر أحد فتسبب من قبل ذلك أسباب كثيرة النفور وإبداع الفتن والشرور من قتل السيد محمد كريم لأنه كان أحد الأشراف ومن ورود المكاتيب من الأمراء المصريين بالإستنهاض إلى أهل تلك الأقاليم وكتابات أحمد باشا الجزار إلى البلدان المصرية واستنهاضهم على الفرنساوية وأن قادم عليهم العساكر العثمانية ثم قيام أهالي بر دمياط والحوادث التي بدتها العرب والفلاحين وعفو الفرنساوية عنهم وعدم القصاص لهم وقد كان الفرنساوية يخرجون النسا والبنات المسلمات مكشوفات الوجوه في الطرقات ثم اشتهار شرب الخمر وبيعه إلى العسكر ثم هدم جوامع ومنارات في بركة اليزبكية لأجل توسيع الطرقات لمشي العربانات وكان المسلمون ٤٤-ب يتنفسون الصُعداء من صميم القلوب ويستعظمون هذه الخطوب وصاحوا لقد آن أوان القيام على هؤلاء اللئام فهذا وقت الإنتصار إلى الإسلام فشعر أمير الجيوش بما في ضمايرهم وما اكتموهُ في سرايرهم فأبرز أمراً لساير حكام الخطوط بأن كلاً منهم يأمر بخلع الأبواب المركبة في الشوارع وفي

= أنظر: Dozy, Vol. II, P. 418

(٤) المترجمين: مفردها مترجم، كلمة عربية، ويقال (سكرتير مترجم) وهو الذي يعمل كمترجم في السفارات الأوروبية أو لدى الباب العالي.

أنظر: Barbier de Meynard, Vol. II, P. 728.

أنظر: Dozy, Vol. I, P. 144

(١) عبد الله باشا العظم: أحد ولاة الشام في العصر العثماني، تولاها في عام ١٢٠٥ هـ - ١٧٩٠ م وحكمها سبع سنوات، ثم تولاها مرة ثانية عام ١٢١٤ هـ - ١٧٩٤ م وثالثة ١٢١٩ - ١٨٠٤. أنظر: ولاة دمشق في العهد العثماني، نشر صلاح الدين المنجد، دمشق ١٩٤٩، ص ٩٠.

يومٍ واحد خُلعت تلك الأبواب العظام وبعضها أُحرقت بالنيران فركب أمير الجيوش وأخذ معه المهندسين ومنهم الجنرال كفرال[1] الملقب أبو خشبة لأن كانت رجله الواحدة مقطوعة من ساقه ومصطنع لهُ رجل من خشب فهذا الجنرال كان أعظم المهندسين في مملكة الفرنساوية وبدا أمير الجيوش يجول بهذا الجنرال على ساير الأماكن التي حول دايرة مصر وغرس على رأس كان مكان بيرقاً إشارة لبناية القلع فإذ شاهدت الإسلام هذا الإهتمام تحركت للقيام ويدوا ينادون متبادرين إلى الجامع الأكبر المعروف بجامع الأزهر[2] وهناك عقدوا المشورة وابرزوا ما بالضماير المُضمرة وأرسلوا أحد الفقهاء[3] في شوارع مصر ينبه المسلمين بالمبادرة إلى الجامع الأزهر حيث اجتمع هناك العسكر وبدا ذلك الشيخ المذكور يدور وينادي بالجمهور كل من كان موحداً يأتي لجامع الأزهر لأن اليوم المغازاة بالكفار ونزيل عنا هذا العار ونأخذ منهم الثار فبادر المسلمون وأقفلت الحوانيت والوكايل لما سمعت صوت القائل ووصلت الأخبار إلى دبوي

---

(١) الجنرال كفرال: هو الجنرال كفارللي Caffarelli من أكفأ قواد الجيش الفرنسي، وكان قد فقد إحدى رجليه في حروب الرين، وجاء إلى مصر برجل واحدة، ولذا سمي «بابي خشبة» ولقد اختاره نابليون رئيساً لفرقة المهندسين في جيش الشرق، كما كان عضواً في المجمع العلمي في شعبة العلوم السياسية والإقتصادية وقد قتل هذا الجنرال في حصار عكا بتاريخ ٢٧ نيسان ١٧٩٩، وحزن عليه نابليون حزناً شديداً

أنظر: M.G. Guemard, essai d'histoire de l'institut d'Egypte et de la commission des sciences et arts, B.I.E. Vol. VI, VIII, P. 49

أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٤٩، ٥٠، ٥١.

(٢) الجامع الأزهر: هو أول جامع أنشيء في مدينة القاهرة، يقع بشارع الأزهر، ميدان الأزهر، أنشاه القائد جوهر الصقلي ٣٦١ هـ - ٩٨٢ م، عندما خطط القاهرة أنظر: محمد عبد الله عنان، تاريخ الجامع الأزهر، القاهرة (ط ٢ ١٩٥٨) ص ١٦ - ١٩. أنظر: حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، القاهرة ١٩٤٩، ج ١، ص ٤٧. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ٤، ص ١٠ - ٢٠.

(٣) إن الفقيه الذي أخذ ينادي الجماهير هو السيد (بدرة) ويقول الجبرتي «حضر السيد بدرة وصحبته حشرات الحسينية، وزعر حارة البرانية، ولهم صياح عظيم وهول جسيم ويقولون بصياح في الكلام، نصر الله دين الإسلام». أنظر: كتابه، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٢٥.

الجنرال بان قامت أهالي البلد من الشيخ إلى الولد[1] وكان ذلك في عشرة جماذ الأول نهار الأحد فنهض الجنرال المومى إليه والشرار يتطاير من عينيه ظاناً أن هذا القيام عليه وأن هذا القتال لأجل ما طلب منهم من المال وسار بثمانماية أنفار ليطّمن أهل تلك الديار ويفرق تلك الجماهير ويسكّن روع الكبير والصغير ولم يعرف أن ليس ذلك علّة المال[2] فقط بل هي عللٌ كثيرة الشطط وغزيرة النمط وأحقادٌ كامنة في جوارح القلوب وعداوةٌ لا يدركها سوى رب الغيوب وفيها هو ساير في سوق النحّاسين[3] فبرز إليه أحد الاتراك وضربه بخشبة[4] على خاصرته فسقط عن ظهر جواده مغشياً فحملوهُ أصحابه ورجعوا بهِ إلى جنينة الأفرنج القديمة وفي وصوله مات هناك وشرب كأس الهلاك وكانت العساكر الفرنساوية متفرقين في المدينة ولعدم معرفتهم باللغة العربية ما كانوا يعرفون ما هي الحادثة في المدينة فهجمت عليهم تلك الجماهير من كل ناحية وكانوا يقتلون كل من وجدوه في طريقهم من الأفرنج الفرنساوية والملة النصرانية من المعلمين والرعية وكان يوماً مهولاً وخطباً جَسيماً ثم هجمت جماهير الإسلام على طور سينا[5] فقلتوا البعض من الرجال ونهبوا بيوت النصارى وأخذوا ما أحبوا من

---

(١) يقول الجبرتي، بصدد المحرصين على هذه الثورة «فتجمع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم ولا قائد يقودهم وأصبحوا يوم الأحد متحزبين وعلى الجهاد عازمين». أنظر: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٥.

(٢) إعتبر الجبرتي، على عكس الترك، إن الضرائب والرسوم والغرائم وتشديد الطلب لتحصيل المال من الشعب، من أهم أسباب هذه الثورة، أنظر كتابه: عجائب الآثار، ج ٣، ص ٢٥، ٢٦.

(٣) سوق النحاسين: «أوله من السبيل المعروف بين القصرين، وانتهاؤه حارة الصالحية تجاه باب الصاغة، فيه حمّام سيدنا الحسين، والمدرسة الكاملية التي أنشأها الملك الكامل عام ٦٢٢ هـ - ١٢٢٥ م، وهي عامرة الآن وتعرف بجامع الكاملية»، أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ٢، ص ١٣.

(٤) تذكر المصادر الفرنسية أن الجنرال دبوي قد ضرب برمح.
أنظر: De la Jonquière, Vol. III, P. 279, 285.
ef. Deherain, histoire T.V. P. 346.

(٥) طورسينا: إسم لكنيسة يونانية موجودة في القاهرة، في الحي الذي كان يسكنه الاوروبيون. أنظر: ديغرانج، ص ٢٨٠.

الحاجات وسبو النسا والبنات[1] واحتموا بقوة الرجال داخل دير الطور وكان يوماً مشهور وكان أوليك الأمم هايجين هيجات وحشية فتهاربت الفرنساوية إلى البركة اليزبكية وكان في ذلك الوقت أمير الجيوش في مدينة الجيزة فحضر لما بلغهُ تلك الهيجة وفي دخوله التقى مع ذلك الجمهور فولّوا من أمامه ووصل إلى بركة اليزبكية وفرق العساكر حول البلد وأمر أن تضرب من القلعة المدافع والقنابر وكانت جماهير الإسلام في باب النصر[2] والنحاسية وخان الخليل[3] وخط الأزهر والغورية[4] والفحامين[5] خط المغاربة[6] وهذه المحلات داخل البلد وكانت الإسلام قد بنت متاريس في تلك الأماكن المذكورة فسقط خوف عظيم على الفرنساوية وذعرهم هذا القيام وداخلتهم الأوهام لمعرفتهم بكثرة الخلايق التي في مصر لأنها كانت تجمع مليوناً[7] من الناس ولا لكثرتهم قياس وضربت

(١) حول هذه الأحداث نلاحظ توافقاً بين ما جاء عند الترك وما جاء عند الجبرتي. أنظر: الجبرتي، ج ٣، ص ٢٥، ٢٦، ٢٧.

(٢) باب النصر: يقع باتجاه الشمال وهو ليس في نفس المكان الذي أنشيء فيه زمن جوهر الصقلي، لأن بدر الجمالي بناه أبعد من السور، وباب النصر مزين بشكل جميل ويعود تزيينه إلى زمن صلاح الدين الأيوبي.
أنظر: Description de l'Egypte, Vol. XVIII, P. 301-477

(٣) خان الخليل: «هو حي من أحياء القاهرة، طوله ٢٠٠ م وبه عدة عطف وعدة زوايا ووكايل، أشهر زواياه زاوية الغوري، وفيه ثلاثة أزقة هي أبواب الصاغة الكبرى». أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ٢، ص ٢٢.

(٤) الغورية: «هي حي من أحياء القاهرة، أوله من الاشرفية وانتهاؤه شارع الكماليين، وفيه وكالة للزيت، وبوسطه جامع الغوري المشهور الذي بناه السلطان أشرف الغوري». أنظر: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤.

(٥) الفحامين: «أحد أحياء القاهرة، أوله من نهاية شارع التربيعة بجوار باب جامع الغوري، وانتهاؤه أول شارع المؤيد وبه وكالات متعددة». أنظر: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٧.

(٦) خط المغاربة: أو درب المغاربة، يقع على يمين شارع باب الفتوح وبه عطفتان، وفيه زاوية تعرف بزاوية النقاش، أنظر: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠، ١١.

(٧) كان عدد سكان القاهرة في ذلك العصر ٣٠٠ ألف نسمة، وهذا الإحصاء مأخوذ عن تقدير الأجانب الذين كانوا يسكنون العاصمة قبل الحملة.
أنظر: Description de l'Egypte, Vol. XII.

الفرنساوية اوليك الجيوش الكثار بالقنابر والمدافع الكبار فتضايقت الإسلام من كثرة الكلل والقنابر والرصاص المتكاثر واستقام الحرب ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع كبست الفرنساوية على جامع الأزهر فهربت الإسلام بالذل والتعكيس وامتلكوا منهم المتاريس وملكوا منهم الجامع وسلبوا ما كان فيه من الذخاير والودايع[1] وابتدوا بعد ذلك يمتلكون مكاناً بعد مكان إلى أن تملكوا أكثر المدينة واختفت الإسلام في المنازل والجدران وألقوا سلاحهم وصاحوا الأمان وكانت الفرنساوية كل من يرونهُ بلا سلاح لا يعارضوه والذي يكون متسلحاً يقتلوهُ وحينما نظرت علمآء الإسلام أن جيوشهم انكسرت والفرنساوية قد انتصرت فساروا إلى أمير الجيوش بعقلٍ مدهوش وقلبٍ مرعوش وأخذوا يترامو عليه بقيام العسكر من الجامع ورفع الحرب عنهم من جميع المواضع فبكتهم أمير الجيوش بذلك الفعل الذميم والخطب العظيم وكانوا يقسمون لهُ بالله أن ليس عندهم من ذلك آثار ولا علم ولا أخبار بل علة الحال طلب المال وما قام إلاَّ اوباش الرجال فأبى أمير الجيوش تصديقهم[2] وانكر تحقيقهم ولم يسمح لهم بتخلية الجامع من العساكر واحرف وجهه عنهم وهو متعكر الخاطر فانصرفوا من أمامه وهم باكين وعلى أحوالهم نايحين وتأسفوا على جامع الكنانة وخراب الديانة ثم في ذلك النهار أرسلوا له الشيخ محمد الجوهري وكان في كل حياته ما يقابل أحداً من الحكام ولا يعترض إلى أمور العوام وفي دخوله قال له ما قابلت حاكماً عادلاً كان أم ظالماً والآن قد أتيت متوسلاً إليك أن تأمر بإخراج العسكر من الجامع الأزهر وتغفر ذنب هولا القوم الفجّر واتخذني مدا العمر داعياً لك

(١) حول دخول العساكر الفرنسيين إلى الأزهر يقول الجبرتي: «وانتهكت حرمة تلك البقعة بعد أن كانت أشرف البقاع ويرغب الناس في سكناها ويودعون عند أهلها ما يخافون عليه الضياع، والفرنساوية لا يمرون بها إلا في النادر ويحترمونها عن غيرها في الباطن والظاهر». أنظر: كتابه، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٢٧.

(٢) إشترك السادات في هذه الثورة ولكن نابليون غض النظر عن تصرفه حتى لا يضطر إلى قطع رأسه عند ذلك سيبدو أمام العالم الإسلامي كشهيد مقدس.
أنظر: Charles - Roux, Bonaparte gouverneur d'Egypte P. 206.

ناشراً فضلك(١) فانشرح أمير الجيوش[٤٧] مِن ذلك الخطاب وانعطف وأجاب قايلاً إنني عفوت وصفحت عن أحبابك لأجل خطابك ثم آمر أمير الجيوش برفع العسكر من الجوامع وأطلق المناداة في المدينة بالأمان وعقد الفحص عن الذين كانوا مجتمعين في المشورة على قيام تلك الأمور المنكرة فقبض على شيخ العميان(٢) الشيخ سعيد(٣) والشيخ الذي نادي في المدينة بجمع ذلك الجيش العديد وعدة فقها وأناس فلتية وأخذوهم إلى القلعة وأذاقوهم كوس المنيه(٤) وقد كان مات بهذه الوقعة ألفين صلدات ومن أهالي المدينة ما ينيف عن خمسة آلاف وقد خسرت الإسلام ولم تربح بهذا القيام سوا الذل والإهانة وافتضاح جامع الديانة وكان عندما استعدت أهالي مصر على القيام ضد الفرنساوية كتبوا إلى الشيخ الشواربي شيخ الصعيد(٥) يستنجدوه إلى إعانتهم وعيَّنوا له زماناً ليحضر بهِ بعشاير العربان.[٤٨ أ] وقد أتى في الميعاد إذ كانت الفرنساوية محيطة بالقاهرة وحين نظروا العربان مقبلة ضربوهم بالمدافع والرصاص فولوا منهزمين لأن الفلاحين والعربان لم يكونوا يستطيعوا على مقابلة النيران وحرب أوليك

---

(١) لم يشر الجبرتي إلى هذه التفاصيل في معرض حديثه عن هذه الثورة. راجع كتابه، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) العميان: يقول الجبرتي «العميان جماعة من الشحادين يطوفون أثناء الليل وأطراف النهار بالأزقة والأسواق ويعيشون على قول المدائح والخرافات وقراءة القرآن في البيوت ومصاطب الشوارع، ولهم شيخ خاص إذا مات أحد منهم ورثه الشيخ ولا يجد له معارضاً في ذلك» أنظر كتابه، عجائب الآثار، ج ٢، ص ٦٢.

(٣) يقول الجبرتي، إن شيخ العميان هو سليمان الجسوقي، الذي كان له جيش من العميان يرسلهم لجمع المال، وقد حمله التفاخر زمن الفرنسيين على توليه إثارة الفتنة، فقتل في القلعة عام ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م. أنظر: المصدر السابق، ج ٣، ص ٦٢.

(٤) يقول الجبرتي حول الشيوخ الذين قتلوا ما يلي: «منهم الشيخ أحمد بن إبراهيم الشرقاوي، فقيه شافعي ومدرس في الأزهر، والشيخ عبد الوهاب الشبراوي، فقيه شافعي ومدرس بمدرسة الجوهرية وبالمشهد الحسيني. الشيخ إسماعيل البراوي فقيه شافعي ومن مشايخ الأزهر، الشيخ يوسف المصيلحي فقيه شافعي ومدرس في جامع الكردي، وقد إتهم هؤلاء بالفتنة وقتلوا في القلعة» أنظر: المصدر السابق، ج ٣، ص ٦١، ٦٢

(٥) ولقد أخطأ الترك لأن الشيخ الشواربي هو من إقليم القيلوبية وليس من الصعيد، أنظر: ما سبق ص ١٢٤ - ١٢٥

المشجعان ورجعوا بالذل والخسران وحين سكنت تلك الفتن سار الجنرال ميراد إلى بلدة قيلوب(١) وقبض ذلك الجيش على الشيخ وحرق البلد ثم أرسلهُ إلى أمير الجيوش فقتله وولّى أخاه مكانهُ ثم أننا قد ذكرنا عن الجنرال المهندس الذي تعينّ لأجل بناية القلع وبعدما سكنت تلك المفاسد من أهل مصر آمر أمير الجيوش في بناية أربع قلعات بالقاهرة(٢) على أربع جهات فالواحدة في كوم العقارب(٣) فوق الناصرية وواحدة في كوم الليمون(٤) فوق اليزبكية وواحدة في كوم الغريب(٥) فوق خط الأزهر وواحدة فوق جامع أبي برص(٦) خارجاً من باب النصر وفي أيامٍ قليلة تمّت الأربع قلع ونقل إليها الجبخانة والمدافع والقنابر وحصّنها بالعساكر وبنى في القلعة الكبيرة أبراجاً ونقل إليها مدافع كثيرة وأرسل إليها الزيت والمشاقة(٧) ليريّ أهالي مصر أنهم إذا نهضوا مرة ثانية يتلق المدينة بالحراقة وهكذا خبر علماهم أن يخبروا الرعية ثم عينّ في بلد الجيزة من

---

(١) قيلوب «هي مدينة شهيرة على رأس مديرية القيلوبية، تقع شمال القاهرة، وهي أول محطة للخارج من مصر إلى الإسكندرية». أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ، ١٤، ص ١١٤ أصدر نابليون قراره ببناء قلاع القاهرة في ١٧٩٨/١٠/٨.
أنظر: Deherain, histoire, Vol. V, PP. 332, 350.

(٣) هي قلعة المجمع العلمي، وتقع في حي الناصرية،
أنظر: De la Jonquière, Vol. III, P. 291

(٤) هي قلعة «Camin» أو قلعة قنطرة الليمون، وموقعها الحالي في مكان المحطة المركزية في القاهرة.
أنظر: De la Jonquière, Vol. III, P. 290-291

(٥) عرفت هذه القلعة بقلعة (دبوي) وتقع في قسم مرتفع فوق شارع الغريب بين شارع الدراسة وشارع الأزهر، وعرف بهذا الإسم لوجود ضريح الشيخ سيدي محمد الغريب فيه. أنظر: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٩١. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ٢، ص ٩٥.

(٦) المقصود هو جامع الظاهر بيبرس، يقع خارج القاهرة أنشأه الملك الظاهر رابع سلاطين المماليك البحرية في عام ٦٦٥ هـ - ١٢٦٧ م، وأتمه بعد عودته من الشام عام ٦٦٧ هـ - ١٢٦٩ م حيث جلب له الأخشاب والرخام من قلعة يافا بعد إستيلائه عليها من يد الإفرنج عام ٦٦٦ هـ - ١٢٦٨ م. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج، ٥، ص ٤٢ وقد جعل الفرنسيون هذا الجامع قلعة، ومنارته برجاً ووضعوا على أسواره مدافع، وأسكنوا به جماعة من العسكر، وعرفت قلعته بإسم قلعة Solkowsky أنظر: الرافعي، تاريخ الحركة القومية، ج ١، ص ٣٠٢.

(٧) المشاقة، هي نوع من المنجنيق، لسان العرب مادة (مشق)

الفرنساوية أصحاب الحرف والذين يسكبون المدافع والكلل وابنى في أمبابة أفراناً لأجل البقسماط[١] وعمَّر طواحين في الهوا في الجيزة وفوق كوم الليمون وكانوا يطحنون ما يكفيهم كل يوم وأمر بعمل البارود في مصر مع أن قد كان معه جبخانة تكفيهم عشر سنوات إذا كانوا يحاربون كل يوم ثم أن بعد نهاية تلك الحركات التي قد حدثت وقتل الجنرال دبوي شيخ البلد أحضر أمير الجيوش الجنرال دوسطين[٢] وولاه شيخ البلد مكان الجنرال ٤٩-آ دبوي وكان هذا عاقلاً فاضلاً وفرحت أهل البلد بموت الجنرال ديوي لأنه كان صعب الأخلاق وبطل لا يُطاق وكان حينما قامت الإسلام على الفرنساوية فهرب محمد آغة الإنكشارية وكان ذلك الرجل جباناً وهذه الرتبة لا يوافقها ذلك لأنه يلزم أن يكون آغة الإنكشارية بطلاً شديداً في الحرب والقراع صاحب مكر وخداع لأن عليه ضبط البلد الليل والنهار ولا يسأل عما يفعل وبعد هذه الفتنة آمر أمير الجيوش بعزله وأقام عوضه مصطفى آغا جربجي[٣] وهو من مماليك عبد الرحمن آغا[٤] الذي كان قديماً آغة الإنكشارية في زمان علي بيك وحين دخل مصطفى آغا على أمير الجيوش لبَّسهُ فرواً فاخراً وقلدهُ سيفاً وولّاه منصب الآغاوية على الإنكشارية وقال له قد بلغني عن سيدك أنه كان رئيساً في الأحكام خبيراً بالأيام متدبراً بالنظام ومتقناً وظيفته على التمام ٤٩-ب فأودّ أن تكون مثله وتقتفي أثره فقبّل يده وانصرف من قدامه مسروراً وبالحقيقة أن هذا المذكور أخلف سيده في أحواله وأفعاله وكان صادقاً في خدمته شديداً في همته وقيل أنه قتل

---

(١) البقسماط، كلمة مأخوذة عن كلمه يونانية دخلت إلى الفرنسية بمعنى كعك Biscuits أنظر: Dozy, Vol. I, P. 103

(٢) هو الجنرال الفرنسي «ديستان» Destaing

(٣) بقي مصطفى آغا الشربجي، آغة الإنكشارية، حتى قتل في ثورة القاهرة الثانية، فقد قبض عليه الثوار وخنقوه ورموا جثته خارج باب النصر. ولقد خدم الفرنسيين بصدق، ويلقبه الجبرتي بالآغا الخبيث، أنظر عجائب الآثار، ج ٣، ص ٢٩، ٩٥.

(٤) المقصود هو عبد الرحمن كاخيا القازد غلي الذي تولى زعامة حزب القازدغلية وكان كتخدا المستحفظان سنة ١١٦٢ هـ ـ ١٧٤٨ م، وأصبح شيخاً للبلد بعد وفاة رضوان القازدغلي. وقد طغى عليه نفوذ علي بيك الكبير، أنظر: رافق، بلاد الشام ومصر، ص ٤٠٠ ـ ٤٠١.

مماليك كثيرة كما كان يفعل سيده في حكمه وكان ذلك الرجل يكره المماليك وزمرتهم كونهم قتلوا سيده وكان حينما يجد مملوكاً مستخفياً في المدينة يقتله سراً لأنه كثيراً كانت تدخل المماليك إلى مصر مستخفيين وبعد تلك الحوادث استكنَّت مصر وكلَّت أهلها من الحروب مع الفرنساوية وطاعتهم الطاعة الرغمية لما كابدوا من شدة بأسهم وقوة مراسهم وقد كان الفرنساويين قد جرَّبوا أكثر الناس بحسن أحكامهم العادلة وعدم ميلهم للمشاكلة وحسن سياستهم وعدم خيانتهم وحبهم المفرط للمسلمين ورفع المظالم عن الفلاحين وضبط عساكرهم وتواضع أكابرهم وصدق كلامهم وحسن زمامهم وانطلاق الحرية لساير الرعية وإعطاء الأمان في كل مكان والتفاتهم العجيب لنظم البلاد وودهم الغريب لراحة العباد وقد قطعوا أثار اللصوص والنهَّابين والعربان الخطَّافين واتقنوا الأحكام بأحسن نظام وتظاهروا بالكرم والسخا ورخص القوت والرخا وبدا أمير الجيوش يجهِّز الركبة على الأقطار الشامية وأرسل القومانية(١) والمدافع والجبخانات إلى مدينة بلبيس والصالحية(٢) ونبّه على العساكر بتحضير مايحتاجون من الات الأسفار وقد شاعت الأخبار بقدوم ذلك الجيش الجرَّار إلى أراضي عكا وتلك الديار فأسرع أحمد باشا الجزار بتدبير ما يحتاج إليه في الحصار خشية من هجوم الكفار واستيلايهم على تلك الأقطار وحصَّن مدينة عكا بالأبرجة والأسوار ووضع عليها القنابر والمدافع الكبار وحصَّن أيضاً مدينة حيفا(٣) وارسل إلى يافا(٤) العساكر وحصنها بالمدافع والقنابر وامتد إلى مدينة

---

(١) القومانية، جمعها قومانيات، وهي من المفردات البحرية للغة اللاتينية العامة، وهي مأخوذة عن الكلمة Compagna، أي مؤن، ذخيرة.
أنظر: Barbier de Meynard, Vol. II, P. 578,
أنظر أيضاً: Dozy, Vol. II, P. 428

(٢) الصالحية، هي بلدة بمديرية الشرقية، المبارك، ج ١٢، ص ٦.

(٣) حيفا، هي مرفأ في فلسطين يقع على سفح جبل الكرمل، إحتلها الصليبيون ثم استعادها منهم صلاح الدين الأيوبي عام ١١٧٧ والمدينة الحالية ليست مكان المدينة القديمة بل تقع إلى الشرق منها.

غزة بعساكره وعشايره ووصلت جيوشه إلى قلعه العريش[1] وأقاموا بها واتصل الايراد إلى ساير البلاد وتنبهّت الغز للجهاد وفي شهر شعبان سنة ١٢١٣ خرجت العساكر الفرنساوية إلى مدينة بلبيس والصالحية وكتب أمير الجيوش بونابارته إلى الجنرال كليبر أن يتوجه من دمياط في البر على طريق قطية[2] ويكون قايد العساكر الفرنساوية ثم أن أمير الجيوش من بعدما سيَّر العساكر أحضر علما الديوان ومصطفى كتخدا الذي جعله أمير الحج والاغا والوالي والمحتسب وقال لهم أن الغز المماليك الهاربين من سيفي في الأقطار قد التجوا إلى أحمد باشا الجزار المتولي بتلك الديار فجمع لهم العساكر وحضروا إلى العريش وعازمين على الحضور إلى الديار المصرية لأجل خراب البلاد وقتل العباد وهلاك الرعية فلذلك أخذتني الغيرة واستخرت الله وهو نعم الخيرة وعزمت أنني أسير إليهم بالعساكر وأخرجهم من قلعة العريش بقوة سيفي الباتر وأبذرهم بتلك البراري والقفار وأجعلهم عبرةً للنظار وأقطع أثارهم من تلك الديار بعون الواحد القهار وأريّح منهم مصر وتلك الديار وها قد ولّيت نايباً عني وقايمقام[3] في المدينة

= أنظر مقال: «E.Honigman» في l'encyclopédie de l'Islam, 2cm ed, Vol. III, PP. (334-336).

(٤) يافا، مدينة في فلسطين، وهي ميناء القدس إحتلها عمر بن العاص، عام ٦٣٣م، ثم احتلها الصليبيون واحتفظوا بها حتى عام ١١٨٧ م وبعد معركة حطين إحتلها الظاهر بيبرس عام ١٢٦٨، وبعد معركة مرج دابق ١٥١٦ احتلها العثمانيون وكانت عبارة عن خراب، إلا أنها استعادت إزدهارها بعد منتصف القرن السابع عشر.

أنظر مقال: (Yafa) في Encyclopédie de l'Islam, 1ere ed, Vol. IV, P. 1206.

(١) هي مدينة تقع على الحدود بين مصر وفلسطين، وقد تبعت مصر منذ فتح عمر بن العاص للبلاد، وهي واقعة وسط واحة خصبة، احتلها نابليون في طريقه إلى سورية عام ١٧٩٩ وفي عام ١٨٠٠ حدثت فيها مفاوضات العريش.

أنظر مقال F.Buhl في Encyclopédie de l'Islam, 2em ed, Vol. I, P. 651

(٢) قطية، يقول المبارك عنها «هي مزم الدرب حتى لا يمكن التوصل إلى الديار الشامية إلا منها، ولها مينة وهي الطينة على شط البحر المحيط»، أنظر: الخطط التوفيقية، ج ١٤، ص ١٠٣.

(٣) القايم مقام، كلمة تدل بمعناها العام على قائد من رتبة عليا، وكان لها معنى خاص في مصر العثمانية، فكانت تدل على من يقوم مقام الوزير في حالة موته وعدم وصول خلفه، وتولاها بعد عام ١٦٠٤ بيكاً من المماليك الذين حاولوا ممارسة السلطة من خلالها بشكل شرعي. =

الجنرال دوكا فكونوا له طايعين وإلى كلامه سامعين وشيخ البلد عليكم الجنرال ضوصطين[1] فعليكم أيها العلما والحكام والأعيان والتجار أن تنبهوا على أهل هذه الديار برفع الأذية والأضرار وأن تكون الرعايا مطمأنين وفي منازلهم آمنين وإن كان يبدي في غيابنا أدنى حركة من الحركات ضد العساكر والصلدات فقد أمرت القايمقام وشيخ البلد وحاكم القلعة أن يهدموا البلد بالمدافع والقنابر ويقتلوا أهلها بحد السيف الباتر فكونوا على حذر من القضا والقدر فأجابوهُ أننا ضامنين وكافلين هدو الجمهور وعدم حدوث أمر من الأمور ثم أمر إلى مصطفى كتخدا وعلما الديوان أن يأخذوا الأهبة للمسير معه إلى العريش فأجابوه بالسمع والطاعة وفي خامس يوم من شهر رمضان ركب أمير الجيوش بونابارته في العساكر وصحبته مصطفى كتخدا والعلما قاصداً مدينة بلبيس بالأبطال الجبابرة والعساكر الوافرة وحين وصل إلى الصالحية هرب أمير الحج محمد كتخدا[2] الذي كان سابقاً[3] إلى مدينة غزة ومن هناك سار إلى عكا وحين دخل الجزار قال له أنت الذي كنت آغة الإنكشارية قال نعم ولكنني هربت منهم وأتيت

= أنظر مقال E. Kuran في Encyclopédie de l'Islam, 2^em ed, Vol. IV, P. 482.

(١) إعتمد بونابرت على الجنرال دوكا وبوسلنج الذي كان له تأثير عفوي على الشعب، وعين الجنرال دستان قمنداناً لموقع القاهرة بعد خروجه بالحملة.

أنظر: F. Charles - Roux, Bonaparte gouverneur d'Egypte. P. 299

(٢) أخطأ الترك وخلط بين محمد كتخدا الذي أصبح آغا الانكشارية والذي بقي في منصبه حتى ثورة القاهرة الثانية. أنظر حول محمد كتخدا هذا ـ ما سبق ص ـ ١٣٨ وبين مصطفى كتخدا الذي عينه نابليون أميراً للحاج. ونجد هذا الإلتباس أيضاً في نسخة ديغرانج، ص ٧٥، أما حيدر الشهابي فيقول: هرب أمير الحاج ومحمد كتخدا، ج ٢، ص ٢٥٣.

ولقد ثار أمير الحاج مصطفى بيك على الفرنسيين وحاول تأليف جيش في الصالحية، وأثار القلاقل في مديرية الدهقلية ودمياط، ولكن الفرنسيين استطاعوا القضاء على حركته.

أنظر: F. Charles - Roux, Bonaparte gouverneur d'Egypte. P. 286.

ويقول شارل رو، إن أمير الحاج حاول تحريض المشايخ المصريين وفرقة الانكشارية التركية، لكنهم رفضوا اللحاق به وعاد الشيخ الفيومي ومصطفى الصاوي واحمد العريشي إلى القاهرة.

أنظر: F. Charles - Roux, Bonaparte gouverneur d'Egypte PP. 286, 287

وحول هذه الثورة راجع أيضاً: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٥٤ ـ ٥٧

(٣) يوجد نقص هنا: كان سابقاً آغة الانكشارية.

إليك فقال له الجزَّار ما أنت إلَّا جاسوس ثم أمر بقتله[1] وكان العلما بعد ٥٢-أ وصولهم إلى الصالحية أعرضوا إلى أمير الجيوش أنهم لا يقدرون على الأسفار في البراري والقفار فأذن لهم بالرجوع وسار أمير الجيوش بتلك الجموع[2] وكان قد أمر إلى كبار الديوان الشيخ عبد الله الشرقاوي والشيخ محمد المهدي الباقيين في مدينة مصر أن يرسلوا مكاتيب لساير الأقاليم ويعرفوهم عن مسيره إلى الديار الشامية فكتبوا كما أمرهم وطبعوها في المطبعة ووزعوها على ساير الأقاليم وهذه هي صورتها:

صـــورة الكتابـــة

في محفل ديوان مصر الخصوصي إلى جميع الأقاليم المصرية نخبّركم أن أمس تاريخه خامس شهر رمضان المعظَّم توجه حضرة الدستور المكرم عسكر الكبير بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية مسافراً يغيب مقدار ثلثين يوماً لأجل محاربة ابراهيم بيك الكبير وبقية المماليك المصرية حتى يحصل الراحة الكلية للأقاليم المصرية من هولا الأعدا الظالمين الذين لا راحة فيهم ولا رحمة في دولتهم ٥٢-ب على أحد من رعيتهم وقد وصل الآن مقدمة الجيوش الفرنساوية إلى العريش وعن قريب يأتيكم خبر قطيعة ابراهيم بيك ومن معهُ من المماليك نظير ما وقع في قطيعة أخيه مراد بيك ومن معهُ في أقليم الصعيد فيقطع دابرهم من بر الشام كما انقطع دابرهم من إقليم الصعيد بالتمام ويبطل القيل والقال وتذهب الكاذبة التي تسمعونها من أوباش الرجال ونخبّركم أن حضرة السر عسكر المشار إليه يتجدد له كل يوم نية الخير والرحمة ويحدث في تصميم الشفقة

---

(١) لم يذكر الجبرتي حادثة توجه مصطفى كتخدالطرف الجزار، بل قال أنه ذهب إلى الشام. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٥٧.

(٢) ترك الجيش الفرنسي مصر باتجاه سورية، بتاريخ ٦ شباط ١٧٩٩ وعلى رأسه الجنرالات، كليبر وبون ولانيس Lanes ورونيه، ومن الضباط مورات قائد فرقة الفرسان، ودومارتان قائد المدفعية، وكفاريللي قائد فرقة الهندسة.
أنظر: Deherain, histoire, Vol. V, P. 402.

والرأفة هذه هي نيتهُ لكم في كل آل الأقطار المصرية ويحصل لهم النجاح والإصلاح ويكمل في ساير أقطارها السرور والصلاح وتفرح أقاليمها على يد سلطانها بونابارته بمشية الله الذي مكَّنه فيها ونصرهُ على من ظلم من المماليك المفسدين ولا يتم خلاصهم بالكلية وتتطهر مصر من دولة [٥٣-أ] المماليك الردية إلاَّ ببذل همته ورايه السديد في تكميل نظامها بغنايمهم لسيوفه الباترة وتكمل زروعها الفاخرة وأنواع تجارتها الباهرة ويحدث فيها برايه وحسن تدبيره التحف من أنواع الحرف والصنايع النفيسة ويجدد فيها ما اندثر من صنايع الحكما الأولين ويرتاح في دولته كل الفقرا والمساكين فالتزموا يا أهل الأرياف والفلاحين بحسن المعاملة والأدب واجتنبوا في غيبه أنواع الكذب والقبايح حتى يراكم حين يقرب بعد هذا الشهر قد أحسنتم المعاملة ومشيتم على الإستقامة وينشرح صدرهُ منكم ويرضى عليكم وينظر إليكم بعين الشفقة وإن حصل منكم في غيابه أدنى خلل ومخالفة حل بكم الوبال والدمار ولا ينفعكم الندم ولا يقر لكم قرار واعلموا أن ذهاب دولة المماليك بقضا الله وقدرته ونصرة سلطانكم أمير الجيوش عليهم بتقدير الله وأمره [٥٣-ب] والعاقل من يمتثل إلى أحكام الله ويرضى بمن ولاَّه والله يوتي بملكه من يشا والسلام عليكم ورحمة الله.

الداعي لكم الفقير عبد الله
الشرقاوي ريس الديوان
الخصوصي
عُفي عنهُ

الداعي لكم الفقير السيد محمد
المهدي الحنفاوي كاتم السر
وباش كاتب الديوان
عُفي عنهُ

وقد كنا ذكرنا أن أمير الجيوش ارسل الي الجنرال كليبر أنه يسير بالعسكر الذي عنده في دمياط ولما وصله ذلك الأمر سار من مدينة دمياط على طريق قطية ومن هناك صار طالباً قلعة العريش فتاه في الطريق وسار ثلثة أيام من غير زاد والجاهم الجوع حتى اكلوا لحم الخيل والجمال ثم اهتدوا على الطريق وعند وصولهم للعريش كانت بعض عساكر الجزار واردين بقومانيَّة وذخيرة إلى القلعة

فعندما نظروا الفرنساوية مقبلين تركوا القومانية وهربوا ووصلت الفرنساوية وقد فرحت بتلك الذخيرة واكتفوا بها ثلثة أيام ثم حضر أمير الجيوش وباقي العساكر ونصب الوطاق أمام القلعة وكان في قلعة العريش ثمانماية مقاتل وكان بينهم أحمد كاشف الكبير[1]. تابع عثمان بيك الأشقر[2] وابراهيم بيك كاشف[3] الحبشي وفي ثاني الأيام ارسل إليهم أمير الجيوش أن يسلموا القلعة فلم يرضوا بذلك فأمر بضرب المدافع وبقي الحصار على القلعة ثمانية أيام ثم فرغت مونتهم وبارودهم فأرسلوا يطلبون الأمان فأعطاهم الأمان وأن يخرجوا من القلعة بغير سلاح ويحصل الصلاح ويفوزوا بالنجاح فلم يرضوا بذلك وبعد يومين حضر قاسم بيك المسكوبي بجملة عسكر وجبخانة وبقي بعيد عن القلعة وكان قصده أن يدخل في الليل بغتة فبلغ أمير الجيوش وصوله فأمر أن يربطوا عليهِ الطريق ففعلوا ذلك وكبسوهُ ليلاً وذبحوا عساكره ولم يسلم منهم غير القليل وقتل قاسم بيك وعدة من الكشّاف والمماليك وأخذوا كل ما كان معهم وحينما بلغ ذلك الذين في القلعة حاروا في أمرهم وارسلوا يطلبون الأمان بحيث يخرجون بسلاحهم فأمر لهم أمير الجيوش بذلك وخرجوا إلى قدامه فأطلق سبيلهم وكل واحدٍ منهم ذهب إلى بلاده واحمد كاشف وابراهيم

---

(١) وهو أحمد كاشف عثمان، تابع عثمان بيك الاشقر، هرب إلى سورية، بعد معركة الاهرامات، ولقاه الفرنسيون في العريش، فأطلقوا سراحه وأرسلوه إلى القاهرة حيث توفي فيها في اليوم التالي لوصوله عام ١٢١٣ هـ - ١٧٩٩م». أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٤٦.

(٢) عثمان بيك الاشقر: هو من مماليك ابراهيم تولى الامارة والصنجقية عام ١١٩٢ هـ - ١٧٧٨ م هرب مع ابراهيم بيك إلى سورية، ثم عاد إلى مصر بعد صلح العريش، وقتل في الفخ الذي أقامه الاتراك للمماليك في أبو قير عام ١٢١٦ هـ - ١٨٠٢ م. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٢١٧.

(٣) ابراهيم بيك كاشف: هو من مماليك محمد بيك الالفي، يسميه الجبرتي كاشف الشرقية. أنظر: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٢٨، ٢٨٢ في نسخة ڤييت، ص ٣٦، وكذلك في نسخة ديغرانج ص ٧٨، وعند الشهابي، ص ٢٥٥ ورد الإسم قاسم بيك المسكوبي، في حين أن المصادر تؤكد أنه قاسم بيك أمين البحر. أنظر: الجبرتي.
أنظر: De la Jonquier, Vol. IV, P. 167

كاشف وجماعتهما طلبوا من أمير الجيوش التوجه إلى مصر إلى منازلهم وأعيالهم فاذن لهم بذلك وارسلهم مع بعض من الصلدات لاجل حمايتهم في الطريق واسروا إلى القاهرة وادخلوهم على القايمقام الجنرال دوكا وشاعت اخبارهم في مصر وحضرت خلايق كثيرة لاجل الفرجة عليهم[1] ودخلوا إلى دار الكنانة بكل ذلٍ وإهانة راكبين الحمير بملابس رثة من بعد مقابلة القايمقام وشيخ البلد توجهوا إلى بيوتهم وبعد ثلاثة أيام مات أحمد كاشف من قهره وتوارى في قبره وأما امير الجيوش بعد تسلمه قلعة العريش وضع بها جانب من العسكر وقد ارسلوا إلى علما الديوان بأن يوزعوا الكتابات كما جرت لهم العادة.

صورة كتابة علماً الديوان للديار المصرية

لا إله إلَّا الله المالك الحق المبين ومحمد رسول الله الصادق الواعد واليقين نعرِّف آل مصر وساير الأقاليم بأن العساكر الفرنساوية قد توجهت إلى الديار الشامية وحاصروا قلعة العريش من عشرة في رمضان إلى سبع عشر ووقعت مقاتلة عظيمة خارج القلعة وكان في القلعة نحو ألف وخمسماية نفر غير من قتل خارجها فلما طال عليهم الحصار وتهدمت أسوار القلعة من ضرب الفرنساوية بالمدافع عليها وتيقنُّوا بالهلاك طلبوا الأمان من حضرة السر عسكر الكبير فأعطاهم الأمان الكافي وسافر منهم نحو ثمانماية من ناحية الشول[2] إلى

(١) يقول الجبرتي حول عودة المماليك إلى مصر: «حزن المسلمون لذلك وانقبضت نفوسهم وصاروا بين مصدق ومكذب وخرج بعض الناس فشاهدوهم». أنظر: الجبرتي، مظهر التقديس، ج ١، ص ١٧٠.

(٢) الشول: أو الصحراء، ويقال الشول للصحراء المقفرة كشول بغداد والكلمة ليست عربية بل محورة عن الكلمة الفارسية (حول) أي الصحراء، ويقول دوزي ربما يكون أصل الكلمة هندي. أنظر: Dozy, Vol. I, P. 805-806

بغداد[٢] وأنعم عليهم حضرة السر عسكر بالحيوة بعد أن تيقّنوا بالهلاك وهكذا أصحاب المروات هولا اعتقهم وأطلق سبيلهم وبعض الكشّاف والمماليك الذين كانوا في القلعة نحو ستة وثلاثين جندياً طلبوا من حضرة السر عسكر أن ينعم عليهم برجوعهم إلى مصر إلى أعيالهم وبيوتهم فأحسن إليهم وارسلهم إلينا وإلى وكيله ودخلوا عليه يوم الأحد في ستة وعشرين رمضان معزوزين مكرومين وأرسل السر عسكر أن يوتي بأكرامهم أن داموا على عهدهم الذي حلفوا به بالعريش وأن خانوا وهانوا فيحصل لهم من يده الإنتقام وأمر في الفرمان أن الجنرال دوكا يأمر التجار بتسيير القوافل إلى بر الشام لينتفعوا بالمكاسب أصحاب التجارة وينتفعوا سكان بر الشام ببضايع مصر حسب العادة السابقة ليحصل الأمان بحلوله في تلك الأراضي وكتب إلى حضرة وزيره الجنرال اسكندر برتيه فرمان يخبرنا ويخبر حضرة الوكيل بالحالة التي وقعت إلى عساكر ابراهيم بيك وبعض من عسكر الجزار المساعدين لهُ وأن الفرنساوية وجدوا في قلعة العريش مخازن رز وبقسماط وشعير وثلثماية رأس من الخيل الجياد وحمير كثيرة وجمال غزيرة اكتسبتُه جميعةُ الفرنساوية ومع ذلك عندهم الصفح عن اخلاصهم عند قدرتهم عليهم وهذا من صفات اصحاب المروة من الرجال الأبطال فيا أخواننا لا تعارضوا المملك المتعال وارتكوا انفسكم من القيل والقال واشتغلوا في اصلاح دينكم والسعي في معاض دنياكم وارجعوا إلى الله الذي خلقكم وسوّاكم والسلام عليكم ختام.

---

(١) بغداد: أكبر مدينة في العراق ومن أعظم مدن العالم الإسلامي، تقع على ضفتي نهر دجلة، وكلمة بغداد فارسية الأصل تعني (هبة من الله)، وقد أعطاها الخليفة العباسي المنصور إسم (دار السلام) ويطلق عليها أحياناً إسم بغداد المنصورية على إسم مؤسسها الذي شرع في بنائها عام ٧٦٢ وبعد أربع سنوات ظهرت المدينة على الضفة الغربية لنهر دجلة، وقد سمح لها مخطط بنائها بالتوسع بشكل دائري حول المركز، إستمرت بغداد طيلة حكم العباسيين ٥٠٠ عام مركز الخلافة وعاصمة الإسلام الأولى، ومركز الحياة الثقافية في العالم، إجتاحها هولاكو عام ١٢٥٨ ونهب جنوده المدينة وأحرقوها، ثم احتلها السلطان سليمان عام ١٥٣٤ وأصبحت تحكم منذ ذلك الوقت بالباشا العثماني.

أنظر مقال A. Duri في Encyclopédie de l'Islam, 2em ed. Vol. I, P. 921-936.

الفقير عبد الله الشرقاوي
ريس الديوان حالاً
عُفي عنهُ

الفقير محمد المهدي كاتم
سر الديوان حالاً
عُفي عنهُ

٥٦-ب
الفقير السيد خليل البكري
نقيب السادات الأشراف
عُفي عنه

وأما أمير الجيوش في تسعة عشر رمضان نهض بالعساكر من قلعة العريش إلى خان يونس(١) وفي الغد صارت مقدّمات العساكر على مدينة غزة بنفوس معتزة وأولهم الجنرال كليبر سر عسكر الجيش والجنرال ميراد وكانت عساكر الجزار وعساكر الغزفي مدينة غزة فعندما شاهدوا عساكر الفرنساوية مقبلين ولّوا منهزمين فدهمهم الجنرال ميراد بالرجال الشداد على الخيول الجياد ما طلق عليهم الرصاص فما مكنوا أمامه برهةً يسيرةً حتى ولو منهزمين وإلى النجاة طالبين ولما كان الجنرال ميراد يحاربهم دخل الجنرال كليبر إلى البلد من غير قتال(٢) وبات تلك الليلة في غزة وفي الغد سيرٌ العساكر على مدينة يافا وكانوا وجدوا في غزة حواصل ٥٧-أ ذخيرة من بقسماط وشعير وأربعماية قنطار بارود وأثنى عشر مدفعاً وحاصلاً كبيراً من الخيام وكلل وقنابر عظام فحازوا على الجميع ولم يزالوا سايرين حتى وصلوا إلى يافا وبنوا المتاريس أمام البلد ووضعوا المدافع عليها(٣) ومن بعد أربعة أيام من وصولهم وصل أمير الجيوش واستخبر كم في

(١) خان يونس: يقول المبارك عنها: هي أول منزل من منازل مصر المحروسة للآتي من طريق الشام، وهي عبارة عن قلعة صغيرة بداخلها جامع لطيف»، أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ٩، ص ٩٢.

(٢) دخلت جيوش الفرنسيين غزة في ٢٤ شباط ١٧٩٩، وأمنت لهم ذخيرة وجدت فيها مشكلة نقص المؤن.
أنظر: De la Jonquire, Vol. IV, P. 170

(٣) وصل الفرنسيون إلى يافا في ٣ آذار وفي ٧ منه احتلت المدينة.

البلد من العساكر فقالوا له نحو ثمانية الآف فكتب لهم وزيره اسكندر ينصحهم أن يسلّموا البلد لسلامة أنفسهم فلم يرضوا بالتسليم بل قبضوا على الرسول فتركوه مقتول فبلغ أمير الجيوش ذلك فاغتاظ غيظاً شديداً وأمر بضرب المدافع والقنابر على المدينة وابتداء الحرب من أول النهار إلى الساعة التاسعة من ناحية حارة النصارى ثم آمر أمير الجيوش بأن يهجموا على البلد هجمة واحدة ويشنوا الغارة الجامدة ويظهروا ما عندهم من المكافحة والمجالدة فغارت اوليك الشجعان. ٥٧-ب وكان ليلة رمضان فيا لها من ساعة كانت من ساعات القيامة وتبّا لها من ليلة لم يكن بها سلامة وهجمت الفرنساوية هجمة الأسود وإذ شاهدتهم عساكر الإسلام ايقنوا بالموت والعدم بعد الخلود وبقوا نادمين وفي أمرهم حايرين وإذ لم يجدوا لهم سبيلاً للأنهزام ولا منقذاً ينقذهم إلى بر السلام فسلموا إلى قضا الله والأحكام وطرحوا سلاحهم وسلموا أرواحهم فبدت الفرنساوية يزجرونهم زجر الغنم ويفتكون بهم فتك الذيب في الغنم[١] ولم يزل هول الحرب في امداد والكرب في اشتداد وتتناثر الروس وتهلك النفوس وتنتهك الأحرار وتنكشف الأسرار والأستار وتقتل الرجال والنسا والأطفال[٢] وفاق صوت البكا والعويل على صوت البارود الجزيل وكنت تنظر واحد يقتل وواحد جديل وآخر دمه يسيل والآخر بالأسر ذليل ولا من يقيل ولا من يزيل ٥٨-آ ولم يزل الجيش الفرنساوي في قتل وفتك وسبي وهتك ورن سلاح وهز صفاح وأخذ أرواح من أول الليل إلى آخر الصباح وكان يوماً اليماً وحرباً عظيماً وسلبوا كلما في المدينة من المال والأمتعة الغوال ولم يزل يعمل الصارم البتار إلى آخر النهار وكان ذلك نهار العيد والخلق في حزن شديد وحل الأنكيس في نهار ذلك الخميس وفي ذلك الحين مات من العساكر ما ينوف عن الخمسة الآف ومن أهالي البلد الفين وقد

(١) عندما توجد كلمة أو جملة مشطوبة هنا لا تكتب عند ديغرانج ولا عند الشهابي.

(٢) يصف أحد قادة الحملة وهو القائد مالوس Malus الذي كتب يوميات عنها ونشرت عام ١٨٩٢، يصف ما حدث من الفظائع في يافا بعد احتلالها
أنظر: Dehcrain, histoire, Vol. V, P. 406-408.

هجمت الفرنساوية على المراكب التي في المينة وأخذوا منها بضاعة ثمينة وأصبحت مدينة يافا ولم يجد بها أحداً معافاً ولا بها مستتر وهي عبرةٌ لمن اعتبر وفي ثاني الأيام أحضر أمير الجيوش الأساري وأطلق سبيل من كان من الأقطار الشامية وميّز المصريين وأكرمهم غاية الأكرام[١] وكان منهم السيد عمر مكّروم نقيب الأشراف ٥٨ب الذي كان هارباً وأعطاه الأمان وامره أن يرجع إلى الأوطان وأما الهوّارا والأرناؤط[٢] أمر بقتلهم جميعاً لأن البعض منهم كان في قلعة العريش وحين اطلقهم أمرهم أن يذهبوا إلى بلادهم سالمين فاتوا إلى مدينة يافا وحاضروا بها فقتلهم جميعاً من دون بعض أنفار من الأغاوات الكبار وارسلهم أسرى مع هجانة[٣] إلى القايمقام يعرفه بالأخبار عن هذا الأنتصار وأن يوزع من الديوان الكتابات كما جرت لهم بذلك عادات ويخبر إلى المصريين في انتصار الفرنساويين على مدينة يافا[٤].

صورة الكتابات من علما الديوان
بمصر يعلموا الاقاليم بأخذ
يافا

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان مالك الملك يفعل في ملكه ما يريد سبحان الحاكم العادل الفاعل ٥٩-آ المختار ذو البطش الشديد هذه صورة تمليك الله

(١) قتل نابليون في يافا حوالي ٢٥٠٠ جندي تركي، لكنه استثنى حوالي ٥٠٠ شخص من المصريين الذين وجدوا فيها وأرسلهم إلى القاهرة وذلك لإظهار رحمته وشفقته أمام الشعب المصري.
أنظر: F. charles-Roux, Bonaporte gouverneur d'Egypte P.2 fo.

(٢) هم القوات الخاصة التي شكلها الجزار لتكون جيشه الخاص. أنظر: جب وباون، المجتمع الإسلامي والعرب، ج ٢، ص ٤٨.

(٣) هجانة إسم أطلقوه في القاهرة على الفرقة التي شكلها نابليون من الفرسان والجهالة بموجب قرار ١٧٩٨/١١/٩.
أنظر: M.G. Guemard, auxiliaires de l'armée de Bonaparte Bull.E. Vol.IX, P.11.

(٤) يقول الجبرتي في هذا الصدد «لما تحقق الناس من هذا الخبر نزل عليهم من الكآبة والحزن ما لا يوصف، فإنهم كانوا يظنون، بل تيقنوا إستحالة ذلك خصوصاً في المدة القليلة ولكن المقتضى كائن». أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٥١.

سبحانُه وتعالى جمهور الفرنساوية لبندر يافا من الأقطار الشامية نعرّف أهالي مصر وأقاليمها من ساير البرية أن العساكر الفرنساوية انتقلوا من غزة ثالث وعشرين شهر رمضان ووصلوا إلى الرملة[١] في خامس وعشرين منهُ في أمان واطمنان فشاهدوا عسكر أحمد باشا الجزار هاربين بسرعة قايلين الفرار الفرار ثم أن الفرنساوية وجدوا في الرملة ومدينة اللُدّ[٢] مقدار كبير من مخازن البقسماط والشعير ورأوا فيها ألف وخمسماية قربة[٣] مجهزة قد جهزها الجزار ليسير بها إلى إقليم مصر مسكن الفقرا والمساكين ومراده يتوجه إليها بأشرار العربان من سفح الجبل ولكن تقادير اله تُفسد الحَيل قاصداً سفك دما الناس مثل عوايده السابقة وتجبره وظلمه مشهور لأنهُ ٥٩-ب من تربية المماليك الظلمة المصرية ولم يعلم من خسافة عقله وسوء تدبيره أن الأمر لله وكل شيء بقضايه وتدبيره وفي سادس وعشرين من شهر رمضان وصلت مقدّمات الفرنساوية إلى بندر يافا من الأراضي الشامية وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية وأرسلوا إلى حاكمها وكيل الجزار أن يسلمهم القلعة قبل أن يحل بهم وبعسكرهم الدمار فمن خساسة رأيه وسوء تدبيره سعى في هلاكه وتدميره ولم يرد لهم جواب وخالف قانون الحرب والصواب وقتل الرسول النجاب وفي آخر ذلك اليوم السادس والعشرين تكاملت العساكر الفرنساوية على محاصرة يافا وصاروا كلهم مجتمعين وانقسموا ثلثة طوابير[٤] الأول توجه على طريق عكا

---

(١) الرملة: يقول ياقوت الحموي: «واحدة الرمل مدينة عظيمة بفلسطين، وهي كورة من فلسطين فتحت زمن الوليد بن عبد الملك، وقد اختطها سليمان بن عبد الملك، وخربها صلاح الدين بن أيوب عام ٥١٣ هـ خوفاً من استيلاء الإفرنج عليها وبقيت خراباً حتى الآن» أنظر: كتابه، معجم البلدان، ج ٣، ص ٧٠.

(٢) اللد: هي قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين. أنظر: ياقوت الحموي المصدر السابق، ج ٥، ص ١٥.

(٣) قربة: يقول دوزي «هي نوع من السلل التي بها يحمل التفاح أو الماء.
أنظر: Dozy, Vol. II, P. 323
إلا أن الترك استعملها هنا بغير هذا المعنى.

(٤) طوابير: مفردها طابور، وهي كلمة تركية، تعني من الناحية الحربية فرقة مؤلفة من ألف محارب =

بعيد عن يافا أربع ساعات وفي السابع والعشرين من الشهر المذكور آمر حضرة السر عسكر الكبير[٦٠-أ] بحفر خنادق حول السور لأجل أنْ يعملوا متاريس أمينة وحصارات مُتقنة حصينة لأنه وجد سور يافا ملاناً بالمدافع الكبيرة ومشحونه بعساكر الجزار الغزيرة وفي تاسع وعشرين من الشهر المذكور لما قرب حفر الخندق إلى السور مقدار ماية وخمسين خطوة آمر حضرة السر عسكر المشار إليه أن تنصب المدافع على المتاريس وأن يضعوا الهاون الكبير باحكامٍ وتأسيس وأمر بنصب مدفع آخر بجانب البحر لمنع الخارجين إليهم من مراكب المينا لأنهُ وجد في المينا بعض مراكب أعدوهم عساكر الجزار إلى الهروب ولا ينفع الهرب من المقدر المكتوب ولما رأت عساكر الجزار الكاينين بالقلعة أن عساكر الفرنساوية قلايل فيرا إلفين للناظرين لسبب اختفا الفرنساوية في الخنادق[٦٠-ب] وخلف المتاريس فغرَّهم الطمع وفتحوا مجالهم من القلعة مسرعِين مهرولين وظنوا انهم يغلبوا الفرنساوية فهجمت عليهم الفرنساوية وقتلوا منهم جملة كثيرة في الوقعة وألزموهم والجوهم للدخول ثانياً إلى القلعة وفي يوم الخميس غاية شهر رمضان حصلت عند السر عسكر شفقة قلبية على الرعية وخاف على أهل يافا من عسكره إذا دخلوها بالقهر والإكراه فأرسل إليهم مكتوباً مع رسوله مضمونه

لا اله إلاَّ الله وحده لا شريك له

بسم الله الرحمن الرحيم

من حضرة سر عسكر اسكندر كتخدا العسكر الفرنساوي الى حضرة حاكم يافا نخبرك أن حضرة سر عسكر الكبير بونابارته امرنا نعرفك في هذا الكتاب أن سبب حضوره إلى هذا الطرف إخراج عسكر الجزّار[٦١] فقط من هذه البلد لأنه تعدّى بارسال عسكره للعريش ومرابطته فيها والحال أنها من إقليم مصر التي أنعم بها الله علينا فلا يناسبه بالإقامة بالعريش لأنها ليس من أراضيه

= يرأسها بنباشي (قائد مئة)،

أنظر: Dozy, Vol. II, P. 20

أنظر: Barbier de Meynard, Vol. II, P. 250

فقد تعدَّى على ملك غيره ونعرفكم يا أهل يافا أن بندركم حاصرناه من جميع أطرافه وجهاته وربطناه بأنواع الحرب والآلات والمدافع الكثيرة والكلل والقنابر الغزيرة وفي مقدار ساعتين ليقلب سوركم وتبطل آلاتكم وحروبكم ثم نخبركم أن حضرة السر عسكر المشار إليه بونابارته لمزيد رحمته وغزير شفقته خصوصاً بالضعفا من الرعية خاف عليكم من سطوة عساكره المحاربين وإذا دخلوا إليكم بالقهر فأهلكوكم أجمعين فأمرنا أن نرسل إليكم هذا الخطاب أمَاناً كافياً لأهل البلد والأغراب ولأجل ذلك أخّر ضرب المدافع والقنابل[1] ساعةً واحدة واني كم من الناصحين [٦١-ب] القلبية والحال أنهم جعلوا الجواب قتل الرسول مخالفين للقوانين الحربية والشيعة المطهرة المحمدية وحالاً في الوقت والساعة هاج السر عسكر واشتد غضبه على الجماعة وأمر بابتدا ضرب المدافع والقنابر الموجبة التدمير وبعد مضي زمانٍ يسير تعطَّلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس وانقلب عسكر الجزار في وبال وتنكيس وفي الظهر من هذا اليوم انخرق سور يافا وارتج لهُ القوم ونقب من الجهة التي ضرب فيها المدفع من شدة النار ولا مرد لقضا الله ولا مدافع وفي الحال آمر حضرة السر عسكر بالهجوم عليهم وفي أقل من ساعة ملكت الفرنساوية البندر والأبراج ودار السيف في المحاربين واشتد بحر الحرب وهاج وحصل النهب فيها تلك الليلة وفي ثاني يوم الجمعة غرة شوَّال وقع الصفح الجميل من حضرة السر عسكر الجليل وزقَّ قلبه على أهل مصر من غني [٦٢-أ] وفقير ومتجبر وحقير الذين كانوا في يافا وأعطاهم الأمان وأمرهم بالرجوع إلى الأوطان مكرومين وكذلك آمر أهل دمشق برجوعهم إلى أوطانهم سالمين لأجل ما يعرفوا مقدار شفقته ومزيد رأفته ورحمته ويعفو عند المقدرة ويصفح وقت المعذرة لكثرة تمكنه ومزيد اتقانه وتحصنه وقتل أكثر من أربعة آلاف من عسكر الجزار في السيف والبندق لما وقع منهم من الإنحراف وأما الفرنساوية لم يقتل منهم إلاَّ القليل والمجاريح منهم ليس بكثير وسبب ذلك سلوكهم للقلعة من طريق أمينة خافية عن العيون وأخذوا دخاير كثيرة وأموال

(١) الصحيح القنابر.

غزيرة ومسكوا المراكب التي في المينة واكتسبوا أمتعة غالية ثمينة ووجدوا في القلعة أكثر من ثمانين مدفع ولم يعلموا من مقادير الله آله الحرب لا تنفع فاستقيموا يا عباد الله وارضوا بقضا الله ولا تتعارضوا على أحكام الله وعليكم بتقوى الله واعلموا أن الملك لله يوتيه لمن يشا والسلام عليكم ورحمة الله

الفقير السيد خليل البكري	الفقير عبدالله الشرقاوي
نقيب الاشراف بمصر حالاً	ريس الديوان بمصر حالاً
عفي الله عنه	عفى الله عنه

الفقير محمد المهدي
كاتم السر الديوان بمصر حالاً
عفى الله عنهُ

طبع في مطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة ثم أن أمير الجيوش سار بالعساكر قاصداً مدينة عكا على طريق الجبال ولما وصلوا إلى أراضي قاقون[1] فكانت عساكر الجزار والنوابلسية مكمنين في البوادي الذي هناك وحينما بلغهم قدوم الفرنساوية أخرجوا منهم من فم الوادي خمسماية مقاتل وبدوا يرمحون[2] تجاه العسكر وكان قصدهم أن يجرّوهم إليَ ذلك الوادي فلما علم أمير الجيوش مرادهم قسم عساكره ثلاثة أقسام فالقسم الأول سيّره إلى فم الوادي والقسمان أطلعهما إلى الجبل وحين اقتربوا إلى الوادي ضربوا المدافع وأطلقوا الرصاص فانحدرت إليهم الفرنساوية من أعلى الجبال وانتشبت بينهم القتال وكثر القيل والقال وقد قتل من عسكر الإسلام أربعماية قتيل على التمام وولوا الباقون منهزمين وإلى النجاة طالبين ومن هناك صارت الفرنساوية مطمانين في تلك الديار وباتوا تلك الليلة على العيون الصغار[3] وفي الغد ساروا إلى أن

(١) أرض قانون: هي حصن بفلسطين قرب الرملة، من عمل قيسارية من ساحل الشام. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٩٩.
(٢) يرمحون: رمّحه، يرمحه، طعنه بالرمح. أنظر: قطر المحيط، مادة (رمح).
(٣) ورد الاسم في نسخة فييت ص ٤٨. عيون الأساور.

وصلوا إلى وادي الملك[١] وقد كان بلغ الجزار قدوم وقرب الفرنساوية إلى تلك الديار فأرسل إلى حيفا أحضر الجبخانة والعسكر وعندما وصلت الفرنساوية إلى تجاه مدينة حيفا خرجت أهالي البلد إلى مقابلتهم وسلموا أمير الجيوش مفاتيح البلد والقلعة فأكرمهم وأعطاهم الأمان ودخلت الفرنساوية مدينة ٦٣-ب حيفا فوجدوا بها قارباً صغيراً فيه جماعة من الإنكليز فأخذوهم أسارى[٢] وبعد ذلك انتقل أمير الجيوش بالعساكر إلى تجاه مدينة عكا ونصبوا المضارب والخيام في محل يقال لهُ أبو عتبة[٣] وبنوا المتاريس الحصينة ووضعوا فوقها المدافع المتينة وشاعت الأخبار في تلك الأقطار بقدوم البطل المغوار في ذلك العسكر الجرّار الذي هو كالبحر الزخّار فخافت أهالي تلك الديار وعزموا جميعهم بالتصميم على الطاعة والتسليم لذلك لبطل العظيم لِما بلغهم من ظم سطوته وعلو همته وشدة صولته وبقوا ينتظرون بما يحل بأحمذ باشا الجزار بعد ذلك الضيق والحصار من الهلاك والوبار والبوار وقالت المسلمين أجمعين أننا لله واننا إليه راجعين من شر هؤلآء الملاعين وكان أمير الجيوش كتب الى ساير مشايخ البلد ليحضروا إلى مقابلته ويحصلوا على امانه ورحمته ٦٤-أ وبدت تأتي إليه أهل تلك البلاد ويأخذون منهُ الأمان وسار الجنرال كليبر والجنرال منو إلى مدينة الناصرة[٤] وأرسل كومنداً حاكماً[٥] على شفا عمر[٦] ومن بعد إتمام بناية يالمتاريس ابتدأ في الحرب على

---

(١) ورد الاسم في نسخة ڤيت ص ٤٨. مرج بن دابق.

(٢) انظر: Mechin - Benoist, Bonaparte en Egypte ou le rêve inassouvi, Suisse 1966, P. 220-221

(٣) أبو عتبة مكانٌ يقع على بعد ٢ كم من مدينة عكا وفيه عسكر الفرنسيون.
أنظر: F. Charles Roux, l'Engleterre et l'expédition française Vol. II, P. 154.

(٤) الناصرة: هي المدينة التي سكنها المسيح، وتقع في وادي يحيط به جبال، وسط منطقة خصبة، وقد زارها الحجاج من كل صوب في اوروبا، احتلها العرب عام ٦٣٦ م، وتقع على بعد ١٣ ميلاً عن بحيرة طبرية ولقد نهبها جنود السلطان بيبرس عام ١٢٦٣ م ودخلت عصرها الذهبي عام ١٦٢٠ م عندما أقام فيها الفرنسيسكان (إرسالية تبشيرية)، واحتلها ظاهر العمر وازدهرت في عصره حول مدينة الناصرة راجع مقال: Fr. Buhl في Encyclopédie de l'Islam, 1ere ed, Vol. III, PP. 930, 931

(٥) هو القائد الفرنسي Junot

عكا خامس يوم من شهر شوال سنة ١٢١٣ وقام الحرب أربعة وعشرين ساعة وكان حرباً شديداً مهولاً لم يكن مثلهُ قط لأن الفرنساوية كانت تضرب المدافع والقنابر وفي المدينة كذلك المدافع والقنابر من الأبراج والقلاع والحصون والأسوار وكانت المراكب العثمانية والمراكب الإنكليزية تضرب كذلك المدافع والقنابر حتى خيّل للناظرين والسامعين أن مدينة عكا لم يبقَ منها حجر على حجر واقفين وارتج الجزار من ذلك رجةً عظيمة وكاد أن يخلو المدينة وأحضر مراكبه للسفر والركوب وهيَّا نفسه للذهاب والهروب فمنعهُ الجنرال سّر عسكر الإنكليز الذي كان مقيماً في عساكره على البواغيظ وطمنهُ قايلاً إنني قد قطعت عزم اعدايك الفرنساوية إذ قد يسرت منهم ثلثة مراكب[1] جبخانة ومدافع قوية فشجّع فوادك على محاربتهم لأنني قد أضعفت قوتهم وكان الأمر كما ذكر لأن أمير الجيوش إذ كان لم يقدر على نقل الجبخانة والمدافع الكبار في البر فآمر أن يوسقوهم في ثلثة مراكب ويرسلوها من دمياط وحينما خرجت المراكب المذكورة اصطادتها مراكب الإنكليز وكان سر عسكر الإنكليز المسمّى سدني سميث لم يزل يطوف في مراكبه على البواغيظ ليمنع الإمداد على الفرنساوية وحين وقع الحصار على مدينة عكا حضر بمراكبه وأخرج منهم طبجّية[2] إلى القلع والأسوار ثم من بعد ذلك الحرب الشديد قلّت جبخانة الفرنساوية وبلغ أمير الجيوش أن

= (٦) شفا عمر: يسّميها ياقوت الحموي (شفر عمر)، «وهي قرية كبيرة بينها وبين عكا بساحل الشام ثلاثة أميال وبها كان منزل صلاح الدين بن أيوب عندما هاجم عكا سنة ٥٨٦ هـ لمحاربة الإفرنج الذين نزلوا على عكا وحاصروها». أنظر: كتابه، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٥٣. ولقد أصبحت شفا عمر قلعة زمن ظاهر وولى عليها أحد أبنائه راجع: مخائيل الصباغ، تاريخ ظاهر العمر الزيداني، نشره الخوري قسطنطين الباشا. (حريصا ١٩٣٥) ص ٥١.

(١) أسر الانكليز السفن البحريّة القادمة من دمياط والاسكندرية والتي تحمل المدفعية الثقيلة ومؤن وذخائر، وذلك بتاريخ ١٦ شباط ١٧٩٩، في مدينة يافا.
أنظر: Deherain, histoire, Vol. V, P. 412

(٢) طبجية: أو طوبجية، جمع للكلمة التركية طوبجي، ومعناها: جندي المدفعية، أو المدفعية، أو المدافع.
أنظر: Barbier de Meynard, Vol. II, P. 298
أنظر: Dozy, Vol. II, PP. 66

الإنكليز استأسروا الثلاث مراكب التي أتت من دمياط في الجبخانة فاشتعل فيه الغضب وأرسل أحضر ما كان في يافا من الجبخانة ثم حضر إلى الجزار مركبين من اسلامبول بهم الجبخانة ولما اقبلوا إلى اسكلة يافا وشاهدوهم الفرنساوية الذين كانوا باقيين هناك رفعوا لهم البيرق العثماني فدخلوا إلى المينا بكل أمان ناشرين الإعلام لظنهم أن المدينة بيد الإسلام وبعد ما التقوا المراسي نزلت القبابطين إلى البلد فقبضوا عليهم الفرنساوية وضبطوا المراكب بكل ما فيها من المدافع والقنابر والجبخانة وكان من الجملة ستة وثلثين ألف دينار مرسلة اسعافاً للجزار فصار ذلك اسعافاً للفرنساوية(١) وكنا قد ذكرنا أن أمير الجيوش بعد حضوره إلى تجاه عكا أرسل كتب إلى مشايخ البلاد الذين بالقرب منه فحضر إليه الشيخ عبَّاس(٢) ابن ضاهر العُمَر(٣) وأعرض لديه أحواله فترحب به وأعطاهُ السلاح والكسوة وعشرة أكياس وكتب لهُ أن يكون متوليّاً بلاد أبيه وحضر أيضاً مشايخ بني متوال(٤) فأعطاهم حكم بلادهم وساروا من عند أمير

---

(١) إستطاع الفرنسيون الاستيلاء على مركبين أرسلا من القسطنطينية لمساعدة حامية الجزار.
أنظر: Deherain, Ibid P. 410

(٢) الشيخ عباس: يقول مخائيل الصباغ عنه: «عباس هو الأخير من أولاد ظاهر، وكان على شبه أبيه بالصورة، ولم يبقَ سواه من أولاد ظاهر، أقام في الناصرة، وقد رشحه نابليون بونابرت، لولاية عكا بعد سقوطها، وخلع عليه ووعده بأن يرتبه مكان والده»، أنظر مخائيل الصباغ: تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني، حاكم عكا وبلاد صفد، نشره وحققه قسطنطين الباشا، لبنان حريصا، مطبعة القديس بولس، عام ١٩٣٥، ص ١٥٦، ١٦٣.

(٣) ظاهر العمر: هو إبن عمر شيخ بنو زيدان، وهي قبيلة بدوية مستقرة في منطقة صفد حوالي عام ١٧٠٠، وكان ظاهر العمر أميراً على منطقة طبرية والاردن الأعلى، وقد تحالف مع المتوالة ثم احتل مرفأ عكا واستخدمه لتصدير القطن والحرير، كما أصلحَ أسوار المدينة، وكان في البدء على علاقة طيبة مع الباب العالي لأنه كان يدفع له مال الميري بانتظام، ثم ثار على السلطان وتحالف مع علي بيك الكبير، وتمكن ظاهر من الاستيلاء على صيدا بمساعدة الاسطول الروسي، وخضعت له فلسطين وبعد مقتل حليفه، قدم الاسطول التركي إلى فلسطين واستعاد صيدا وحاصر عكا حيث كان ظاهر محتمياً فيها عام ١٧٧٥. توفي ظاهر أثناء الحصار في آب ١٧٧٥. أنظر: مخائيل الصباغ، المصدر السابق، ص ١٥، ١٦، ١٧، ٣٩، ٤٢، ٤٣، ١٠٨، ١١٢، ١٤٣، ١٤٦.

(٤) بني متوال، أو المتاولة. هو لقب أُعطي للطائفة الشيعية في لبنان ولم يعرف الاسم ي .يران أو =

الجيوش إلى مدينة صور وقدموا لهُ الذخاير من البلاد وتسلّموا القلعة التي كانت لابايهم ثم حضر أيضاً رجل عن جبل شيحا[1] اسمهُ مصطفى بشير[2] فاكرمهُ أمير الجيوش وأمرهُ أن يجمع عسكر من أهل تلك البلاد ويتوجه إلى مدينة صفد[3] فتوجه المذكور بخمسين نفر ولما بلغ أهل البلد قدومه طردوا عسكر الجزار وسلموهُ البلد وكان ذلك الرجل أصلهُ من صفد وقد ذكرنا عن توجه الجنرال كليبر والجنرال منو إلى الناصرة وكان قد اجتمع من الشام عساكر الإسلام من مغاربة وهَّوارا وعربان والغز الذين حضروا مع ابراهيم بيك إلى أن

= العراق. وقد اختلطت هذه الطائفة في بلاد الشام مع الاكثرية السنية لشعوب سورية. ويذكر ڤولني أنهم قبيلة عربية سكنت جبال لبنان ومركزها الأساسي بعلبك.

أنظر كتابه: Voyage en Egypte et en Syrie... Vol. I P. 477.

وقد بدأ بروز هذه الطائفة منذ القرن الثامن عشر وضمت منطقتهم بلاد البشارة واقليم الشحار والتفاح واقليم الشقيف، وعرفت بلادهم إزدهاراً إقتصادياً في النصف الثاني من القرن الثامن عشر حيث نشط التجار الفرنسيون في بلاد الشام الجنوبية وشجعوا التجارة معها وخاصةً التبغ. للتوسع راجع:

Louis, Massignan, art, Mutwali, dans l'Encyclopédie de l'Islam, per. ed. supplement P. 176-177. ef. Henri Laoust, les shismes dans l'Islam, (Paris 1965) P 146-150. ef. Edmond Rabbath, la formation historique du Liban, politique et constitutionelle (Beyrouth 1973) P. 115-116.

وعندما وصل بونابرت إلى مناطق المتاولة رحبوا به باعتبارهم أعداء الجزار وذلك آملاً منهم باستعادة بلادهم التي أخضعها الجزار لسلطته. وسلموا بونابرت منطقتهم في بلاد البشارة فأمَّرهم عليها راجع: حيدر الشهابي، تاريخ أحمد باشا الجزار، ص ١٣٣.

(١) جبل شيحا: هو جبل بفلسطين يقع بالقرب من صفد بُنيت عليه قلعة في القرن التاسع زمن الخليفة العباسي المتوكل. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٣، ص ٣٧٩.

(٢) مصطفى بشير: لم نجد له ترجمة.

(٣) صفد: هي مدينة في جبال الجليل العليا، تقع على بعد ٥٠ كم من عكا إلى الشمال الشرقي من بحيرة طبرية. إحتلها الصليبيّون وعرفت إزدهاراً زمن المماليك ثم فقدت أهميتها تدريجاً زمن العثمانيين. وأقام فيها فخر الدين المعني الثاني قلعة. وعرفت هذه المدينة بأنها بلدة ظاهر العمر وقد أعطاها بونابرت لاحد أبنائه (الشيخ صالح بن ظاهر العمر). وهدمها الجزار بعد رحيل الفرنسيين.

راجع مقال: (J.H. Kamers) في: L'encyclopédie de l'islam, per, ed. Vol. IV, P. 53-54.

أنظر أيضاً: حيدر الشهابي، تاريخ أحمد باشا الجزار، ص ١٣٢ - ١٣٣.

بلغ جمعهم ثلثين ألف مقاتل ما بين راكب وراجل وخرجت هذه العَساكر العديدة ٦٦-أ بقوة شديدة ووصلت إلى مرج ابن عامر(١) فبلغ كليبر قدوم تلك العساكر فسار إليهم بألف وخمسماية مقاتل وحينما وصلوا وشاهدتهم تلك الجموع انهزموا من قدامهم مكيدة منهم ولم تزل الفرنساوية في أثرهم إلى أن وصلوا إلى أطراف المرج ومن هناك أحاطوا في الفرنساوية من كل جانب ولما نظرهم الجنرال كليبر قد أحاطوا بالعسكر فقسم رجاله أربعة أقسام مع كل قسمة منهم مدفع واتصل الحرب بينهم فعندها شاهدت أهالي الناصرة كثرة جيوش الشام وأن الفرنساويين قليلين جداً فبادروا حالاً واخبروا أمير الجيوش(٢) فأحضر حالاً الجنرال تركو(٣) وأمرهُ بتحضير ثلثة آلاف صلدات ومن بعد ساعة واحدة جهز العسكر المذكور وأخذوا معهم أربعة مدافع وأمر الجنرال بونابارته أن يسيروا على وادي عبلين ومن بعد مسيرهم بثلاث ساعات ركب أمير الجيوش وسار وراهم طالباً أثرهم وفي نصف الليل ٦٦-ب ووصل بالعساكر إلى بير البدوية وأرسل إلى قريةٍ قريبةٍ منهم اسمها سافورا(٤) وطلب ما احتاجهُ

---

(١) مرج إبن عامر: هو سهل في فلسطين، يتصل بسهل عكا من الغرب وبسهل بيسان من الشرق، يحده من الشمال جبال الجليل ومن الجنوب جبال افرايم، تبلغ مساحته ٤٨٠ كم٢، ينخفض قسمه الشرقي عن سطح البحر بحوالي ٥٠ م، وهو منطقة عظيمة الخصب وفيرة الأمطار والعيون، يخترقها نهر المقطع الذي يصب في البحر المتوسط بالقرب من حيفا. أنظر: الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة ١٩٦٥، عدة مؤلفين.

حدثت في هذا السهل، قرب جبل طابور في ١٦ نيسان ١٧٩٩، المعركة المعروفة باسم معركة جبل طابور بين الفرنسيين وعساكر بلاد الشام.

(٢) تعتبر هذه المساعدة المساعدة الوحيدة التي قدمها مسيحيو سورية للجيش الفرنسي فقد تخلى حاكم الناصرة العثماني عن المدينة عند اقتراب الجيش الفرنسي منها ففتحت المدينة أبوابها له فاحتلها القائد (جنوت) في ٣١ آذار ١٧٩٩ ثم أرسلت المدينة وفداً لإبلاغ نابليون خبر إحاطة الجيش السوري بالجيش الفرنسي في مرج بن عامر.

أنظر: Deherain, histoire. Vol, V.P. 416.

(٣) هو الجنرال الفرنسي Letjreq.

(٤) ورد في نسخة ديغرانج، ص ٩٤، وأرسل إلى امرأة قريبة، ولكن عند حيدر الشهابي، ج ٢، ص ٢١٣، وأرسل إلى قرية قريبة وهو الأصح لأن سافورا هي قرية يسميها ياقوت (السافرية)، =

من الذخيرة تلك الليلة وعند الصباح سار بالعسكر إلى أن نفد إلى مرج ابن عامر وصعد إلى تلٍ عالٍ فكشف، أرض المرج ونظر إلى الجنرال كليبر في وسط البيدا وعساكر الإسلام به محتاطة والهجمة عليهِ من كل ناحية وليس لهم عليه استطاعة ثم نظر إلى جبلٍ بعيد وعليهِ المضارب والخيام وكان هذا اوردي[1] الغز فنزل أمير الجيوش وأفرز خمسماية مقاتل وأمرهم أن يسيروا إلى الجبل[2] ويكبسوا على الأوردي وقسم العسكر الذي بقي معه ثلثة أقسام قسمان منهم ألف والقسم الثالث خمسماية فأخذ منهم قسماً واحداً ومدفعاً واحداً وتوجه بذاته والقسم الثاني تبعهُ من بعيد والقسم الثالث الخمسماية ومعهم مدفعين أمرهم أن يسيروا إلى الحرب من الطرف الثاني إلى أن تصير العساكر المحاربين في وسطهم ٦٧-أ محتاطين بهم وحينما وصل أمير الجيوش إلى عندهم ضرب مدفعاً واحداً ثم ضرب القسم الثاني ثم الثالث وحينما سمعوا العساكر المحاربين المدافع ونظروا قدوم النجدة وعلموا أنهم صاروا في وسطهم فولوا منهزمين وللنجاة طالبين وصاروا يتراكضون في الجبال وكانت الفرنساوية يضحكون عليهم وعندما انقطع أثرهم أتى أمير الجيوش إلى عند الجنرال كليبر وتصافحا مع بعضهما بعض وتعانقا وفرحا بانهزام الأعداء وحينما كانا واقفين وإذا بالخمسماية صلدات الذين ساروا إلى الجبل راجعة بالغنايم الوافرة لأنهم كبسوا على اوردي الغز وكان فيه ماية مملوك فقط وأما باقي الغز فكانت تحارب في أرض المرج بعيد عن اورديهم مقدار ساعتين فعندما نظرت المماليك أن الفرنساوية مقبلين عليهم تركوا الأوردي وولوا منهزمين فكبسوا عليهِ الخمسماية صلدات واغتنموه وكان فيهِ ٦٧-ب خيرات كثيرة وأخذوا الخيل والجمال والخيام والأمتعة والأسلحة والملبوس وبات

= تقع إلى جانب الرملة في فلسطين. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧١، ١٧٢.

(١) أوردي: أو اوردو، أو اردي، كلمة تركية اشتقت منها الكلمة العربية عرضي، المستعملة في العربية العامة، وتعني الجيش أو المعسكر، أنظر: Barbier de Meynard, Vol. I, P. 151

(٢) ورد في نسخة ڤييت جبل اللجون، ص ٤٠، والأصح هو جبل طابور الذي يقع شرقي الناصرة.

أمير الجيوش تلك الليلة في أرض المرج وحينما يصبح الصباح أرسل خمسماية صلدات إلى قرية جَنين[1] وأمرها أن ينهبوها ويحرقوها ففعلوا كما أمرهم ثم أن أمير الجيوش أحرق تلك القرايا التي في جبل نابلس[2] لأنهم ما طلبوا منه الأمان ثم رجع إلى الناصرة وبعده حضر بالعسكر إلى تجاه عكا وقد كنا ذكرنا أن أمير الجيوش كان قد أرسل مصطفى بشير الصفدي إلى صفد وملك قلعتها وساروا الذين كانوا من قبل الجزار إلى الشام وجمع ابن عقيل[3] عسكر وحضر إلى صفد فنهبوها وحاصروا القلعة ولعلمهم بقلة الرجال بها هجموا بقوة شديدة وكانوا الذين في القلعة يضربون عليهم بالرصاص فهلك منهم عدة رجال ثم أن رجلاً من القلعة سقط من شبّاك وهجم وراء عسكر الشام وضرب البيرقدار[4] برصاص فقتلهُ وأخذ البيرق ورجع إلى القلعة وحين بلغ أمير الجيوش قدوم عسكر الشام إلى صفد آمر الجنرال ميراد أن يسير بخمسماية راكب ولما بلغ عسكر الشام قدومه رحلوا إلى جسر بنات يعقوب[5] وحين دخل الجنرال ميراد

---

(١) جنين: قرية في فلسطين (هي الآن مدينة) تقع على منحدر الهضبة التي تغلق جنوب سهل مرج بن عامر، في وسط واحة خصيبة فيها التين والزيتون.

أنظر: Robert Boulanger, Quide bleusdu moyen orient, sous la direction de Fran-çis Anbrière Paris 1965, P. 545.

(٢) جبل نابلس: هي الجبال التي تحيط بمدينة نابلس، وهما جبلان أولهما جبل (الطور) والثاني جبل شمالي يضم جبل السيت والسلمية، ويفصلهما وادي، تقع مدينة نابلس في وسطه، وهذه المدينة أسسها تيستوس عام ٧٢ ق. م، إحتلها الصليبيون عام ١١٥٢، ثم استعادها المسلمون وكانت نابلس تكن بنوع خاص عداء لممثلي السلطة العثمانية.

أنظر مقال: Fr. Buhl في Encyclopédie de l'Islam, 1ere, ed, Vol. III. P. 860-861

(٣) إبن عقيل: هو أحد أعوان الجزار، وقد أقامه الجزار متسلماً في الشام من قبله بعد خروج الفرنسيين من سورية. أنظر: حيدر الشهابي، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين ج ٢، ص ٤٠٧.

(٤) البيرقدار: هي مركب كلمتين تركية وفارسية، وتعني حرفياً (حامل العلم)، وأعطيت هذه الصفة في النظام العثماني إلى ضباط من الاقطاعيين أو النظاميين وفي هذه الحالة يكون الضابط من الفرسان، وكل ضابط إنكشاري هو بيرقدار.

راجع مقال: H. Bowen في Encyclopédie de l'Islam, 2eme ed, Vol. I P. 1169

(٥) جسر بنات يعقوب: هو جسر في فلسطين (حالياً في الأردن)، يقع إلى الجنوب من بحيرة الحولة على الطريق النهري بين دمشق وصفد وعكا، ولقد ازدادت أهمية هذا الطريق منذ عهد الصليبيين، =

صفد بلغهُ هروب عسكر الشام فتبعهم ولما وصل إلى الجسر فما وجد أحداً واعلموهُ أنهم ساروا إلى الشام وأما مصطفى بشير حضر إلى عند أمير الجيوش فترحب بهِ واكرمهُ عن فعل ذلك الرجل فأعطاهُ مايه وخمسين غرش وآمر مصطفى بشير أن يعينّ عسكر من الفلاّحين ولكل إنسان ثلثين فضة كل يوم فتوجه المذكور وعينّ جماعة وسار بهم إلى جسر بنات يعقوب لعند الجنرال ميراد فتركهم الجنرال على الجسر محافظين ورجع إلى عكا وأما الجنرال منو كان لم يزل مع الجنرال كليبر في الناصرة فبلغه أن في مدينة طبرية(١) عسكر الجزّار فأخذ ثلثماية راكب من ٦٨-ب الفرنساوية والشيخ صالح(٢) والشيخ عبّاس أولاد ضاهر العمر ولما قربوا من طبرية خرج عسكر الجزار إلى ملاقاتهم وكانوا نحو الفين مقاتل وحين تقابلا العسكران وانتشبت بينهما الحرب انكسر عسكر الجزار وولوا منهزمين وللنجاة طالبين ولحق هذا الشجاع رجل من العسكر وضربه بحسامه

= وعرف هذا الجسر منذ القديم عند الكتاب الغربيين والعرب باسم «جسر يعقوب» ويظهر أن تاريخ هذا الجسر كما هو حالياً يعود إلى القرن الخامس عشر، وإلى الجنوب منه توجد آثار قصر صليبي قديم.

راجع مقال: J. Sourdel-thomie dans encyclopédie de l'Islam, 2ere ed, Vol. II P. 569.

(١) طبرية: هي مدينة في فلسطين تقع على الضفة الغربية لبحيرة طبرية «التي تهبط عن مستوى البحر مقدار ٢٠٨م» تمتد هذه المدينة بشكل طولي، لأنها ضيقة العرض لكونها محصورة بالجبال، والمدينة قديمة جداً أنشأها هيروديت انتيباس عام ٢٦م، على شرف الامبراطور الروماني تيبروس على الأسلوب الهلستيني بمعابده وزخرفاته المعروفة، إحتلها المسلمون عام ١٣ هـ ـ ٦٣٥ م سلماً، ثم احتلها الصليبيون. وكانت مركزاً هاماً لهم، استعادها صلاح الدين الايوبي عام ١١٨٧ وأحرقها، وفي منتصف القرن الثامن عشر كانت مدينة ظاهر العمر، الذي حصنها وقد احتلها الفرنسيون عام ١٧٩٩.

أنظر مقال Fr. Buhl dans encyclopédie de l'Islam, 1ereed. Vol. IV, P. 609-611

(٢) الشيخ صالح: هو أحد أولاد ظاهر العمر يسميه الصباغ الأعور، لم يلعب دوراً هاماً في حياة والده، وقد ذهب إلى استنبول مع حسن باشا بعد وفاة والده. ثم عاد إلى بلاده، وأعطاه الفرنسيون ولاية بلاد صفد. أنظر: مخائيل الصباغ، تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني، ص ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠. أنظر: مخطوطة حوادث الزمان في جبل لبنان، المكتبة الظاهرية، رقمها ٤٧٢٤، ورقة ١٠٠ ـ آ

ارماه شطرين وقتل منهم أوفر من مايتين ورجع الجنرال ميراد إلى طبرية فوجد بها حواصل حنطة وشعير ودرا ما ينوف عن ألفين غرارة[١] فأرسل أعلم بها أمير الجيوش فرجع الجواب أن يطحنهم ويرسلهم إلى العسكر وفي شهر شوال الموافق لشهر أدار تباين الطاعون[٢] في العساكر الفرنساوية وكانت عليهم أعظم بلية ومات منهم خلقٌ وافر وكانت الحروب قايمة على مدينة عكا الليل والنهار وهمْ يهجمون على الأسوار والكلل والقنابر عليهم مثل سيل الأمطار وقد اهلكوا من العساكر الإسلامية [٦٩-آ] والإنكليزية خلقاً لا يُحصى لما كانوا يخرجوا إلى محاربتهم وقد هدموا أبراج وأسوار عكا من ضرب المدافع والقنابر وهيجان العسكر ولما نظر الجزار هدم البروج والأسوار فبدا يقيم حيطانها من الأزقة والشوارع وخرق البيوت والمنازل إلى بعضها البعض وجعل لها منافذ خوفاً من هجوم الفرنساوية لما شاهد من جسارتهم القوية وكانت الفرنساوية لم تكل عن الهجمات على الأسوار والوصول إلى الجدار ولم يبالوا بذلك العمار ولا يخشوا قصر الأعمار وهلاكهم في هذه الديار بل هامين إلى العز والإنتصار وقهر أحمد باشا الجزار وتملكهم على هذه الأقطار وإذ كان اعداهم الإنكليز الذين قد أهلكوا عمارتهم على البواغيظ وأسعف عليهم ذلك العزيز والقاهم في تيّار التغلب والتعجيز فلذلك أظهرت الفرنساوية أنواع العجايب في هذه المعامع [٦٩-ب] والمواقع التي تذكر جيلاً بعد جيل إذ لم يكن لها مثيل وقد مات في هذه المواقع الجنرال كفريل[٣] المهندس الكبير والعالم الخبير والشهم الشهير لأن هذا البطل

---

(١) غرارة: الغرارة هي وعاء من الخيش يوضع فيه القمح ونحوه، وهو أكبر من الجولاق، تجمع الكلمة على شكل (غرائر)، والمعروف في بلاد الشام أن الغرارة ليست مجرد وعاء بل هي أيضاً كيل كانوا يتعاملون به إلى عهد قريب، ويعادل ٨٠ مداً ويعتقد أن الغرار أكبر من الجولاق، والمدّ يتراوح ما بين ٤٠٠ ـ ٧٠٠ غرام.
أنظر: Dozy, Vol. II, P. 204

(٢) الواقع أن الطاعون ظهر في الجيش الفرنسي بعد احتلال يافا وأقيم للمصابين محجر في دير يوناني بتاريخ ١١ آذار ١٧٩٩، ولكن الإصابات ازدادت أثناء حصار عكا.
أنظر: Description de l'Egypte, Vol. XIII, P. 81

(٣) كفريل: مات الجنرال كفاريللي في ٢٧ نيسان ١٧٩٩، بعد أن أمض ١٨ يوماً من العذاب والعمل =

المهول قد تقرر عند القول أنه كان برجلٍ واحدة والأخرى كان مُلبّسها خشب وكانت أهل مصر تدعيه الجنرال أبو خشبة فهذا المذكور أصابته كلّة في كتفه وأخذت الجرايحية يداوونه فسألهم هل الجرح يطول ليبرا فأجابوه أنه يحتاج إلى مدة طويلة وأما إذا قطعت اليد من الكتف فبروهُ قريب فأجابهم اقطعوا يدي ودعوني أنهض إلى تكميل خدمة المشيخة ثم قطعوا يده من كتفهِ وإذ كان هذا الجنرال لا يمكنهُ الكنون والسكون حتى يختم جرحه طفف يدور على المتاريس ليدبّر الطبجية ويدلهم على الأماكن التي تضرب عليها المدافع والقنابر فمن الشمس والهوا ورم عليه جرحه ومات وعدمت المشيخة مهندساً عظيماً ومدبراً علياً وفي هذه المواقع مات الجنرال بون[1] فهذا البطل تعلّق على السور وحدف البرنيطة إلى داخل البلد وكان من الشجعان الشداد وقد ارتعشت عساكر عكا ذلك النهار من فعل ذلك البطل المغوار وبقوا يضعون اللحف بالزيت والقطران ويحدفوها على الأسوار بعد ما يشعلوها بالنار ويضربوهم بالمدافع والقنابر الكبار وهم لا ينكفوا عن طلوع الأسوار والرصاص عليهم مثل سيل الأمطار ويرموهم أيضاً من الأسطحة بالحجار الكبار وهذا الجنرال أصابته حجر في رأسه وهو متعلق على السور فسقط وحملوهُ يالعسكر ومات وشرب شراب الآفات[2]. ثم بعد هجماتٍ كثيرة وحروبٍ خطيرة وتعبٍ شديد وهولٍ مكيد[3] عزم أمير

= الشاق، وكان موته بسبب إصابة يده بشظية قنبلة.

أنظر: Deherain, histoire, Vol. V,P. 421. ef. de la Janquière, l'expédition d'Egypte, Vol. IV, P. 515-527.

(١) أصيب الجنرال بون بقنبلة في أسفل بطنه، ومات في اليوم الأول من إنسحاب الجيش الفرنسي بتاريخ ٢١ أيار ١٧٩٩.

أنظر: De la Jonquière, Vol. IV, P. 595

(٢) تذكر نسخة ڤييت، ص ٤٥ ما يلي: «مات ترجمان أمير الجيوش الكبير وكان اسمه منتوره وكان المذكور يفهم اللغة العربية وساير اللغات». الواقع أن السيد منتوره هو السيد فانتوري دي بارادي، الذي توفي أثناء حصار عكا، إثر إصابته بالديزنتيريا في ١٦ أيار ١٧٩٩. انظر de la Janquière, Ibid, P. .595

(٣) يقول الجبرتي في هذا الصدد «ولم يأتِ خبر صحيح عن فرنسيس الشام وما جرى لهم أو عليهم إلا =

الجيوش على القيام عن مدينة عكا العسيرة لعلة خطيرة وأسبابٍ كثيرة وهو أنه أولاً ورد مركب صغير من بلاد خراسان[1] إلى الأسكندرية وفيهِ رجل من مدينة باريز ومعهُ مكاتيب إلى بونابارته ٧٠-ب من بعض رؤساء المشيخة المحبين له يخبروهُ أن رؤسا المشيخة أرفاقه الكبار مخامرين عليه وقد منعوا عنهُ الإمداد ليهلك في هذه البلاد وأيضاً أن الإنكليز قد أخذت منهم كلما اكتسبوه من الأقاليم وهيَّجوا ملوك الافرنج عليهم وإن لم يحضر إليهم سريع والاَّ يذهب تعبهم ويضيع فهذه المكاتيب التي حضرت من بعض رؤسا المشيخة وأيضاً أتتهم الأخبار أن العمارة العثمانية العظيمة قد تجهزت وقريباً تصل إلى الديار المصرية وسر عسكرها مصطفى باشا كوسا[2] وأيضاً أتتهم الأخبار أن العمارة المسكوبية حاصرت جزيرة كورفو من أعمال البندقية وقد خرجت منها الفرنساوية ولما علم أمير الجيوش بتلك الأخبار وأن العالم كلهُ نهض ضده وأنه صار مضطراً أن يحارب جميع المسكونة بهذا الجيش القليل وقلب ذلك البطل الشديد ٧١-آ أقوى من الحديد فما أراعتهُ الأهوال ولا اعتراهُ الإنذهال ولا تغيَّرت منهُ الأحوال ولا التوى عنانه ولا تزعزع جنانه بل أخفى الكمد وأظهر الجلد ثم أرسل أحضر الجنرال كليبر من الناصرة وأمره أن يهجم على المدينة الهجمة الآخرة[3] فعند ذلك نهض هذا

= تكرار هجومهم على حصن عكا ولم يتركوا من حيلهم ومكايدهم شيئاً إلا فعلوه ولم ينالوا غرضاً منها». أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٧٠.

(١) إن المؤلف يقصد في كلمة خراسان، جزيرة كورسيكا، والذي افترض أن الأخبار قد جاءت لنابليون منها، ولأن كورسيكا يسميها العرب والاتراك (كورسيقية)، تحولت عند الترك إلى خراسان. أنظر: ديغرانج، ص ٢٨٥.

(٢) مصطفى باشا كوسا: هو حسين مصطفى باشا، والي الأناضول وساري عسكر الروملي، وهو إبن عم سفير تركيا في باريس أحمد علي أفندي، وتولى قيادة الجيش الذي نزل في أبو قير عام ١٧٩٩، ووقع أسيراً في يد الفرنسيين بعد معركة أضاع فيها أكثرية جيشه، وتوفي في مصر بتاريخ ٢٨ حزيران ١٨٠٠، في قرية الجيزة:

أنظر: M.G. Daressy, Moustapha Pacha le prisonnier d'Aboukir, B.I.E., Vol. XI, P. 69-70

(٣) حدثت الهجمة الاخيرة على أسوار عكا في ١٠ أيار ١٧٩٩ ولكن لم ينجح الفرنسيون في اقتحام المدينة، لذا قرر نابليون الإنسحاب عن عكا في مساء ذلك اليوم.

البطل المذكور وأظهر حربه المشهور وقرع طبول الحرب وتقدم إلى الكون والضرب وكان يوماً أعظم الأيام وحرب يشيب منهُ رأس الغلام وهاج ذلك الجنرال هيجان الأسد الأذرع الذي لا يهاب الموت ولا منهُ يفزع واندفقت عليهم الكلل والقنابر براً وبحراً على هولا العساكر اندفاق البحور الزواخر واتقدت عليهم النيران وأظلم الجو من كثرة الدخان واستدت المسامع من أصوات المدافع واشتدت المعامع وقفزت الفرنساوية الأسوار ودخلوا إلى الجامع قوةً واقتدار وكانت ساعةً من ساعات القيامة [٧١-ب] وحرباً لم يكن فيه سلامة ويوم غريب الأحوال شديد الأهوال عظم الوبال تشيب من هولِه الأطفال وترتعب من ذكرِهِ صناديد الرجال وتبادرت العساكر الذين في المدينة والمراكب التي في المينا بالحراقات والنيران بالزيت والقطران وجادوا بالكلل والرصاص والقنابر والقواص وبالتضجيج العظيم والصراخ الذميم وارتدت الفرنساوية بحمية عن ذلك الشر والنكد بعدما كانوا دخلوا البلد وخطفوا طاسات النحاس الأصفر من سبيل الجامع المشتهر وخرجوا من المدينة كاسبين وبقي منهم في الجامع ماية وعشرين وكانوا قد انشغلوا في القتال إلى أن حالت عليهم الرجال وبدوا يحاربون وعن أرواحهم يدافعون فتاركمت عليهم العساكر كالبحور الزواخر وقد أيقنوا بالموت والإقتناص وفرع بارودهم والرصاص [٧٢-أ] وعند ذلك بادر إليهم الكومنضا(١) سميث ساري عسكر الإنكليز وطفق يكلمهم بالفرنسية كلامٌ حريز وأن المشيخة ما أرسلوا ريسكم إلى هذه المهالك إلا ليرموه في بحر المهالك وها نحن رابطين عليكم البواغيظ ولا ندع يجبيكم(٢) لا كثير ولا وجيز وقد بقيتم مسجونين في هذه البلاد ولنقطع عنكم الإسعاف والإمداد وجميع المهالك ضدكم مجاهدين على عدمكم فكفاكم تهلكوا نفوسكم وتطيعون هوى ريسكم

= أنظر: Deherain, histoire, Vol. V, P. 422.

(١) الكومنضا: جمعها كومنضات أو كومنضانية، تحوير للكلمة الفرنسية Commandant أي مقدم في الجيش.

أنظر: Barbier de Meynard, Volo. II, P. 222

(٢) الصحيح يُجديكم.

فاطلبوا الإقالة من هذه الحروب والخلاص من هذه المصايب والخطوب ونحن نضمن لكم الوصول بالسلام والأمان إلى أرضكم والأوطان(١) ولما سمعوا ذلك الكلام سلموا له(٢) وأخذهم بأمان وأما أمير الجيوش حين نظر أن ليس في ذلك الحرب محصول والدخول إلى عكا بعيد الوصول وقد فهم أن ٧٢-ب الصلدات صاروا ينفرون من الهجوم والمصادرة ويطلبون الرجوع إلى القاهرة وان قد مات ثلثة الاف وخمسماية صلدات على أصوار عكا ومات في الطاعون وعلى الطرقات ما ينوف عن ألف صلدات ومع تلك المخاوف التي قضوها والبلايا التي ذاقوها وهم لم يزالوا في طاعة غيبة ومحبة عجيبة إلى أمير الجيوش إذ كان عندهم كالاله يخضعون إلى أمره ويصبرون على مره وحسره ملازمين على حمده وشكره(٣) وفي أحد عشر يوم من ذي الحجة سنة ١٢١٣ أمر أمير الجيوش بالقيام بجميع المضارب والخيام وانتقل إلى مدينة حيفا وكان فيها عدة حواصل قطن إلى الجزار فأمر بحرق الجميع ومن هناك ساروا إلى مدينة يافا فأخذوا ما كان لهم من الأمتعة والمدافع الكبار ودفنوها في الرمال وقد كانوا آخذين من العساكر العثمانية أربعة الاف بندقية فأرموها في البحر وأحرقوا المراكب التي كانوا أخذوها من الإسلام وأخذوا الذين ٧٣-أ فيها أسارى وكانوا نحو ثلثماية نفر فأصر أمير الجيوش أن يصنعوا أخشاباً كالنعوش ويضعوا عليها المجرحين والمشوشين وكل أربع أنفار من هولا المأسورين يحملوا على أكتافهم خشبة ويمشوا أمام

(١) حول النص الحقيقى لرسالة سدني سميث. راجع:

F. Charles - Roux, l'angleterre et l'expédition française Vol. I, P. 213, Vol. II, P. 20

Deherain, histoire, Vol. V, PP. 423, 424

Jonquière, de la, Vol, IV, P. 529

(٢) لقد قتل جميع الفرنسيين الذين دخلوا إلى عكا ولم يستسلم أحد منهم للانكليز.
أنظر: Déherain, histoire Vol. V, P 417

(٣) ليس صحيحاً هذا القول، لأنه قد حصلت حركة تمرد بين صفوف عساكر الجيش الفرنسي، إذ رفضت فرقة منهم الهجوم على أسوار عكا، عندما أمرها القائد العام بذلك.
أنظر: H. D. Estre, Bonaparte en Egypte ou le mirage oriental, (Paris 1946) P. 309

العسكر وقبضوا على السيد يحي مفتي مدينة يافا وأربعة أنفار من التجار وأخذهم صحبته ونهض من مدينة يافا إلى غزة وكان الجنرال القايم بها قبض على خمسة أنفار من التجار في البلد وطلب منهم جانب من المال ثم سار أمير الجيوش إلى قلعة العريش وهناك وضع المشوشين والمجروحين وأمر الجنرال كليبر أن يسرى(١) على قطية بعساكره إلى مدينة دمياط وسار أمير الجيوش بباقي العسكر إلى مدينة القاهرة وأمامه أوليك الأسرى ماشيين فوصل إلى العادلة(٢) بالقرب من مدينة بلبيس وأرسل أخبر القايمقام الجنرال دوكا بقدومه فخرج المشار إليه من شيخ البلد وساير الجنرالية -٧٣- والعساكر وعلما البلد والحكام والأعيان وأرباب الديوان والأوجاقات وأقلبوا عليه وهنوهُ بقدومه(٣) وبعد الجلوس قال لهم لقد بلغني أن بعض المفسدين والأعدا الكاذبين قد أشاعوا عني الأخبار أنني قد مُت(٤) في تلك الديار فامعنوا النظر بي لتحققوا الخبر وانظروا هل أن بونابارته مات أم بعده في الحيوة وقولوا للمفسدين لا يتأملوا بهذا الأمل بونابارته قد جاء سالماً غانماً بإذن المالك العزيز ولم يمت حتى يدوس جميع الممالك فأجابوه لا بأس على أمير الجيوش لقد كذب كل من قال أطال الله لنا بقاك ولا شمت بن أعداك وجعلنا من الدنيا فداك وبالحقيقة كانت شاعت عنهُ تلك الأخبار وفرحت أهل تلك الديار ثم دخل مصر بموكب شهير(٥) ورآهُ الكبير والصغير

---

(١) الصحيح يسير.

(٢) هي العادلية، عبارة عن مكان بالعباسية من ضواحي القاهرة بنى فيه الملك العادل السلطان طومان باي(١٥١٦ - ١٥١٧) جامعاً وجعله مدرسة أيضاً. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ٥، ص ٤٤.

(٣) إستمرت الحملة على سورية ٩٦ يوماً، خصص منها ٦٠ يوماً لحصار عكا، ومن بين الـ ١٣ ألف رجل الذين رحلوا إلى سورية مع نابليون عاد فقط ٩ آلاف، بتاريخ ١٤ حزيران ١٧٩٩.
أنظر: F. Charles - Roux, Bonaparte gouverneur d'Egypte PP. 283-284

(٤) أخبر الجنرال دوكا نابليون، بانتشار إشاعة موته في القاهرة، بسبب انقطاع أخبار الجيش الفرنسي عن مصر.
أنظر: F. Charles-Roux, Bonaparte gouverneur d'Egypte, P. 282.
وقد أورد الجبرتي في كتابه هذه الإشاعة. أنظر: عجائب الآثار، ج ٣، ص ٧٢

(٥) حول دخول نابليون القاهرة على هذا النحو راجع:

ومشت أمامه جميع العساكر الفرنساوية وحكام ٧٤-أ وأعيان وعلما واغاوات مدينة مصر المحمية ودخل من باب النصر بالعز والنصر نهار الجمعة عاشر يوم من شهر محرم الحرام افتتاح سنة ١٢١٤ وكان يوماً عظيماً وموكباً جسيماً وحينما ولج بمنزله الكاين على بركة اليزبكية كتب فرماناً باللغة الفرنساوية وأرسله إلى ديوان العلما وأمرهم أن يترجموه إلى اللغة العربية خطاباً من علما الديوان إلى ساير الأقاليم المصرية ويطبعوهُ في اللغة العربية ويعلقوهُ على شوارع القاهرة ويفرقوه على جميع الأقاليم العامرة.

وهذه صورة ذلك الفرمان(١)

من محفل الديوان الخصوصي بمصر المحروسة خطاباً إلى أقاليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقبليوبية والجيزة والبحرية النصيحة من الإيمان قال الله تعالى في مُحكم القران فلا تتبعوا خطوات الشيطان(٢) وقال الله تعالى لا تطيعوا أمر المسرفين الذي يفسدون في الأرض ولا يصلحون(٣) فعلى العاقل أن يدبر الأمور قبل وقوع المحذور ٧٤-ب نخبركم يا معشر المؤمنين أنكم لا تسمعوا كلام الكذابين فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وقد حضر إلى محروسة مصر المحمية أمير الجيوش الفرنساوية حضرة بونابارته محب الملة المحمدية ونزل بعسكرٍ في العادلية سليماً من العطب والأسقام شاكراً لله موحداً للملك العلام ودخل إلى مصر من باب النصر يوم الجمعة عاشر محرم سنة ١٢١٤ من هجرته عليه السلام في موكب كبير عظيم بشنك جليل فخيم وعسكر كثير جسيم وصحبته

= F. Charles - Roux, Bonaparte gouverneur d'Egypte, P. 284.

الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٦٩، ٧٠

(١) لقد أورد الجبرتي، هذا الفرمان بشكل مختلف في أسلوبه عن الترك، ولكنه يشابهه في المعنى، أنظر: عجائب الآثار، ج ٣، ص ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣.

(٢) سورة البقرة.

(٣) سورة الشعرا.

العلما الأزهرية[١] والسادات البكرية[٢] والعنانية[٣] والدامورشية[٤] والخضوية[٥] والأحمدية[٦] والرافعية[٧] والقادرية[٨] والأوجاقات السبعية السلطانية وأرباب الأقلام الديوانية وأعيان التجار المصرية وكان يوماً مشهوراً عظيماً لم يقع نظيره في المواكب السابقة قديماً وخرجت سكان مصر جميعاً لملاقاته فوجدوه هو الأمير الأول بونابارته بذاته وصفاته وأظهر لهم أن الناس يكذبون ٧٥-أ عليه وشرح الله صدره للإسلام ونظر الله بعين لطفه إليه والذين أشاعوا عنه هذه الأخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغز الهاربة ومرادهم بهذه الإشاعة هلاك الرعية وتدمير أهل الملة الإسلامية وتعطيل الأموال الديوانية ولا يحبون راحة العباد قد أزال الله دولتهم من شدة ظلمهم وقد بلغنا أن الألفي[٩] توجه إلى الشرقية مع بعض المجرمين من العربان والقبايل الفُجرة المفسدين يسعون في الأرض بالفساد وينهبون أموال المسلمين أن ربك بالمرصاد ويزوّرون على

(١) العلماء الأزهرية: هم مشايخ الأزهر أو المدرسون فيه.

(٢) السادات البكرية: إحدى الطرق الصوفية الموجودة في مصر.

(٣) العنانية: إحدى الطرق الصوفية المحلية في مصر.

(٤) الدامورشية: إحدى الطرق الصوفية المحلية في مصر.

(٥) الخضوية: إحدى الطرق الصوفية المحلية في مصر.

(٦) الأحمدية: إحدى الطرق الصوفية، نسبة إلى أحمد بن علي إبن إبراهيم الحسيني أبو العباس البدوي المتصوف، المولود عام ٥٩٦ هـ - ١١٩٦ - ١٢٠٠ والمتوفي في طنطا عام ٦٧٥ هـ - ١٢٧٦م، أنظر: الزركلي، معجم الإعلام، ج ١، ص ١٧٠.

(٧) الرافعية: إحدى الطرق الصوفية، نسبة إلى أحمد بن علي بن يحيي الرفاعي الحسيني، أبو العباس، المولود في قرية حسن من أعمال واسط بالعراق عام ٥١٢ هـ - ١١١٨ م والمتوفي عام ٥١٧ هـ - ١١٨٢ م. أنظر: الزركلي· المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٩.

(٨) القادرية: إحدى الطرق الصوفية، نسبةً إلى عبد القادر الجيلاني المولود في جيلان وراء طبرستان عام ٤٧١ هـ - ١٠٧٨ م والمتوفي عام ٥٦١ هـ - ١١٦٦ م، وهو من كبار الزهاد والمتصوفين، إنظر: الزركلي المصدر السابق، ج ٤، ص ١٧١.

(٩) المقصود محمد بيك الالفي الذي حارب الفرنسيين واستمر طيلة وجودهم في مصر ينتقل في جهات القبلية والبحرية، محرضاً الفلاحين والعربان وقد اشترك في ثورة القاهرة الثانية، كما لم يتفق مع مراد بيك بعد صلحه مع الجنرال كليبر. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٤٨، ٥٦، ٧٠، ٩١، ٩٤، ٩٧.

الفلاحين مكاتيب كاذبة ويدعون أن عساكر السلطان حاضرة والحال ليس لها تحضير فلا أصل لهذا الخبر ولا صحة لهُ ولا أثر وإنما مرادهم وقوع الناس في الهلاك والضرر مثلما كان يفعل ابراهيم بيك في غزة حين كان يرسل فرمانات بالكذب والبهتان ويدّعي أنها من طرف السلطان ويصدقوه أهل الأرياف [٧٥-ب] خُسفا العقول ولا يعتبرون بالعواقب فيقعون في المصايب وأهل الصعيد طردوا الغز من بلادهم خوفاً على نفسهم وهلاك أعيالهم وأولادهم فإن المجرم يؤخذ من الجيران وقد غضب الله على الظلمة ونعوذ بالله من غضب الديان فكانوا أهل الصعيد أحسن عقولاً من أهل البحري بسبب هذا الرأي السديد ونخبركم أن أحمد باشا الجزار سموهُ بهذا الإسم كثرة قتله الأنفس ولا يفرق بين الأخيار والأشرار وقد جمع جمع طموش كثيرة من عساكر العثمانية ومن الغز والعرب وأسافل العريش وكان مراده الإستيلاء على مصر وإقليمها وأحبوا اجتماعهم عليه لأخذ أموالها وهتك حريمها ولكن لم تساعده الأقدار والله يفعل ما يشا ويختار والطافه خفية والكلام على صفو النية وقد كان أرسل بعض هذه العساكر إلى قلعة العريش ومراده يصل إلى قطية فتوجه ساري عسكر أمير الجيوش بونابارته [٧٦-أ] وكسر عساكر الجزار الذين كانوا في العريش ونادوا الفرار الفرار بعد ما حل بأكثرهم القتل والدمار وكانوا نحو ثلثين ألف وملك قلعة العريش وأخذوا ما فيها من ذخاير الجزار بلا خلاف ثم توجه السر عسكر إلى غزة فهرب من كان فيها من عسكر الجزار وفروا منهُ كما يفر من الهرة العصفور ولما دخل قلعة غزة نادى في رعيتها بالأمان وأمر بإقامة العشاير[1] الإسلامية وإكرام العلما والتجار والأعيان ثم انتقل إلى الرملة وأخذ ما فيها من ذخاير الجزار من بقسماط ورز وشعير وقُرَب أكثر من الفين قربة عظام كبار كان جهزها الجزار لذهابه إلى مصر ولكن لم تساعده الأقدار ثم توجه إلى يافا وحاصرها ثلثة أيام ثم أخذها وأخذ ما فيها من ذخاير الجزار بالتمام ولنحوسة أهلها أنهم لم يرضوا بأمانه ولم

(١) الصحيح الشعائر.

يدخلوا تحت ٧٦-ب طاعته وسلطانه وشمول احسانه فدوَّر فيهم ضرب السيف من شدة غيظه وقوة سلطانه وقتل منهم نحو أربعة آلاف ويزيد بعد ما هدم سورها بفعل الله الذي يقول للشيء كن فيكون وأكرم من كان فيها من أهالي مصر وأطعمهم وكساهم وأنزلهم في المراكب وغفَّرهم بعساكر خوفاً من العربان وأجزل عطاياه وكان في يافا نحو خمسة آلاف من عسكر الجزار فهلكوا جميعاً وبعضهم ما غاطاهم إلاَّ الفرار ثم توجه من يافا إلى جبل نابلوس فكسر من كان فيه من العساكر بمكان يقال لهُ قاقون وحرق خمسة قرايا من بلادها وما قدّرهُ سبحانُه فيكون ثم أخرب سور عكا وهدم قلعة الجزار التي كانت حصينة ولم يبقَ فيها حجر على حجر حتى أنهُ كان قد بنا حصاراتها وشيّد أسوارها في نحو عشرين سنة وظلم في بنايها عباد الله وكذا عاقبة الظالمين ولما توجهت اليه أهل بلاد الجزار من كل ناحية كسرهم كسرة شنيعة فهل ترى لهم من باقية ونزل عليهم صاعقة من ٧٧-أ السما فان قال أهل الشام كما قلنا ثم توجه راجعاً إلى مصر المحروسة لأجل سببين الأول أنهُ أوعدنا برجوعه الينا بأربعة أشهر والوعد عند الحردين والسبب الثاني أنهُ بلغهُ أن بعض المفسدين من الفز والعربان يحركون في غيابه الفتن والشرور في بعض الأقاليم والبلدان-فلما حضر سكنت الفتن وزالت الشرور مثل زوال الغيم عند شروق الشمس وسط النهار فإن همته العلية وأخلاقه المرضية متوجهة في البكرة والعشبة لا- زالت الفجور والشرور من الرعية وجد لمصر وإقليمها شي عجيب ورغبته في الخير لأهلها ونيلها وزرعها بفكرة وتدبيره العجيب يحب الخير لأهل الخير والطاعة ويرغب أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة ولما حضر من الشام أحضر معهُ جملة أسارى من خاص وعام وجملة مدافع وبيارق اغتنمها في الحروب من الأعدا الأخصام فالويل ثم الويل لمن عاداه والخير ثم الخير لمن والاه ٧٧-ب فسلموا يا عباد الله لقضا الله وارضوا بتقدير الله فان الأرض لله واقتبلوا أحكام الله فإن الملك لله يوتيه لمن يشا من عبادِه هذا هو الإيمان بالله ولا تسعوا في سفك دماكم وهتك أعيالكم ولا تسببوا في قتل أولادكم ونهب أموالكم ولا تقولوا في الفتنة أعلا

كلمة حاشا الله لم يكن فيها إلا الخذلان وقتل الأنفس وذل أمة النبي عليه السلام والغز والعربان يطغوكم ويغروكم لأجل أن ينهبوكم إذا كانوا في بلد وقدمت عليهم الفرنساوية فروا هاربين منهم كأنهم جنود إبليس ولما حضر الساري عسكر إلى مصر أخبر أهل الديوان من خاص وعام أنه يحب دين الإسلام ويعظّم النبي عليهِ السلام ويحترم القران ويقرى بهِ كل يوم باتّقان وأمر باقامة شعاير المساجد واجرا خيرات الأوقاف السلطانيـة[1] وسلّم عوايـد ٧٨-أ الاوجافية وسعى في حصول أقوات الرعية فانظروا هذه الألطاف والمزية ببركة نبيّنا أشرف البرية وأوعدنا بأمرين عظيمين في الإسلام أنه يبني لنا مسجداً عظيماً بمصر لا نظير لهُ في الأقطار وأنه يدخل في دين النبي المختار عليهِ أفضل الصلوة والسلام ختام ثم وضعوا إمضاهم كما مذكور قبل وهم العلما المصرية والاغاوات والأعيان الأوجاقية[2] وقد طبع هذا الفرمان ووزعهُ على الاقاليم المصرية وكان ما ذكرهُ في هذا الفرمان عنه قصده لتهذيب أخلاقهم وتليين أعناقهم وترقيد الفتن والمشاجرات وعدم المناكرات إذ كان عارفاً ما يورد عليهم من الحادثات وأنهُ مضطر إلى الرحيل لِما قد بلغهُ عن قيام المالك وإنهُ سيترك الفرنساوية بمصر بكل ضيق وحصر فلذلك كان يود المسلمين ويظهر لهم الحب اليقين ويشهد لهم بحسن الدين وانهُ وإياهم على الحق المبين وهم ٧٨-ب كانوا لهذا الكلام غير محققين وأن كل ذلك خداعٌ ونفاق وابتداعٌ فكانوا غير مطمأنين لهذا وهو غير فاتر عن مسالمتهم وجذب قلوبهم وموانستهم وكان يباحثهم بأمور الدين ويريهم أنه على الحق اليقين وكان مملواً من الحكمة والعلوم وقيل أنهُ كان يعلم بأمور القلم الفلكي إذ أنهُ كان يتفوه بأمور تحدث في ميقاتها قبل زمانها وأوقاتها ويقول هو المنصوص على ظهره فلا ينتظروا أحداً

---

(١) حول سياسة نابوليون الإسلامية راجع: M. Moussa, Matti
Napoléon's islamic policy in Egypte, Index Islamicus, Vol. XV. 10, 1966 PP. 116

(٢) حول هذا الفرمان، باسلوبه الغريب
أنظر: De la Jonquière..Vol. IV, P. 136, 139.

بعده وهو الذي يملأ الأرض عدلاً وقد صدّق كثيرون منهم أنه هو المهدي(١) ولم تتغيَّر عليهم سوى الملابس الإفرنجية فلو جآء بالفرجية(٢) لامنت بهِ الرعية وقد كنا ذكرنا كلما جرى للفرنساوية في ابتدا دخولهم إلى الديار المصرية في نصف شهر محرَّم افتتاح سنة ١٢١٤ وما قضوا من المكافحات والجهاد والشرور والفساد وقد مات منهم جمع غفير وكابدوا تعباً كثير وأعداهم الإنكليز رابطين عليهم البواغيظ ونفور البلاد العربية وعدم ميلهم عليهم ووصول الأذية اليهم لأن أهالي البلاد قتلوا منهم أناساً كثيرين بالإنفراد وكانوا يدخلونهم إلى منازلهم بالأمان ويقتلونهم ويخفونهم وكانت الفرنساوية قلوبهم مطمانة من قبل الإسلام ولا ينقلون السلاح إلاَّ في وقت الحرب والكفاح وكانت نسآء مصر وخوارجها كثيرة فكانوا يأخذون الفرنساوية إلى منازلهم إلـزاماً ويقتلونهم ويرمونهم في الأبيار ويخفون منهم الآثار وقد فقد منهم كثيرون بهذه الوسايط والأنكاد ووقع كثير منهم في علة الجدام(٣) من ذلك الفساد وذلك المرض وجوده كثير في تلك البلاد وقد مات من الفرنساوية من ابتدا دخولهم إلى الديار المصرية إلى حين رجوعهم من الديار الشامية ما ينوف عن خمسة عشر ألفاً وقل عددهم ولكن لم يضعف جلدهم وكانوا مع كل تلك الأحوال والبلا

---

(١) المهدي: تعني الكلمة (قائد) وهو أحد ألقاب محمد المهدي الإمام الثاني عشر من سلالة علي بن أبي طالب.
أنظر: D'hosson, Vol. I, P. 267

(٢) الفرجية: كلمة عربية من فراجة، وهي ثياب داخلية ذات أكمام طويلة والفرجية المصرية عبارة عن لباس شتوي من قماش قرمزي أو ألوان أخرى أما الفرجية التركية فهي عبارة عن معطف أسود مزين بالانغورا ويلبس في الفصول الحارة، ويلبس العلماء في الشتاء الفرجية المزينة بالفرو، ويعطى الإسم أيضاً للمعطف الطويل الذي ترتديه النساء المحافظات فوق لباسهم العادي.
أنظر: Barbier de Meynard, Vol. II, P. 405
ويقول المبارك الفرجية هي لباس المشايخ، وهي معطف له كمان واسعان، ويكون من الجوخ أو من قماش آخر. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ٤، ص ٣٩.

(٣) إعتمد المماليك على الأمراض التي قد تصيب الفرنسيين وتجبرهم على ترك مصر والرجوع إلى فرنسا لتخلو لهم البلاد.
أنظر: Deherain, histoire, Vol.V,P. 260.

والنكال ما ازدادوا إلاّ قوة وباس وصعوبة ومراس .وحسن الشيئم والعطا والكرم وكثر في زمانهم في تلك الأقاليم الرخص والخير العميم[1] وعدم الظلم والعدوان وإظهار العدل والأمان وكان بعد رجوع أمير الجيوش إلى مصر قد هرب القاضي وترك أعياله في البلد[2] فأمر أن يرفعوا ولده إلى القلعة[3] ويختموا على جميع أرزاقه فاجتمعت العلما وأرباب الديوان وكتبوا عرض حال يترجوا أمير الجيوش بذلك الحال وطلق ولده من القلعة ورفع الضبط عن المال والعيال فقبل سوالهم ورثي لحالهم وأطلق الولد بشرط أن لا يقيم في البلد وصرّفه في ماله وأعياله ثم أنهُ أحضر شيخ العريش وألبسهُ فرواً فاخراً ثميناً وأقامهُ قاضياً أميناً[4] وفي شهر محرَّم الحرام سنة ١٢١٤ ظهر في أرض البحيرة عند دمنهور رجل مغربي وقيل أنه ابن سلطان الغرب[5] فجمع من المغاربة والهوَّارة

---

(١) يعارض الجبرتي الترك في هذا القول إذ يصف الحالة الإقتصادية قائلاً: «كساد غالب البضائع وغلوها وانقطاع الأخبار ومنع الجالب ووقف الانكليز في البحر وشدة حجزهم على الصادر والوارد، وانقطع كثير من أرباب الصنايع عن عملهم واحتاجوا التكسب بالحرف الدنيئة». أنظر: عجائب الآثار، ج ٣، ص ٤٣.

(٢) هرب القاضي العثماني من مصر مع أمير الحاج، بعد خروج نابليون في حملته على سورية. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٧٣.

(٣) يدعى ولد القاضي ملازداه، وقد كان الجنرال دوكاً قد عينه في منصب أبيه، فلما عادّ نابليون لم يرق له ذلك فأمر بالقبض على ملازاده واعتقله وعزله من منصبه، إعتقاداً منه بأن عزله وتعيين قاضياً مصرياً سوف يسعد الشعب، إلا أن ما حدث كان عكس ما اعتقد، إذ طالب أعضاء الديوان بإطلاق سراح إبن القاضي التركي. أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٧٢.
أنظر أيضاً: F. Charles - Roux, Bonaparte gouverneur d'Egypte P. 305

(٤) حول تعيين العريشي قاضي القضاة في مصر، أنظر: الجبرتي المصدر السابق، ج ٣، ص ٧٢، ٧٣. وللتوسع حول ترجمة الشيخ العريشي راجع نفس المصدر ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧.

(٥) وأحمد المهدي من درنة بطرابلس الغرب، أثار الإضطرابات ضد الفرنسيين في منطقة دمنهور، واستجاب له بدو وفلاحون البحيرة، وأعلنوا الجهاد المقدس ضد الفرنسيين، وفي ٩ أيار ١٧٩٩، قام الجنرالان لانوس ولوفيفر، وبعثرا جمع المغاربة أتباع المهدي، إلا أن المهدي لم يقع في أيدي الفرنسيين، Bonate
أنظر: F. Charles - Roux op eit, PP. 296-297
أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٥٧.
أنظر: Deherain, histoire, Vol. V, P. 436 =

والعربان والفلاحين جمعاً غَزِيراً وقطع الطرقات فبلغ خبره إلى حاكم الإسكندرية[1] فأرسل إليه شرذمة من عسكر الفرنساوية وكبسوا عليهِ وانتشر بينهم القتال فانهزم ذلك المغربي بعسكره في البراري والتلال ولم تزل الفرنساوية في آثارهم حتى أهلكوا أكثرهم وكان هذا الرجل يدّعي النبوة ويقول أنه حينما يلقي نظره على الكفار فيتلاشون كالغبار فكان الأمر بضد ذلك الإقرار وقد جرعوه كؤوس المهالك وتشتت تلك الجموع في البراري والدكادك ورجعت الفرنساوية بالسكون والهجوع وفي إثني عشر صفر سنة ١٢١٤ هجرية حضر هجان من الإسكندرية بكتابة إلى أمير الجيوش يخبرُه أن العمارة العثمانية ظهرت في ثغر الإسكندرية وعدتها ثمانون مركباً كباراً وصغاراً[2] وأنهم إذ لم يقدروا أن يستقبلوا البوغاظ من الكلل والقنابر الكثير فتعمدوا إلى قلعة أبو قير وكان وصول ذلك الهجان عند الغروب وهو على صفرة الماكول والمشروب فنهض بالحال كالمرعوب وأمر بحضور الخيل للركوب وفرق الأوامر على الجنرالية وأمرهم أن يتبعوهُ بالعساكر إلى الرحمانية وكتب إلى الجنرال كليبر أن يحضر من دمياط على طريق البر ثم ركب من ذلك المحضر بعسكره الخاص الذي يلبس الجوخ الأخضر وسار على تلك النية حتى وصل إلى أراضي الرحمانية فأتاه الخبر من الإسكندرية أن المراكب العثمانية ملكت قلعة أبو قير وهربت منها الفرنساوية وأن العساكر جميعاً خرجت إلى البرية وبنوا بمساعدة الإنكليز متاريس عظيمة في تلك الأقطار ووضعوا فوقها المدافع الكبار وفرقوا البيورلديات على جميع تلك

= إن ثورة المهدي لم تذكر بتاريخها الصحيح في نسخة ڤييت ص ٣٣. والصحيح كما وردت في هذه المخطوطة، وعند ديغرانج، ص ١١٢. وعند الشهابي، ج ٢، ص ٢٨٣، ٢٨٩.

(١) كان حاكم الاسكندرية الفرنسي، الجنرال دومارتان، وقد قتل، عندما كان يعبر من بولاق، نحو رشيد ودمياط، بفخ أقامه الفلاحون المصريون له في ٢٣ حزيران ١٧٩٩.
أنظر: Deherain, histoire, Vol. V, P. 436

(٢) في ١١ تموز ١٧٩٩، وصل الأسطول العثماني بقيادة مصطفى باشا كوسا من رودوس إلى مصر، ونزلوا البر في ١٥ منه.
أنظر: M.G. Daressy, Moustapha Pacha le prisonnier d'Aboukir, B.I.E., Vol. XI, P. 46, et suivi

الديار واستنهضوا لقيام الفلاحين والعربان وأهل تلك البلدان ولبسوا من مصطفى باشا الأكراك(١) وابتهجت الإسلام بورود عسكر الأتراك وخشي أمير الجيوش من قيام العامة من مصر ٨١-أ وغيرها من البلدان(٢) فكتب فرمان إلى علما مصر وأرباب الديوان يخبرهم بورود المراكب وخروج عسكرها إلى البر وأنهم مراكب النصارى ولكن ربما معهم بعض مسلمين وتعريفه بذلك استناداً على الفرمان الذي ورد من الدولة العثمانية إلى الجزار والأقطار الشامية حيث يقول قريباً تحضر لكم الضوننما الهمايونية(٣) مع ضوننما دولة المسكوبية المتحدة مع دولتنا(٤) بالحب والصدوقية ويحضر لكم أيضاً عشرين ألف مقاتل في البر من الدولة القوية غير العساكر البحرية لأجل طرد الملة الفرنساوية وهذا الفرمان قد حضرت صورته إلى أمير الجيوش واطّلع عليه العلما والأعيان وأهل تلك البلاد ولأجل ذلك حرر أمير الجيوش لهم ذلك الفرمان لأجل ترقيد الفتن والهرج وأن تلك المراكب من لنصارى الإفرنج.

وهذه صورة الفرمان(٥) نقلاً عن المطبعة ٨١-ب

(١) الأكراك: من كراك، وهو لباس خاص مصنوع من الفرو، وكان من الصناعات الشهيرة بمصر آنذاك. أنظر: الجبرتي، مظهر التقديس، ج ١، ص ١٠٤، حاشية رقم ١.

(٢) يعلق الجبرتي على وصول المراكب العثمانية، وعلى مشاعر شعب القاهرة إزاء ذلك الحدث. «فلما تحققت الأخبار كثر اللغط بين الناس، وأظهروا البشرى، وتجاهروا بلعن النصارى». أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٧٥.

(٣) الضوننما الهيمايونية: أو الدونانما، من الفعل التركي (دونماك) الذي يعني «نظم»، وهيمايون، كلمة فارسية انتقلت إلى التركية وتعني (إمبراطوري) ويصبح معنى الكلمة في المصطلحات العثمانية الاسطول الملكي العثماني.

أنظر: Barbier de Meynard, Vol, I, P. 769

أنظر: Dozy, Vol. II, P. 763

(٤) كتب الجنرال دوكا، حاكم القاهرة، إلى نابليون قائلاً: «إن تحالف الروس والعثمانين ترك شعوراً غير مستحب عند القاهريين، وكما أعتقد، فإن فكرة التحالف هذه ستجعل القاهرة هادئة تماماً».

أنظر: F. Charles - Roux, Bonaparte governeur d'Egypte, P. 317

(٥) حول هذا الفرمان أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٧٦.

أنظر: de la Jonquière . Vol. V. P. 327

من حضرة ساري عسكر أمير الجيوش الكبير بونابارته خطاباً إلى ديوان مصر المحروسة أوله لا إله إلاّ الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نخبر محفل علماً الديوان بمصر المنتخب من احسنهم وأكملهم في العقل والتدبير عليهم سلام الله ورحمته وبركاته بعد مزيد السلام عليكم وكثرة الأشواق إليكم نخبركم يا اهل الديوان المكرمين أننا وضعنا جماعة من عسكرنا بجبل الطونا[1] وبعد ذلك سرنا إلى اقليم بحيرية[2] لاجل ما نرد راحة الرعايا المساكين وقصاص أعدانا المحاربين وقد وصلنا في السلامة إلى الرحمانية وعفونا عفواً عمومياً عن كل أهل البحبرية حتى صار أهل الأقاليم في راحة تامة ونعمة عامة وسكنت الفتنة وأطمأنت ثم نخبركم انه وصل ثمانون مركباً صغاراً وكباراً حتى ظهروا بثغر الاسكندرية وقصدوا أن يدخلوها فلم يمكنهم الدخول لكثرة الكلل والقنابر النازلة عليهم فرحلوا عنها وتوجهوا إلى ناحية ابو قير وابتدوا ينزلوا في ابو قير وأنا الآن تركتهم وقصدي أنهم يتكاملوا في البر الجميع وأنزل عليهم وأقتل من لا يطيع وأخلّي في الحيوة الطايعين واتيكم بهم محبوسين لأجل أن يكون في ذلك شأن عظيم في مدينة مصر والسبب في مجي هذه العمارة إلى هذا الطرف العشم بالاجتماع على المالك والعربان لأجل نهب البلاد وخراب الأقليم المصري وفي هذه العمارة خلق كثير من المسكوب الإفرنج الذين كراهتمهم ظاهرة لكل من كان موحد الله وعداوتهم واضحة لمن كان يومن برسول الله يكرهون الإسلام ولا يحترمون القران وهم نظراً إلى كفرهم في معتقدهم يجعلون الآلهة ثلثة وأن الله ثالث تلك الثلاثة[3] تعالى الله عن الشرك

(١) جبل الطونا: ورد الاسم عند الجرتي جبل الطرانة، والواقع أن منطقة الطرانة كانت أول مرحلة عسكر فيها الجيش الفرنسي أثناء تقدمة لمحاربة الجيوش العثمانية التي نزلت في أبو قير. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ، ٣، ص ٧٥، ٧٦.
والطرانة هي بلدة تقع في البر الغربي لفرع رشيد وتعرف في الكتب القديمة باسم «طرنوطيس» أو طرنوط، وهي تبعد عن القاهرة نحو أربعين ميلاً. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٣، ص ٣٤،

(٢) إشارة إلى ثورة المهدي أنظر: ما سبق، ص ١٧٥.

(٣) هنا يتشدق نابليون بعقيدة الثالوث الأقدس عند المسيحيين تمشياً مع سياسته الإسلامية.

ولكن عن قريب يظهر لهم أن الثلثة لا تعطي القوة وأن كثرة الآلهة لا تنفع لأنها باطلة بل أن الله الواحد هو الذي يعطي النصرة [٨٢-ب] لمن يوحده وهو الرحمن الرحيم المساعد الأمين المعين المقوّي للعادلين الموحدين المبعث الماحق رأي المفسدين المشركين وقد سبق في علمه القديم وقضآءهُ العظيم وتقديرهُ المستقيم أنه أعطاني هذا الأقليم العظيم وقدَّر وحكم بحضوري إلى مصر لاجل تغيير الأمور الفاسدة وأنواع الظلم وتبديل ذلك بالعدل والراحة مع اصلاح الحكم وبرهان قدرته العظيمة ووحدانيته المستقيمة أنه لم يقرّ الذين يعتقدون أن الله ثلثة قوّةً مثل قوتنا لأنهم ما قدروا أن يعملوا الذي علمناه ونحن المعتقدون بوحدانية الله ونعرف انه العزيز القادر القوي القاهر المدبر الكاينات المحيط علمه بالسماويات والأرضيات والقايم بأمور المخلوقات هذا ما في الآيات وبالكتب المنزلات ونخبركم بالمسلمين أن كانوا صحبتهم يكونوا من المغضوبين لمخالفتهم لوصية النبي عليه [٨٣-أ] افضل السلام بسبب اتفاقهم مع الخارجين الكفرة الليأم لأن أعداء الإسلام لا ينصرون الإسلام ويا ويل لمن كانت نصرته في اعدا الله يكون المنتصر كافر أو يكون مسلم فهولا ساقهم التقدير إلى الهلاك والتدمير وكيف المسلم أن ينزل في مركب تحت بيرق الصليب ويسمع في حق الله الواحد الأحد الفرد الصمد من الكفار كل يوم كلام تجديف واحتقار ولا شك أن هذا المسلم في هذا الحال اقبح من الكافر الأصلي في الضلال نريد منكم يا أهل الديوان أن تخبروا بهذا الخبر جميع القرايا والبلدان لاجل أن يمتنع أهل الفساد من الفتنة بين الرعية في ساير الأقاليم المصرية لأن البلد الذي يحصل فيها الشر يحصل لهم الضرر والقصاص وانصحوهم بحفظ انفسهم من الهلاك خوفاً عليهم أن نفعل فيهم مثلما فعلنا في أهل دمنهور وغيره من البلا والشرور بسبب سلوكهم مسالك القبيحة قاصصناهم والسلام[١] [٨٤-ب] عليكم ورحمة الله وبركاته،

(١) ورد فى نسخة ڤييت، ص ٥٦ «إن المسلمين كانوا عارفين يقيناً إن هذا الكتاب كاذب وإن العمارة عثمانيه تحت قيادة مصطفى باشا عثمان خواجه قادمة نحو أرض مصر».

تحريراً في الرحمانية يوم الأحد في
١٧ صفر سنة ١٢١٤ طبع بمطبعة الفرنساوية
العربية

ثم أن أمير الجيوش بعد أن تكامل عنده جيش الفرنساوية سار من الرحمانية طالب قلعة أبو قير وحرب ذلك الجمع الغفير والجيش الكثير وحين فهم أن متاريسهم منيعة عالية أخذ يدبّر كيفية تملكها بحسن فطنته السامية فأحضر الجنرال ميراد الذي كان من القوم الشداد وساري عسكر الخيالة الجياد وآمرُه أن يهجم أولاً بالخيل حتى إذا اطلقت الأعداء مدافعها فتصيب الخيل وتسلم الرجال ثم تهجم طوابير المشاة من اليمين واليسار على المتاريس ويملكوها في الحال[١] ثم اصطفت الصفوف ودقّت البوقات والطبول للحرب واستعدا الفريقان للطعن والضرب وبرز الجنرال ميراد بالخيل الشداد [٨٤-أ] وهجم على تلك العساكر بالفرسان الجواسر والليوث الكواسر فضربت عليهم المدافع من متاريس الأتراك فاصابت الخيل وتساقطت من على ظهرها الرجال وأكثرهم بلي بالموت والنكال والذي سلم ما خطر لهُ الموت على بال بل تقدم للحرب والقتال وهجمت العساكر المشاة من اليمين والشمال وعظمت الأهوال وكثر النكال وذاقت الإسلام حرب لم يخطر لهم على بال واخذهم الخوف والإنذهال وايقنوا بالذل والوبال وتملكت الفرنساوية المتاريس وابلوهم بالموت والتعكيس وأحاطوا بالإسلام من كل مكان وابهتوهم بالضرب والطعان والقطيعة والخزلان وحين رأت الإسلام أن ليس فجاة وآيسوا من الحيوة القوا السلاح طمعاً بسلامة الأرواح وطلبوا الأمان[٢] واختاروا الأسر والهوان وصارت الفرنساوية تقبض

(١) ورد في نسخة ڤييت ص ٥٦، أن الجنرال ميراد هو الذي اقترح هذا الحل على بونابرت وليس العكس كما ورد في هذه النسخة ومثله في نسخة ديغرانج ص ١١٧ وعند حيدر الشهابي في كتابه لبنان في عهد الأمراء الشهابيين ج ٢، ص ١٧٦.

(٢) حدثت معركة ابو قير الثانية في ٢٥ تموز عام ١٧٩٩ وانتصر الفرنسيون إنتصاراً سريعاً وحازماً وهُزم العثمانيون بعد أن خلفوا وراءهم ٦٠ آلف قتيل وأُسر قائد الجيش الوزير مصطفى باشا كوسا مع ٣ آلاف محارب. راجع:

عليهم باليد وهم في عنآءٍ وكد ولم يخلص من تلك القبايل لا فارس ولا راجل بل اخذتهم الفرنساوية عن آخرهم فمنهم من قتل ومنهم من [٨٤-ب] اسر ومنهم من هو مثخن بالجراح وكثير اجساد بلا أرواح والذي كان منهم هارب لم يقدر يصل إلى المراكب وهجم أحد الصلدات على صيوان الوزير مصطفى باشا كوسا وقبض عليه وأراد قتله فعرفه بنفسه بعد أن كان ضربه بالسيف وجرحه بيده فعفى عنهُ واحضرهُ إلى قدام أسير الجيوش فترحب بهِ وأخرج من جيبه منديل ثمين وربط يد مصطفى باشا فيه واجلسهُ بالقرب منه وأكرمهُ غاية الأكرام ثم قبضوا أيضاً على عثمان خواجا[١] وكانْ المذكور متسلماً بزمان الغز على مدينة رشيد ولما حضروا الفرنساوية هرب إلى القسطنطينية وحضر صحبة مصطفى باشا وحين حضر إلى قدام أمير الجيوش وفهم أمره آمر بحفظهِ وكانت قد دخلت شردمة من العساكر العثماني إلى قلعة ابو قير[٢] ومعهم ابن مصطفى باشا فأمر أمير الجيوش أن يضربوا عليهِ الكلل والقنابر وبعد أربعة أيام[٣] سلموا بالأمان وقبضوا [٨٥-أ] ابن

M.G. Dalessy, Moustapha Pacha le prisonier d'Aboukir B.I.E. Vol. XI, P. 51- = 53.

(١) خواجا كلمة مأخوذة من اللغة الفارسية وتعني (رجل ممتاز) وقد تعني بشكل خاص (مدرس) وفي عهد السلاجقة أصبحت هذه الكلمة تستعمل للإشارة إلى موظفي الديوان ومن ثم إلى الوزير ذاته. وفي المصطلحات العثمانية أطلقت كلمة خواجة على كل من العلماء الذين كانوا يقومون بمهنة التدريس وكذلك على الموظفين الذين يقومون بمهنة السكرتارية أنظر: جب وباون، المجتمع الإسلامي والغرب، القسم المترجم ج ١، ص ١٩٢ وأطلقت هذه الكلمة أيضاً على الأوروبيين في هذا العصر (عصر الترك) وخاصةً على التجار وتستعمل كلقب مدني راجع:

R. Dozy, Vol. I, P. 410, ef. Barbier de Meynard, Vol. I, P. 714.

وأما عثمان خواجة فقد تقلد إمارة رشيد بأمر من السيد محمد كريم الذي كان واليها من قبل. والأثنان من أتباع صالح بيك أمير الحاج وقد غادر عثمان خواجا مصر وأما مع صالح بيك إلى بلاد الشام عند قدوم الحملة الفرنسية ولما توفي صالح بيك غادر عثمان بلاد الشام إلى تركيا ثم عاد إلى مصر بصحبة الأسطول العثماني. راجع: الجبرتي. عجائب الآثار، ج - ٣، ص ٨٥.

(٢) تحصن في هذه القلعة حامية عثمانية إنضم إليها الهاربون من المعركة ويقدر عددهم بـ٣ آلاف رجل.

أنظر: Deherain, Histoire, Vol. V, P. 440

(٣) لقد أخطأ الترك هنا لأن حصار القلعة استمر من ٢٦ تموز حتى ٢ آب تاريخ تسليم الحصن إلى الفرنسيين.

=

مصطفى باشا واحضروه قدام أمير الجيوش فأمر أن ياخذوه إلى خيمة ابوه بكل اكرام وكان امير الجيوش قد آمر إلى المجروحين من تلك العساكر أن ينزلوا بثلاث مراكب ويسافروا إلى بلدهم ويخبروا بواقعة حالهم وما جرى عليهم وما نالهم وابقى الأسارى السالمين تحت الأسر المهين وغنمت الفرنساوية بهولاً العساكر إذ لم يخلص منهم أحد سوى الذين سافروا مجروحين في المراكب وكانت هذه الوقعة في أربعة وعشرين شهر صفر سنة ١٢١٤ وجمعوا اوليك الأسرى وكانوا نحو ثلثة الآف عدا عن تلك المجاريح الذين مَنَّ عليهم أمير الجيوش بخلاصهم وسيرَّهم إلى اعيالهم وباقي تلك العساكر افنتهم الفرنساوية بالسيف الباتر والرصاص المتواتر وكان قد انجرح الجنرال ميراد جرحاً بليغاً بحنكهِ من رصاصٍ اصابه فاغتاظ لأجله أمير الجيوش غيظاً عظيماً وقُتِل الجنرال تركو مع مقادر ثلثماية صلدات وحين وقعت النصرة على الإسلام ارسل أمير الجيوش يخبر القيمقام في الذي صار وما وقع من الأنتصار فعمل في مصر فرحة عظيمة ثلثة أيام[١] وكتب إلى علما الديوان يخبرهم بهذه البشارة الجليلة الشان.

صورة مكتوب الجنرال دوكا قيمقام أمير الجيوش

من حضرة ساري عسكر الجنرال دوكا قيمقام أمير الجيوش بمصر حالاً إلى علما الإسلام وكافة أرباب الديوان بعد السلام عليكم وكثرة الأشواق إليكم لا يخفاكم أنه وصلني خبر صحيح بأن العساكر الفرنساوية ملكت قلعة ابو قير في ١٤ شهر ترميدور[٢] الموافق إلى شهر صفر سنة ١٢٩٤ وأنهم استأسروا فيها ثلثة الآف نفر ومن الجملة مصطفى باشا وغاية ما وقع أن العمارة التي نزلت في ابو

= أنظر: De la Jonquière, vol. V, P. 327-329 ef. Deherain, histoire, Vol V, P. 442.

(١) يقول الجبرتي حول الإحتفال الذي حدث في القاهرة بعد إنتصار الفرنسيين «ضربوا مدافع كثيرة من قلعة الجبل وأبراج التلال وجامع الظاهر وباقي القلاع المحيطة بصحن اليزبكية، فانزعج الناس ونزل بهم من الغم والكآبة ما لا مزيد عليه ولا حولا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٨٠.

(٢) ترميدور: هو الشهر الحادي عشر من تقويم السنة الجمهورية في فرنسا ويمتد من ٢٠ تموز حتى ٢٨ آب.

قير كانت تحتوي على خمسة عشر الف من العساكر لم يخلص منهم احد بل الكل تلاشوا وهلكوا ثم اخبركم عن لسان حضرة الساري عسكر الكبير بونابارت انكم في الحال تُظهِرون هذا الخبر بين الخاص والعام وتشهروهُ في الأقاليم المصرية فأنهُ خبر فيهِ سرور [٨٦-أ] وفرح والزمكم أنكم تعرفوني في الحال عن اشهار هذا الخبر الفاخر المعتبر وأخبركم أن حضرة الساري عسكر الكبير بونابارته يحضر اليكم عن قريب والله تعالى يحفظكم والسلام ختام.

تحريراً في ٢٢ شهر ترميدور سنة السابعة لمشيخة
الفرنساوية الموافقة إلى ٢ ربيع الأول سنة ١٢١٤[١]
طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر حالاً

وأما أمير الجيوش بونابارته نهض بالجيوش من أراضي ابو قير إلى الرحمانية وارسل عثمان خواجا [٢] إلى بندر رشيد وأمر بقتلهِ هناك وحين تواردت الأخبار إلى القاهرة بما جرى على العساكر العثمانية فنزل على مسلمين مصر البلية وخابت منهم تلك الأملية وحزنوا حزناً عظيماً إذ كان في أملهم أن تملك الإسلام تلك الأقاليم وفي خامس شهر ربيع أول حضر أمير الجيوش إلى مصر ودخل بالعز والنصر وبليت اعداوه بالذل والقهر وصحبته مصطفى باشا وولده ماسورين مع جملة الأساري وفي ثاني يوم من [٨٦-ب] وصوله حضرت لعنده جميع الحكام والعلما والأعيان وأرباب الديوان وهنوه بقدومِه وانتصاره فنظر إليهم بعين فراسته وأعتباره وقد وجدهم في حزنٍ عظيم وهمّ جسيم وكان قد بلغهُ الهرج الذي حدث بغيابه وعزمهم عليهِ في انكساره وانقلابه والكتابات التي أتت إليهم من مصطفى باشا وعثمان خواجه حين حضروا إلى ابو قير فقال لهم[٣] قد

---

(١) ورد في نسخة ڤييت، ص ٨٦ «الموافق ٧ ربيع الأول» ولكن التطابق تام بين هذه المخطوطة ونسخة ديغرانج، ص ١٢٠، وحيدر الشهابي، ج ٢، ص ٢٧٧.

(٢) رفض نابليون إعتبار عثمان خواجة أسير حرب، وأمر بنقله إلى رشيد، وهناك أقيمت له محاكمة، وقتل بعدها. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٧٨.

(٣) أخبر مدير المالية الفرنسي السيد بوسلينج نابليون، عن حزن العلماء واستقبالهم البارد لخبر إنتصاره=

اخذني منكم. العجب أيها العلما والسادات إذ أنني اراكم تغتمون وتحزنون من انتصاري حتى الآن ما عرفتم قوة بطشي ومقداري وقد خاطبتكم مراراً عذيدة واخبرتكم باقوالٍ سديدة بأنني أنا مسلم موحَّد وأعظم النبيّ محمـد واود المسلمين وأنتم إلى الآن غير مصدقين وقد ظننتم أن خطابي هذا اليكم خشيةً منكم مع أنكم شاهدتم بأعينكم وسمعتم بأذنكم قوة بطشي واقتداري وحققتم فتوحاتي وانتصاري فقولي لكم أني احب النبي محمد وذلك لأنه بطل مثلي وظهورة مثل [٨٧-أ] ظهوري بل وأنا أعظم منهُ إذ أنني غزوت أكثر منهُ وأمالي[١] باقي غـزوات غزيـرة وانتصاراتٍ كثيرة سوف تسمعـونها باذانكم وتشـاهدونها بأعينكم فلو كنتم عرفتموني لكنتم عبدتموني وسوف ياتيكم زمان بهِ تذلون وعلى ما فعلتم تندمون وعلى أيامنا تتحسرون وتبكون فأنا قد بغضت النصارى ولا شيت ديانتهم وهدمت معابدهم وقتلت كهنتهم وكسرت صلبانهم ورفضت إيمانهم ومع ذلك اراهم يفرحون لفرحي ويحزنون لحزني فهل تريدون أن ارجع نصرانياً ثانياً فاذا رجعت فلا ترون في رجوعي فايدة فدعو عنكم هذه الأحوال واقتبلوا لأمر الله المتعال وكونوا فارحين مـطمأنـين ليحصل لكم النجـاح والصلاح وقد نبهتكم مراراً عديدة ونصحتكم نصايح مفيدة فأن كنتم تعرفوها وتذكروها فتربحوا وتنجحوا وأن كنتم رفضتموها تخسرون وتندموا ثم انصرفت العلما وهم منذهلينٍ من هذا الخطاب ومتعجبين كل الأعجاب. [٨٧-ب] ولم يقدر أحد يرد لهُ جواب واسكن مصطفى باشا وولده وبعضه اتباعه في مسكن عظيم[٢]

= في ابو قير. ومن شدة حزنهم وجدوا صعوبة في نشر الخبر.

أنظر: De la Jonquière, Vol. V, P. 528

حول حديث نابليون مع العلماء بعد عودته إلى القاهرة.

أنظر: Deherain, histoire. Vol. V, P. 446

وقد ذكر الجبرتي هذا الحديث، ولكنه علل الجفاء بين بونابرت ومشايخ الديوان، بصراع المشايخ مع آغة الإنكشارية الذي كان يريد قتل الشعب بدون سبب، لولا وقوف العلماء في وجهه. أنظر: الجبرتي، مظهر التقديس، ج ١، ص ٢٢٤.

(١) الصحيح أمامي.

(٢) أسكن نابليون مصطفى باشا في الجيزة في قصر مراد بيك الذي يقع على ضفاف النيل. =

وعينً لهم المصاريف التي تلزم اليهم وابتدا يكاتب الدولة العثمانية عن يد مصطفى باشا ويذكرهم صداقة الفرنساويين القديمة واتحادهم مع الدولة العثمانية من أعوام عديدة وأيامٍ مديدة ويحرصهم من باقي الدول الأفرنجية وأن الأوفق لهم إقامة الفرنساوية في مصر وأنهم انسب من الغز ويعاهدوا أن يكونوا طايعين وإلى أوامر الدولة سامعين وتبقى الخطبة والسكة كما هي باسم الدولة العثمانية ويمشي الحج كعادته القديمة ويدفعوا الأموال المعتادة للخزينة وأرسل مصطفى باشا هذا الخطاب مع أحد اتباعه وابتدا أمير الجيوش يدبر لهُ أمر النفوذ إلى مدينة باريز لأنه كان قد التهب فؤاده من تملك الإنكليز وقد ذكرنا أن امير الجيوش بونابارته قد ارسل عثمان خواجا إلى مدينة رشيد وعندما وصل القوة في السجن[٨٨-أ]. وأرسل الجنرال الموجود في رشيد أحضر عدة شهود إسلام واستشهدهم قدام الديوان الخصوصي فشهدوا له قدام القاضي والمفتي أن عثمان خواجا كان رجلاً ظالماً في أيام مراد بيك وهو الآن مستوجب الموت وأخرج فتوى من جميع الأعيان وأمر أن يطوفوا بهِ المدينة ويقتلوهُ[١] وأرسل الفتوى إلى جميع الأقاليم المصرية ليعلمهم بقتلِهِ وهذه هي صورة الفتوى حكم الشرع الشريف الذي صدر عن محكمة رشيد دام جلالها على عثمان خواجه خطاباً إلى حضرة الجنرال الحاكم في البلد المذكورة مورخ بأربعة وعشرين من شهر ترميدور سنة السبعة من إقامة الجمهور الفرنساوي يعني الثامن ربيع الأول سنة ١٢١٤ وصلنا مكاتيبكم بالأمر أننا نستخبر ونكشف عن جميع الأعمال التي حدثت من طرف عثمان خاجا كرولي وننظر إن كان حصل منه الشر أكثر[٨٨-ب] من

أنظر: M.G. Daressy; Moustafa Pacha le prisonnier d'Aboukir, B.I.E., Vol. XI P. 55

(١) يقول الجبرتي حول هذا: «أحضروا عثمان خواجا ونقلوه من الإسكندرية إلى رشيد فدخلوا به البلد وهو مكشوف الرأس حافي القدمين وطافوا به البلد يزفونه بطبولهم حتى وصلوا به إلى داره ثم قطعوا رأسه تحت داره ثم رفعوا الرأس ليراه من يمر بالسوق»، أنظر: الجبرتي عجائب الآثار، ج ٣، ص ٧٨.

الخير وبموجب هذا الأمر بحضور حضرة سيدنا شيخ الإسلام(١) العالم المتورع الشريف أحمد الخضاري(٢) المفتي الحنفي ونقيب الأشراف المكـرم المحترم الشريف البدوي وقدوة الأعيان الحاج أحمد آغا السلحدار(٣) والمكرم علي شاوش كتخدا(٤) وقدوة التجار أحمد شحال والمكرم سليم آغا والمكرم ابراهيم سعيد والمكرم محمد القادم والحاجي باشي سليمان وبحضور جماعة المسلمين خلاف المذكورين أعلاه(٥) ثم حضر رمضان حمودي ومصطفى الجبار وأحمد

(١) شيخ الإسلام: لقد ظهر هذا اللقب في النصف الثاني من القرن العاشر، وكان مقصوراً على العلماء والمتصوفة، وأعطي اللقب في القرن الحادي عشر إلى رئيس فقهاء الدين الشافعي في خراسان إسماعيل بن عبد الرحمن ومن بعده فخر الدين الرازي. ثم أصبح اللقب في مصر والشام لقب تشريف وليس لقباً رسمياً لا يطلق إلا على الفقهاء، وذلك على وجه خاص في أوائل العهد المملوكي وبلغ اللقب أوج مكانته بعد أن أطلق على مفتي الآستانة الذي اكتسب منصبه في الدولة العثمانية أهمية سياسية ودينية فائقة. أنظر: الموسوعة العربية الميسرة، ص ١١٠٤.

(٢) لم نجد ترجمة عند الجبرتي لهذا الاسم، ولكن ڤييت يذكر أنه من أعيان مدينة رشيد. أنظر: ڤييت، حاشية، ص ٧٧، في النسخة المترجمة إلى الفرنسية.

(٣) السلحدار: أو حارس السيف، وهي كلمة مركبة من الفارسية والعربية ومعناها الحرفي (أستاذ السلاح) وهذا الإصطلاح يعود إلى العصور الأولى للإمبراطورية العثمانية، وفي القرن الثامن عشر أصبح السلحدار قائد فرقة من الفرسان تعد ١٢ ألف رجل ويطلق على هذا السلحدار (آغا) ويقول دوسون: أن السلحدار هو الذي يحمل سيف السلطان، أو يحرس ويتعهد كل أسلحة السلطان.

أنظر: D'Hosson, Vol, VII, P. 34

ولكن أضيف إلى مهمته هذه، مهام عدة فيما بعد، فهو مرافق للسلطان، وهو الذي يقدم إليه ملخص المراسلات الواردة من الوزراء، كما وينقل أوامر السلطان إلى الموظفين والضباط. أنظر: جب وباون، المجتمع الإسلامي والغرب، ج٢، ص ٢١٠، ٢١١. ونظراً لهذه المهمة، كان لا بد أن يكون السلحدار آغا سيداً عظيماً من العائلة المالكة ذاتها، وهذه الوظيفة، وهذا اللقب كان موجوداً في بلاط السلاطين المماليك.

حول هذا راجع مقال Cl. huart في Encyclopédie de l'Islam, 1ere ed, Vol. IV, P. 442
ef. Barbier de Meynard, Vol. II, P. 192

(٤) شاوش كتخدا: أو معاون الكتخدا، وشاويش هو أحد أفراد الشرطة ويعتبر ضابطاً من فرقة أقل أهمية عن غيرها من الفرق، ويكلف بمهام مختلفة النوع.

أنظر: Dozy, Vol. I, P. 169

والشاوش باشي في فرق الإنكشارية هو قائد فرقة الجاويشية.

أنظر: Barbier de Meynard, Vol. II, P. 574

(٥) لم نجد ترجمة لهؤلاء الأشخاص في أي مرجع بين أيدينا.

شاوش وعبد الله والحاج حسن أبو جوده والحاج بدوي المقرالي وعلي أبو زرازي وبدوي دياب وحسن عرب[١] وثبت من إقرارهم ومن شهاداتهم أن عثمان خواجا المذكور كان قد ظلمهم ظلماً شديداً بالضرب والحبس من دون حق ونهب أملاكهم وخلاف ذلك سئل من جماعة المسلمين الحاضرين[٨٩-أ] في المجلس إن كان حصل من طرف عثمان خواجا الشر أكثر من الخير فكلهم قالوا بلسانٍ واحد أنه حصل من طرف عثمان خواجا الشر أكثر من الخير وبسبب ذلك انقطع رأس عثمان خواجا حاكم رشيد سابقاً مطابق لأصله ومعناه باسم حاكم رشيد الان.

طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة.

ومن بعد حضور أمير الجيوش إلى مصر في ١٢ ربيع الأول[٢] صنع مولد النبي حسب السنة الماضية وعمل محفلاً عظيماً وأحضر مصطفى باشا وجميع العلما والأعيان وصنع وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وأحضر آلات الطرب والموسيقية ثم بعد أربعة أيام ركب بعسكره الخاص وأظهر أنهُ يريد يدور عل الأقاليم المصرية لأجل تطمين الرعية وأخذ معهُ الجنرال اسكندر وثلثماية من العسكر والجنرال ميراد وقصد مدينة منوف ومن هناك انتقل إلى الإسكندرية وبعد أيامٍ وجيزة دبّر أمر السفر وهيّألهُ ثلثة مراكب وأرسل لهم[٨٩-ب] ليلاً عدة صناديق مملوة من الجواهر الثمينة والأسلحة العظيمة والأمتعة والقماش وغيرها من الأشيا الفاخرة التي كان اكتسبها وعدة من المماليك الصغار كان قد استخدمهم عنده وزخرف أطواقهم وكساهم وبعد ذلك التدابير صنع وليمة عظيمة إلى الجنرال سميث سر عسكر الإنكليز[٣] وكان حين ارتفع الحصار عن الجزار توجه بمراكبه إلى تجاه الإسكندرية ومن عادة الإفرنج أن في الأيام التي لم

(١) لم نجد ترجمة لهؤلاء الأشخاص في أي مرجع بين أيدينا.

(٢) يذكر الجبرتي أن هذا العيد حصل في ١١ ربيع الأول، حول هذا العيد، أنظر: > الجبرتي، مظهر التقديس، ج ١، ص ٢٢٤.

(٣) إن هذا القول، متعلق بالضجيج الذي انتشر آنذاك في القاهرة، حول إتفاق جرى بين نابليون والإنكليز.
أنظر: De la Jonquière, Vol. V. P. 281

يكن فيها حروب فليس فيهِ امتناع عن بعضهم بعض وحين حضر الجنرال سميث ساري عسكر الإنكليزية قدَّم لهُ أميرالجيوش غاية الإكرام وأعطاهُ هدايا جزيلة الثمن ثم طلب منهُ بأن يأذن له أن يرسل ثلثة مراكب صغار إلى بلاد فرنسا فإذن لهُ بذلك(١) وبعد رجوع ساري عسكر الإنكليز إلى مراكبه في تلك الليلة نزل بونابارته في تلك المراكب بمن معهُ من الرجال وخرج من البوغاظ

x بريحٍ عاصف [٩٠-أ] وفي ثاني الأيام بلغ خبر مسيره إلى الجنرال سميث فعظم عليهِ ذلك الأمر وأقلع بمراكبه في طلبه فلم يجد له خبر ولا رأى له أثر ونجي منهم بحسن خبرته ومزيد فطنته وسمّو حكمته وقد استغنم الفرص وفر منهم كما يفر العصفور من القفص وبقوة المولى العزيز نجى من أعدايه الإنكليز ووصل إلى مدينة باريز وخلص حاله بتدبير ذلك الأمر وكان نفوذهُ من عجايب الدهر واستغرب أهل ذلك العصر وقالت الناس ما ذلك إلاّ من غرائب الأمور ودليل على سعده المقدور وكانت إقامته في الديار المصرية أربعة عشر شهراً وكان قبل نزوله في المراكب كتب إلى الجنرال كليبر(٢) يعلمهُ بذلك التدبير ويوعدهُ أن يرسل له الإسعاف والإمداد بعد وصولهِ لتلك البلاد وأنهُ يكون قايم عوضهُ أمير الجيوش وكان وقتئذٍ في مدينة دمياط وكتب أيضاً إلى الجنرال دوكا القيمقام أنهُ يكون كما كان [٩٠-ب] من ذلك الإهتمام وأن يعلم أهل الديوان ليوزّعوا الأعلام على الرعية بكل البلدان ويكونوا كما كانوا بأمان واطمئنان وكتب أيضاً إلى جميع الجنرالية يعرفهم بذهابه وكيف يتدبرون بعد غيابه ويوصيهم بحفظ البلاد والسلوك مع العباد ويوعدهم بالإسعاف والإمداد وأنه قريباً يـرجع إليهم

---

(١) خرج نابليون من مصر بحيلة، إذ استغل فرصة خروج الأسطول الإنكليزي المحاصر للشواطىء المصرية، بقيادة الجنرال سميث، إلى قبرص للتمون منها.

انظر: De la Jonquière, Vol. V, P. 579

Deherain Histoire, Vol. V, P 454.

(٢) حول الرسائل التي كتبها بونابرت إلى القواد والإداريين الفرنسيين قبل مغادرته مصر والتي شرح فيها كيفية التصرف في البلاد أثناء غيابه راجع.

De la Jonquière, l'expédition d'Egypte, Vol. V, P. 580.

بالعساكر والأبطال الجياد وجعل لهم إلى رجوعه ميعاد وهي أربعة أشهر تمام وإذا أبطىء عليهم بعد تلك الأيام فلهم الإذن أن يسلموا المملكة بالصلح للإسلام ويجعلوا الإتفاق عن يد الإنكليز ويذهبوا إلى مدينة باريز وعندما شاعت الأخبار في الأقطار المصرية عن ذهاب أمير الجيوش فرحت أهل مصر وحزنت الفرنساوية وآمر الجنرال دوكا أصحاب الديوان أن يكتبوا إلى ساير البلدان ويخبروهم بذلك الشان[٩١-أ].

صورة الكتابات

من محفل الديوان الخصوصي خطاباً إلى ساير الأقطار المصرية من الأقاليم جهة القبلية والبحرية وكامل الرعايا وفقهم الله نخبركم أنه حضر إلى الديوان مكتوب من حضرة الجنرال دوكا القيمقام بأن ساري عسكر الكبير بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية توجه إلى البلاد الفرنساوية لأجل حصول الراحة الكاملة إلى الأقطار المصرية وأنه كان حضر له استعجال من الجمهور في بلاده لطول غيابه وأخبرنا الساري عسكر دوكا بأن السر عسكر الكبير قبل غيابه أقام عوضه رجلاً كاملاً عاقلاً فيهِ شفقة ورحمة عامة على الرعية جعلهُ أميراً على الجيوش الفرنساوية وأخبرنا القيمقام أننا نكون في غاية الأمان والإطمئنان على ديننا وعرضنا ومتاجرنا وأموالنا وأسباب معاشنا كما كنا في زمان حضرة السر عسكر الكبير بونابارته فننصحكم يا أيها الرعايا لا تطيعوا أهل الفساد واتركوا الفتن والعناد وامتثلوا أمر خالق العباد والسلام عليكم ختام[٩١-ب].

الفقير السيد خليل البكري	الفقير عبد الله الشرقاوي
نقيب الأشراف	ريس الديوان
الفقير محمد المهدي	الفقير مصطفى الصاوي
كاتم سر الديوان	الشافعي
الفقير سليمان الفيومي	الفقير السيد احمد
المالكي	المحروقي

الفقير علي كتخدا المجرلي الفقير يوسف باش شاوش[1]

باش اختيار[2] تفنكجيان[3]

الفقير لطف الله الفقير يوسف

المصري[4] فرحات[5]

الفقير جبران الفقير لومار[6]

سكروج[7]

الفقير بودوف[8] الفقير ذو الفقار كتخدا[9]

كوميسار الاسلام

---

(١) الفقير يوسف: هو يوسف الحموي عملَ مع الفرنسيين، وشكل فرقة من الفرسان من سكان الناصرة وشفا عمر وتولى قيادتها، ثم رحل مع الجيش الفرنسي بعد إخلاء مصر، ولم يشترك بالمعارك في فرنسا بل بقي في مرسيليا.

أنظر: M.G. Guemard, auxiliaires de l'armée de Bonaparte en Egypte, Vol. IX, P. 6

(٢) باش اختيار: إختيار، كلمة تركية تعني «متقدم في السن»، وجمعها إختيارية، وتحمل معنى القديم في المهنة أو في الخدمة، وفي القرن الثامن عشر كان يشترك الإختيارية في إدارة طوائف الحرف، ويكون موظفو الحرفة من بينهم.

أنظر: Dozy, Vol. I, P. 416

أنظر: جب وباون، المجتمع الإسلامي والغرب، القسم المترجم ج ٢، ص ١٢٤. أما باش اختيار فتترجم بمعنى أكبر رجال الفرقة سناً، أو إقدامهم في المهنة.

أنظر: Barbier de Meynard, Vol. I, P. 22

(٣) باش شاوش تفنكجيان: تفنكجيان من الكلمة التركية (تفكنجية) وتعني بندقية، والتفكنجية: هم الجنود المشاة المسلحون بالبنادق، أما باش شاوش تفكنجيان فهو قائد هذه الأورطة ورأس الأوجاق في نفس الوقت. أنظر: جب وباون، المجتمع الإسلامي والغرب، ج ١، ص ٢٧١، ج ٢، ص ١٧٣.

(٤) الفقير لطف الله المصري: هو مصري من الأقباط، وقد تعين عضواً في الديوان الخصوصي الذي أنشأه نابليون بعد ثورة القاهرة الأولى. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٣٧.

(٥) الفقير يوسف فرحات: هو من الشوام النصارى، وقد كان أحد أعضاء الديوان الخصوصي الذي أنشأه نابليون بعد ثوزة القاهرة الأولى. أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٧.

(٦) لومار: هو القائد الفرنسي Wolmar

(٧) جبران سكروج: لم نجد له ترجمة

(٨) بودوف: هو القائد الفرنسي Baudhuf

(٩) ذو الفقار كتخدا: هو زين الفقار، كان كتخدا محمد بيك الالفي، عينه الفرنسيون كتخدا نابليون =

نظر وعلم وكيل الفرنساوية جلوتيه(١) .

٩٢-آ

طبع بمطبعة الفرنساوية بمصر المحروسة(٢) ثم حضر الجنرال كليبر من دمياط إلى بولاق والتقاه القيمقام الجنرال دوكا وشيخ البلد الجنرال دوسطين ودخل إلى مصر بالعز والنصر ونزل في منزل أمير الجيوش وهو بيت محمد بيك الألفي الكاين على بركة اليزبكية وفي ثاني الأيام حضر إليه ساير الجنرالية والحكام الفرنساوية والكوميسارية والفسيالية وهنوهُ بقدومه وامرته وحضر علم الديوان والأغاوات والوالي والمحتسب والتجار والأعيان وهنوه بقدومه فالتقاهم بوجهٍ باش وأمنهم وطمنهم وأمرهم يطمنوا الرعية فشملهم الإندهاش وقد اعتجبوا من هيبته وانذهلوا من صولته(٣) إذا كان هذا المقدّم أسداً درغام ذا قوامٍ واعتدال مهاباً بالرجال حسناً بالجمال له صورةً ترعش الكبود وترعب الأسود فنزلوا من أمامه وهم في خشيةٍ من كلامه وبعد ذلك حضر مصطفى باشا وولده وهنوه بقدومه إليهم فالتقاهم أحسن ملتقا وأكرمهم وجلس أمير ٩٢-ب الجيوش كليبر على تخت القاهرة وكان من القوم الجبابرة وفحص الكتابات التي أبقاها له

= بناءً على مشورة أعضاء الديوان، واستمر في خدمة الفرنسيين زمن كليبر ومنو، ثم عُين أميناً للإحتساب زمن العثمانيين بعد خروج الفرنسيين، كما عمل في وظيفة الإحتساب زمن محمد علي باشا أيضاً. أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١١، ١٠٨، ٢٠٨، ٢٣٧، ٣٣٢.

(١) جلوتية: هو القائد الفرنسي Gloutier وهو من القواد العسكريين الذين تولوا مهام سياسية ومالية، وقد كان عضوا في المعهد العلمي في مصر،

أنظر: M.G. Guemard, Essai d'histoire de l'institut d'Egypte, B.I.E., Vol. Vi, VII, P. 53

(٢) عدد الجبرتي في كتابه أسماء أخرى لاعضاء هذا الديوان، الذي أنشىء بعد ثورة القاهرة الأولى. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٣٧ ولقد أنشأ كليبر ديواناً جديداً بعد احتلال القاهرة إثر ثورتها الثانية. أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٧ .

(٣) أمام هذه الصورة التى رسمها الترك للجنرال كليبر، سوف نقدم وصفاً لهذا الجنرال ذكره جونكير في كتابه عن أحد معاصري كليبر من الفرنسيين «كان كليبر رجلا كبير القامة، نبيل الوجه، ذا عينين حادتين، يتميز بصوت جهوري، وكان له هيئة القائد العسكري المهيبة، وكانت طباعه متفهمة وقاسية.

أنظر: de la Jonquière, Vol. V, 655-656

بونابارته واطّلع على جميع الإرتشاد الذي أرشده به وفهم الكتابات التي توجهت إلى الدولة العثمانية عن يد مصطفى باشا فابتدا أمير الجيوش كليبر بتداول مع مصطفى باشا بأمر الصلح وكان قد انتشر الخبر في خروج الصدر الأعظم يوسف باشا ضيا المعدني[1] من مدينة القسطنطينية بالعساكر الهمايونية لاستخلاص المملكة المصرية من يد الفرنساوية فوصلت الكتابات للأمير كليبر من الصدر الأعظم عن يد مصطفى باشا كوسا وكان خروج وزير الختام[2] من القسطنطينية في شهر ربيع الأول سنة ١٢١٤ وقد استكنت حركة مملكة مصر في تمليك هذا الأمير وكان هو يحب الهدو والسكون وعدم مقاتلة الناس ويميل إلى التنعم والتعظم وكانت آلات الموسيقة تضرب أمامه بكرة ومساء وكان جولانه قليلاً وسقطت رهبته في قلوب أهالي المملكة وأبقى هذا الأمير جميع ما كان نظمهُ بونابارته في الديار المصرية من دون تغيير ولا تبديل وفي أيام جبر النيل خرج أمير الجيوش بمحفل عظيم مع ساير الجنود وقبطّان القاهرة وكانت أيام ظاهرة وأفراح وافرة ومواكب فاخرة وأمن عظيم وأنس جسيم وضرب في ذلك

(١) عُين يوسف باشا ضيا وزيراً أعظم زمن السلطان سليم الثالث في عام ١٧٩٨ واستمر في منصبه حتى عام ١٨٠٥. وكان من محبذي الاصلاح والتجدد في السلطنة العثمانية راجع:
B. Lewis, the Emergence of modern Turkey (London 1961) P. 58-59.

(٢) وزير الختام: رجع العثمانيون إلى ما جرت عليه الحكومات الإسلامية من قبل من حيث أعطاء لقب وزير إلى أكبر موظف في الدوائر الحكومية. وكلمة وزير فارسية الأصل وقد استخدمها العرب ثم استخدمها العثمانيون، ونظراً لتزايد عدد الوزراء في السلطنة العثمانية إضطروا إلى تعديل لقب وزير بإضافة كلمة الختام أو الأعظم إلى أعلى الوزراء رتبة، وهكذا وجد منصب الوزير الأعظم الذي أصبح منذ القرن السابع عشر المسؤول الأول عن الادارة كما أعطي قيادة جيوش الامبراطورية. أنظر مقال:
Franz Baliger dans encyclopédie de l'Islam, 1ère ed. Vol IV, P. 1197-1198
وفي عام ١٩٥٤ أوجد السلطان محمد الرابع مقراً رسمياً للوزير الأعظم سُميَّ الباب العالي.وأصبح هذا المقر المركز الرئيسي لتصريف شؤون الدولة ومع الزمن أطلق إسم المكان على إسم ساكنيه وفي القرن التاسع عشر إستعمل هذا التعبير للإشارة إلى آلية الحكم العثماني راجع مقال:
G. Deny «art Bab-Ali» dans l'encyclopédie de l'Islam, 2e em ed, Vol. I, P. 859-860.

الوقت مدافع ليس لها عدد(١) وبعد حضور الأمير كليبر من دمياط أقام مكانهُ حاكماً الجنرال ورديه(٢) ففي هذه المدة حضر نحو خمسين مركب من مراكب الدولة العثمانية إلى ثغر دمياط مشحونة بالعساكر وبعض مراكب من مراكب الإنكليز المقيمين على البواغيظ وكانت هذه المراكب المذكورة هي التي أتت إلى بوغاظ الإسكندرية صحبة مصطفى باشا كوسا وعساكره ولما طلعت العساكر إلى برأبو قير وحصل لهم .ذلك الإنكسار والتدمير فاقلعت المراكب في البحر ورجعت جهزت جانب من العسكر وحضرت إلى بوغاظ دمياط وعند وصولهم أخرجوا العساكر من المراكب ليلاً إلى العزبة فبلغ الجنرال ورديه بأن عساكر المسلمين خرجت إلى البر وبنوا المتاريس فنهض الجنرال المذكور وصار إلى الغربة بخمسماية صلدات وقبل شروق الشمس أقبل عليهم وقسم عساكره ثلثة أقسام وهجم على عساكر الإسلام وثارت نيران الحرب والقتال وازدحمت الرجال والأبطال وحمي الضرب والطعان وما مكثوا إلاَّ برهةً من الزمان حتى ذاقوا الموت أشكالاً وألوان فارموا سلاحهم وطلبوا الأمان(٣) وأكثر ألقوا أنفسهم في البحر خوفاً من الموت والقهر والذل والأسر فمنهم من صعد إلى المراكب ونجا من ذلك الضيق ومنهم من مات غريق وكانوا ثلثة الاف فأسروا منهم ثمانماية بلا خلاف ورجع الجنرال ورديه إلى دمياط بالعز والنشاط وصنع شنكاً عظيماً لأجل ذلك الإنتصار وافتخر أعظم افتخار.[٩٤-أ] وكان قد قبض على مقدم ذلك العسكر

---

(١) يصف الجبرتي ليلة هذا العيد قائلاً: «وقد وقع تلك الليلة بالبحر وسواحله من الفواحش والتجاهر بالمعاصي ما لا يكيف ولا يوصف، فخرجوا عن طورهم ورفضوا الحشمة، وسلكوا مسلك الأمراء سابقاً، وصحبتهم نساؤهم وقحابهم»، أنظر: الجبرتي، مظهر التقديس، ج ١، ص ٢٢٥.

(٢) ورد الإسم في نسخة ڤييت، ص٦٣ الجنرال (برودة)، وكذلك عند حيدر الشهابي ج ٢، ص ٢٨٢، أما في نسخة ديغرانج ص ١٣١ ورد الإسم الجنرال وردية، الواقع هو الجنرال الفرنسي Verdier

(٣) حدثت هذه المعركة في ١٦ تشرين الثاني عام ١٧٩٩، واستطاع الجنرال فيردية الإنتصار على العثمانيين وقد قتل منهم ٣ آلاف رجل وأسر ٨٠٠ بما فيهم قائدهم.
أنظر:
Deherain, Histoire, Vol. V.PP. 467-468

وهو الزرناجي باشي[1] وكان مجروحاً جرحاً بليغاً وأحضرُ لهُ الجنرال ورديه الحكما وأمرهم بمداواته وأخبر أمير الجيوش الأمير كليبر بذلك الإنتصار على ذلك العسكر فلامهُ على عجلته عليهم بسرعة القدوم إليهم وأنه كان واجب إمهال إلى حين تخرج الجميع من المراكب ويبليهم بالهلاك والمعاطب ثم من بعد أربعة أيام مات الزرناجي باشي من ذلك الجرح الأليم والقهر العظيم فآمر الجنرال ورديه أن يصنعوا لهُ ميتماً عظيماً واحتفالاً فخيماً كعادة روسا العساكر واحضر علمآء المدينة وساير الأعيان وقواد العساكر وأرباب الديوان وأمرهم يمشون قدام نعشه وبنادقهم منكسة والبس الخيل الحلل السود ودفنهُ بأكبر الجوامع وأفخر المواضع وفي آخر شهر ربيع الأول سنة ١٢١٤ قدم الوزير الأعظم والدستور ٩٤-ب الأفخم إلى أراضي الشام بالعز والإنعام بالعساكر الكثيرة والجيوش الغزيرة وارتجت لقدومه الأقطار وخشيت سطوته الكبار والصغار وكان وزيراً عادلاً عاقلاً فاضلاً وعن أمور الشريعة مناضلاً يبغض الظلم والعدوان ويحب العدل والإمان فامتلأت الأرض من العساكر والعشاير والجيوش والدساكر وبادرت إلى حكمته الأمراء والحكام والخاص والعام وأصحاب المقاطعات والأقاليم بالتحية والتسليم وقدموا لهُ الهدايا الفخيمة والذخاير العظيمة ثم انتقل إلى غزة بالأكرام والعزة وصحبته الجيوش العظام والباشوات الفخام[2] والغز المصريين الذين كانوا من الأفرنج هاربين وعن ديارهم مطرودين ونشر العدل والأمان في جميع

(١) ورد الإسم في نسخة ڤييت، ص ٦٤ دورنجي باشي وكذلك عند ديغرانج، ص ١٣٢ وعند الشهابي، ج ٢، ص ٢٨٣. الزرناجي باشي: لقب تركي يعني (حارس الطيور)، أما معناه في المصطلحات العثمانية «هو الموظف الأعلى لرحلات الصيد الملكية»، كما يأتي بمعنى قائد فرقة في الإنكشارية أو القائد العام للإنكشارية.
أنظر: Barbier de Meynard, Vol. II, P.311.

(٢) يذكر الغزي أنه في عام ١٢١٤ سافر سبعة آلاف فارس من بكجرية حلب وكان معهم اللواء الكبير متطوعين بصحبة الوزير الأعظم لاخراج الفرنسيين من مصر. أنظر: كامل بن حسين الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج ٣، ص ١٥ كذلك قدّم الأمير بشير الثاني الشهابي لجيش الوزير الأعظم عندما أتى إلى يافا، المؤن اللازمة لجيشه. أنظر حيدر الشهابي، تاريخ أحمد باشا الجزار ص ١٩٥. =

القرايا والبلدان(٢) وطّمن الرعية وأن يكونوا في غاية الحمية حسب الخطوط الشريفة العثمانية والهبات السلطانية وكان قد طلب الجزار إلى المسير إليه بعساكره القوية فاعتذر عن الحضور وتباين بالعصاوة ٩٥-أ والنفور وامتنع عن تقديم الدخاير وأرسال العساكر وخالف الأمير الشريف الفاخر وبعد وصول الصدر الأعظم إلى غزة ابتدأت المراسلات من أمير الجيوش الفرنساوية بالصلح والإتفاق ورفع الشر والنفاق وكان متعاطي تلك الأمور مصطفى باشا كوسا المأسور الذي ذكرهُ تقدم وسبق وسنذكر انشاالله كلما تم واتفق وكنا قد شرحنا أن أمير الجيوش الأمير كيبر قد تدبر حسب ارشاد سالفه بونابارته بالمراسلات عن يد مصطفى باشا بإقامة الفرنساوية بمصر حسبما قدمنا وابت الدولة العثمانية عن ذلك وقدَّم الوزير الأعظم عقد الصلح بشروط حقيقية وعهودات ملوكية وأن يسلّم مملكة مصر المحمية ويخرج بالعساكر الفرنساوية على حمية وحين تحقق أمير الجيوش عدم قبول الدولة العثمانية في إقامتهم بالديار المصرية أجاب إلى اذهابهم بشروطٍ أمينة وعهودٍ متينة وأرسل أحضر الجنرال ديزه من الصعيد وكان هذا ٩٥-ب سامياً في المقام صاحب عقل وتدبير ومقامٍ خطير وأحضر غيرهُ من الجنرالات الكبار وعقد ديوان وقص عليهم الخبر فنظر أن الأكثر لهم ميل إلى السفرَ لعدم الإمداد وكثرة الأخصام والإضطهاد وقد خلص الميعاد الذي وعد به بونابارته وحضر كتابات من الوزير تهديد وتوعيد بالوبال والدمار إن لم يخرجو من تلك الديار ويدهمهم بالرجال والأبطال الذين هم كالرمال والسيل إذا سال بفرسان جبابرة وسيوف باترة وأن يسلموا البلاد ويربحوا دماهم ودما العباد وإن لم يسمعوا نصيحته ولا يخشوا سطوته فيحل بهم العدم ويندموا حيث لا ينفع الندم فرد عليهِ الأمير كليبر الجواب أما قولك أن عساكرك مثل نجوم السما فهذا حقيق معلوم إلا أنها بعيدة عن طاعتك كبعد الأرض عن النجوم وأما قولك أنها

= وعلى عكس الترك علّق الجبرتي مستهجناً ما فعله الجيش العثماني في سورية، «وعسفوا في البلاد الشامية وفرضوا عليها الضرائب العظيمة وجمعوا الأموال وفعلوا ما لا خير فيه من الظلم وقتل الأنفس بسبب استخلاص المال». أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٨٢.

كالرمال هذا ليس فيه محال فهم كثيرون في العدد قليلون على الصبر[٩٦-أ] والجَلَد وقلوبهم أصغر من حبة الرمل وقوتهم أضعف من قوة النمل وأما عساكرنا الشداد فهي قليلة التعداد ولكنها قوية البطش في الجلاد قريبة إلينا ودائماً طوع لدينا فإن دفعناها إلى الموت تندفع وأن أردنا رجوعها ترتجع وأن منعناها تمتنع ونحن في كل دقيقة من الزمان مستعدين للحرب والطعان وقهر الفرسان والشجعان وقبول ما يقدّر علينا العزيز الرحمان واستّمرت الأمور على هذا المنوال والخوف منقسم بين الفريقين على كل حال فلهذا جعل كلّ من الفريقين وسايط إلى الصلح والإصطلاح وعدم النزاع والكفاح وحقن دم العباد وعدم خراب البلاد وكان الوسيط بذلك مصطفى باشا كوسا ما بين الأمير كليبر وبين الوزير ثم تقدَّم إلى التوسّط الجنرال سميث سر عسكر الإنكليز[١] القايم في البحر ورابط البواغيظ وانعقد الإتفاق على أساس إرسال شخصين من طرف الوزير الأعظم وشخصين من طرف الأمير كليبر[٩٦-ب] أن يتقابلا في حدود العريش وهناك تتواقع المفاوضات والمداولات وتوضح الفرنساوية شروطاتها وربوطاتها[٢] ثم توجه من طرف الوزير الأعظم مصطفى أفندي الدفتردار[٣] ومصطفى أفندي رئيس الديوان[٤] وتوجه من طرف أمير الجيوش الأمير كليبر الجنرال ديزه[٥]

---

(١) حول الدور الذي لعبه الاميرال سيدني سميث في مفاوضات العريش راجع:

F. Charles - Roux, l'Angleterre.. Vol, II, P. 63, 64, 65

(٢) ربوطاتها: مفردها رابطة وهي استعمال عربي عامي من الكلمة الفصحى رباط وتعنى هنا، إتفاق حول قضية الصلح. راجع:

Barbier de Meynard, Vol. II, P. 7 ef. Dozy, Vol. I, P 501.

(٣) مصطفى أفندي الدفتردار هو الموظف المسؤول عن الإدارة المالية للامبراطورية العثمانية وقد كلف في بدء عهد الإصلاح «زمن سليم الثالث» بتنظيم الضرائب. وكان يشغل مهام وزير المالية، وسوف يعين مصطفى آفندي رشيد وزيراً للخارجية عام ١٨٠٠، أنظر مقال.

B. Lewis. dans l'Encyclopédie de l'Islam 2 em ed., Vol. II, P. 85.

(٤) مصطفى أفندي رئيس الديوان: أو رئيس الكتاب، هكذا ورد الاسم في نسخة ڤييت، ص ٨٥، وعند الجبرتي، ج ٣، ص ٨٣.

رئيس الديوان: هو رئيس الكتبة في الديوان، أي رئيس «ديوان القلم»، ويهتم خاصة بأمور شورى الدولة، كما عليه الإهتمام بتحضير وتنظيم وتأسيس المراسيم والقوانين والأوامر (باستثناء

والكوميسار بوسلنج[1] وتقابلا الفريقان بأراضي العريش وابتدأت المداولة بين هولا الأربعة أشخاص وقدّمت الفرنساوية شروطها وقدمت العثمانلي ربوطها وكلّ من الفريقين يكتب ما يتوقع إلى والي أمره ويستنظر الجواب والوزير في أرض غزة وكان حينما تم ذلك الإيراد وشاعت أخبار الصلح بين العباد تقدمت بعض عساكر الإسلام إلى أراضي العريش ونصبوا الوطاق قريب من القلعة وأما العساكر الفرنساوية الذين في القلعة كانوا ثلثماية صلدات وسر عسكر الجنرال غزال[2] وبقي البعض من العساكر يتقدمون إلى القلعة ويخاطبون العساكر الصلدات ويعرفوهم في الصلح.[٩٧-أ] التي توقّع فيما بينهم وصارت الصلدات الفرنساوية تنزل من القلعة ويختلطون في عساكر الإسلام ووقع الوداد بين الجنرال غزال وبين مصطفى باشا ارناؤوط[3] فدعا الجنرال المذكور إلى مصطفى باشا إلى القلعة وصنع لهُ وليمة عظيمة وحضر الباشا إلى القلعة باناس قليلين العدد وارشد عساكره أنمْ بعد دخولهِ إلى القلعة يهجمون هجمةً

= الامور المالية) ومن مهامه أيضاً إقامة المعاهدات واتفاقيات السلام مع القوى الأجنبية، كما عليه الإهتمام بالامتيازات الخاصة المعطاة للدول الأجنبية في الإمبراطورية العثمانية.

انظر: B. Lewis art,(Diwan) dans l'Encyclopédie de l'Islam, 2eme ed, Vol. 11, P. 347-340

(٥) إستدعى الجنرال كليبر الجنرال ديزه من مصر العليا بتاريخ ١٩ كانون الأول عام ١٧٩٩، وفوضه تمثيل فرنسا في المحادثات لاخلاء مصر صلحاً.

أنظر: Deherain, histoire, Vol. V PP. 468, 469, 471, 472, 473, 474, 475.

(١) بوسلنج: يسميه الجبرتي (الرزناجي، أو ريس الكتاب). أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٢، ص ٢٨، ٨٣. حول دوره في مفاوضات الصلح أنظر:

F. Charles-Roux, L'Engleterre et l'expédition Vol. II, P. 75

(٢) الجنرال غزال: هو الضابط الفرنسي Gazals وهو ليْس جنرالاً، ولكن الترك يطلق على كل قائد فرنسي إسم جنرال، وكان القائد غزال قائد فرقة حامية العريش، التي إهتم الفرنسيون بتحصينها لأنها مفتاح مصر.

أنظر: Deherain, histoire Vol, V P. 470-471

(٣) ورد الإسم في نسخة فييت، ص ٦٥ «رجب باشا»، ولكن الجبرتي يسميه كما في هذه المخطوطة مصطفى باشا، أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٧٢. وكذلك مصطفى باشا في نسخة ديغرانج، ص ١٣٦، وعند الشهابي، ج ٢، ص ٢٨٦.

واحدةً على الباب ويملكون القلعة ويقتلون من لها(١) وكان داير القلعة خندق وأمام الباب جسر من خشب وكانوا الفرنساوية يرفعوه ويضعوه في الحبال وكان من بعد دخول مصطفى باشا من باب القلعة هجمت اوليك العساكر بضجيجٍ عظيم على الباب فلم يعد يمكن الفرنساوية أن يرفعوا الجسر عن الخندق ودخلت العساكر إلى العلقة(٢) ودار السيف بينهم وعندما نظرت الفرنساوية هذه الخيانة سارع أحد الصلدات إلى جبخانة البارود وألقى فيها النار وطلعت الجبخانة والناس متزاحمة وطارت ٩٧-ب تلك العوالم ويا لها من ساعة كانت مهولة إذ قد احترق بها خلقٌ ما لهُ عدد من العساكر العثمانية والصلدات الفرنساوية وسقط حيط القلعة إلى ناحية الباب ومات مصطفى باشا حريقاً بالنار ولم يبقَ من الفرنساوية سوى نحو ماية نفر فتراكمت العساكر وقبضوا عليهم وحضرت الأخبار إلى أمير الجيوش كليبر فيما جرى على الفرنساوية الذين في قلعة العريش فأخذهُ العجب واشتد بهِ الغضب ونبَّه على العسكر بأخذ الاهبة للسفر وأحضر مصطفى باشا كوسا وأخبرهُ بما جرى وتدبر على عسكره من الموت والضرر وشرح لهُ غدر الإسلام وخيانتهم وكثرة جورهم وعدم إمانتهم فتصاعب الأمر عليه وكبر ذلك لديه وقال لهُ على موجب هذا الأسلوب كيف يتّم الصلح وتأمن منا القلوب فبدا مصطفى باشا يقدم لهُ الإعتذار ويطرد من قلبه شرار النار ويدعي جهل عساكرهم وعدم ٩٨-آ طاعتهم إلى اكابرهم ويلطّف لهُ الحادثة ويتمناه أن لا يجعل الأمور ناكثة وكان أمير الجيوش لم يزل مصِّراً على الركوب ومستعداً للحروب وفي مبادي شهر شعبان سنة ١٢١٤ ركب من مدينة مصر إلى مدينة

---

(١) لقد أخطأ الترك لأن قلعة العريش سقطت بسبب عصيان الحامية على قائدها، وهم الذين فتحوا الجسر المتحرك أمام الجنود العثمانيين. أنظر: محمد فؤاد شكري، الحملة الفرنسية، ص ٢٨٦، ٢٨٧. أما الجبرتي فيصف سقوط قلعة العريش، بقتال جرى بين الفريقين إنكسر بموجبه الفرنسيون وربح العثمانيون واحتلوا القلعة. أنظر: عجائب الآثار ج ٣، ص ٧٢. والمصادر الأجنبية تؤكد حدوث حركة التمرد في صفوف حامية العريش:
أنظر: Deherain, histoire Vol. V. P. 470

(٢) الصحيح القلعة.

بلبيس بالصالحية بعدة عساكر قوية وقبل خروجه من الكنانة أحضر العلما وأرباب الديوان وباقي الحكام والأعيان وأوصاهم على الصيانة وعدم الخيانة ورفع البلابل ومنع القلاقل وحفظ الديار من القوم الأشرار ويوعدهم بالدمار والدثار أن كانوا يذكرون عوايدهم السابقة ويتبعون الرايات المنافقة والمشاقة فتضمنت لهُ العلما والأعيان بهدؤ الرعايا وعدم الافتنان وسار من مدينة القاهرة وشرار الغضب في فواده ظاهرة وتنفسات الصعدا من احشايهِ طايرة وعندما وصل إلى أرض الصالحية بدا يختبر العساكر بفطنته الزكية فوجد قلوبهم منقسمة ووجوههم غير مبتسمة ونفوسهم [٩٨-ب] قلقانة ومن النفور ملانة وقلوبهم إلى السفر ظمانة ومتحسرين من نفور أهل الكنانة وخاشيين من الغدر والخيانة وقد كان أخبرهُ حاكم مدينة بلبيس أنهُ طلب الصلدات إلى المسير فامتنعوا ثم أخبروه أيضاً أن الجنرال ورديه حاكم مدينة دمياط أنهُ دق طبول المسير إلى أراضي قطية حسب ما آمر أمير الجيوش فامتنعت الصلدات وأبدت التنكير وآبت عن المسير فقلق الجنرال قلقاً عظيماً إذ كان ذلك ضد[1] العساكر الفرنساوية ثم بلغهُ أيضاً من حاكم مدينة الاسكندرية أن الصلدات الفرنساوية نهضوا على بعض الكوميسارية المسافرين بأمر أمير الجيوش إلى البلاد الأفرنجية ومنعوهم عن السفر بالكلية وقالوا لهم نحن نظيركم بالسوية وبالحرية ومن المحال أن ندعكم تسيروا بهذه الأموال ونحن نقاسي الوبال والنكال أما أننا نسير سوية [٩٩-أ] وأما نملك سوية ثم بلغهُ أيضاً أن أحد الجنرالية وهو جايز في أراضي طنطة[2] مقام السيد البدوي عليه أشرف السلام[3] خرجت عليهِ شردمة من العربان

(١) توجد هنا كلمة ناقصة وهي (عوايد). أنظر: ديغرانج، ص ١٣٨.

(٢) طنطة: مدينة هامة في دلتا مصر، تقع بين فرعي النيل في دمياط ورشيد، هي عاصمة مقاطعة الغربية، تبعدُ عن الاسكندرية ٧٥ ميلاً، وهي مقر للعبادة الدينية لوجود قبر السيد البدوي فيها. راجع مقال J. Walker في Encyclopédie de l'Islam, 1^er ed. Vol IV, P. 687-688

(٣) مقام السيد البدوي: هو مقام الشريف العلوي أبو العباس أحمد البدوي، ولد بمدينة فاس بالمغرب وتوفي عام ٦٧٥ هـ ـ ١٢٧٦م، وبعد وفاته عظموا قبره وبنوا عليه. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٣، ص ٤٨ ـ ٥٠.

والفلاحين وكان صحبته ثلثة آلاف صلدات فلم يرضوا يحاربوهم وحينما تواردت الأخبار إلى أمير الجيوش بذلك آنديوان[1] وعلم ذلك الشأن واتضح لديه بأنّ قلوب الفرنساوية غير مستوية فكتم ذلك بسره وعمل على الصلح والتسليم على ما يقتضيه فكره هذا ما كان من الفرنساوية وأما ما كان من صدر الدولة العثمانية أنهُ كان باذل جهدهُ بإخراج الفرنساوية من المملكة المصرية من غير حربٍ ولا قتال احتساباً مما يعلمهُ من بطشهم في الجدال وقوة باسهم وشدة مراسهم وعدم اكتراثهم ومخافة على خراب البلاد وهلاك العباد وتلاف الاجناد فلذلك ما سرهُ أخذ قلعة العريش [٩٩-ب] بالسيف مما حل بعسكره من الحيف بذلك الحريق الفظيع والأمر المريع فكان يُريهم الحرب والمصادمة ويتهددهم بالأوامر الصارمة وأما قصده ومرامه بأن يخرجوا بالسلامة والصيانة وتستخلص دار الكنانة وكان هذا هو الصواب لأن الفرنساوية من أصعب القوم الصعاب وحربهم مر العذاب وكانوا قد تمكنوا في القلع المكينة وبالحصون المتينة والأقاليم والمدينة ويعلم بأن حروبهم كثيرة ومقاومتهم خطيرة فلذلك كان يرغب أمر الصلح وقد كان كلٌ من الفريقين مقصوده الأمن والنجاح والتقريب والائتلاف وتدبير الأمور من غير خلاف ورفع الخصام وبلوغ المرام فولجت الوسايط بعقد الرباط ورجعوا على ما كانوا عليهِ من الإرتباط وتوفيق الشروط وتمكين العقد المربوط وما زالوا يثبتوا أشياء وينكروا أشياء ويقبلوا أشياء ويرفضوا أشياء حتى تمَّت المواد وحصل المراد واتفقت الأمور على خروج [١٠٠-أ] العسكر الفرنساوي من مملكة مصر بالصلح والأمان وتسليم الديار المصرية لدولة آل عثمان على شروط وثيقة وعقود حقيقة وأمضى عليها الأمير كليبر ووزيره الجنرال داماس ثم الجنرال ديزه ثم بوسلنج مدبر الحدود وأمضى عليها الوزير الأعظم والدفتر دار رشيد ومصطفى أفندي رئيس الديوان وكلٌ من الفريقين أخذ نسخة الشروط وأرسل الوزير الصورة إلى الدولة العلية وأرسل أيضاً الأمير كليبر الصورة إلى مدينة

---

(١) إشارة إلى إجتماع كليبر مع القواد الفرنسيين في الصالحية.

باريز إلى المشيخة الفرنساوية وهذه الصورة[١]

إن الجيش الفرنساوي بمصر عندما قصد أن يوضح ما في نفسهِ من الشوق لحقن الدما ورأى نهاية الخصام المضر الذي حصل ما بين المشيخة الفرنساوية والباب الأعلى[٢] ارتضى أن يسلم الأقليم المصري بحسب هذه الشروط الآتي ذكرها بأمل أن في هذا التسليم يمكن أن يتجدد ذلك الصلح العام في بلاد الغرب قاطبةً.

الشرط الأول ١٠٠-ب

إن الجيش الفرنساوي يلزمه أن يتنحّى بالأسلحة والعزال والأمتعة إلى الإسكندرية ورشيد وأبو قير لأجل أنهُ يتوجه وينتقل بالمراكب إلى فرنسا إن كان ذلك في مراكبهم الخاص أم في تلك المراكب التي يقتضي للباب العالي أن يقدمها لهم قدر الكفاية ولأجل تجهيز المراكب المذكورة بأقرب نوال وقد وقع الإتفاق أن من بعد مضي شهر واحد من تقرير هذه الشروط يتوجه إلى قلعة الإسكندرية واحد من الباب العالي وصحبته خمسون نفراً.

الشرط الثاني

لا بد عن المهلة وتوقيف الحرب بمدة ثلاثة أشهر بالأقاليم المصرية وذلك

(١) حول شروط إتفاق العريش. أنظر: الجبرتي، ج ٣، ص ٨٣ الرافعي، تاريخ الحركة القومية، ج ٢، ص ٣٥٤ - ٣٦٠.

(٢) الباب العالي: أو الباب الأعلى: هو المركز الحكومي للوزير الأعظم هذا وإن استعمال كلمة باب أو عتبة للدلالة على القصر أو البلاط أو مركز حكومة السلطان العثماني، يعود إلى الأزمنة القديمة، وبعد تزايد سلطة الوزير إستعمل تعبير الباب العالي رسمياً منذ عام ١٦٥٤ من قبل السلطان محمد الرابع الذي جعله مقراً رسمياً لوزيره الأعظم، ومنذ ذلك التاريخ أصبح الوزراء العظام يسكنون في الباب العالي ويصرفون فيه شؤون الدولة العليا، واستمر إستعمال هذا التعبير حتى نهاية الإمبراطورية عام ١٩٢٢،

أنظر: G. Deny, art «Bab Ali» encyclopédie de l'Islam, Vol. I, P. 859-860, 2ème ed,

من عهد امضا شروط هذا الإتفاق وإذا صادف الأمر أن هذه المهلة قد تمَّت من قبل أن المراكب الواجب تجهيزها من قبل الباب العالي تحضر مجهزة في المهلة المذكورة فيقتضي مطاولتها إلى أن ينجز الرحيل على التمام ولمن الواضح أنهُ لا بد من اصراف الوسايط الممكنة من قبل الفريقين لكيلا يحصل ما يمكن وقوعه من السجس[1] إذ كان ذلك إلى الجيش أم لأهل البلاد إذا كانت هذه المهلة قد حصل الإتفاق بها لأجل الراحة.

الشرط الثالث

فرحيل الجيش الفرنساوي يقتضي تدبيره بيد الوكلا المنقامين لهذه الغاية من الباب الأعلى وساري عسكر كليبر وإذا حصل خصام ما بين الوكلا المذكورين بوقت الرحيل فمن هذا الصدر[2] ينتخب من قبل حضرة الأدمرال سميث ساري عسكر الإنكليز[3] رجل ينهي المخاصمات المذكورة بحسب قواعد السياسة البحرية السالكون عليها ببلاد الإنكليز.

الشرط الرابع

فَقَطِيَّة والصالحية فلا بد عن خلوصهما من جيش الفرنساوية في ثامن يوم وأعظم ما يكون في عاشر يوم من أمضا الشروط والإتفاق ومدينة المنصور يكون خلوُّها من بعد خمسة عشر يوم[4] وأما دمياط وبلبيس من بعد عشرين يوم وأما السويس فيكون خلوُّها بستة أيام قبل مدينة مصر وأما المحلة الكاينة في

(١) السجس: التغير والتكدر، أنظر: (سجس) قطر المحيط.

(٢) الصحيح الصدد.

(٣) ادميرال: هو الاميرال الانكليزي سدني سميث، قائد الاسطول الإنكليزي في المتوسط الترقي، وممثل إنكلترا في معاهدة العريش.

(٤) ورد عند حيدر الشهابي، ج ٢، ص ٢٨٩، «يكون خلوها من بعد خمسة أيام»، وعند ڤييت، ص ٦٨ «بعد خمسة أيام»، وعند ديغرانج، ص ١٤٣ «بعد خمسة عشر يوماً» وعند الجبرتي، ج ٣، ص ٨٦، بعد «خمسة عشر يوماً».

الجهة الشرقية من بحر النيل فيكون خلوها في اليوم العاشر والضليطة[1] أي إقليم البحرية فيكون خلوها بخمسة عشر يوم بعد خلو مصر والجهة الغربية لا بد أنها تستمر بيد الفرنساوية إلى أن يكون انحدر العسكر من جهة الصعيد فهلذا السبب جهة الغربية وتعلقاتها كما ذكْ لا يتيسر خلوها إلاَّ من بعد انقضا وقت المهلة المعينة إن لم يكن قبل الميعاد والمحلات التي تترك من الجيش تسلّم إلى الباب الأعلى كما هي حالها الآن.

الشرط الخامس

إن مدينة مصر إن أمكن ذلك يكون خلوها بأربعين يوماً وأكثر ما يكون مدة خمسة وأربعين يوماً من أمضا الشروط المذكورة[١٠٢-أ].

الشرط السادس

انهُ لقد وقع الإتفاق صريحاً على أن الباب الأعلى يصرف كل اعتناه في أن الجيش الفرنساوي الموجود في الجهة الغربية من بحر النيل عندما يقصدالذهاب بكامل ما لهُ من السلاح والعزال نحو معسكرهم لا تصير عليه مشق ولا أحداً يشوش عليه إن كان ذلك مما يتعلق بشخص كل واحد منهم يم بأمتعته أم بإكرامه وذلك اما من قبل أهل البلاد أم من جهة العسكر السلطاني العثماني.

الشرط السابع

وحفظاً لإتمام الشرط المذكور وملاحظةً لمنع ما يمكن وقوعه من الخصام والمعاداة فلا بد من استعمال الوسايط في أن عسكر الإسلام يكون دايماً مبتعداً عن عسكر الفرنساوية.

---

(١) الضليطة: أي الدلتا. أنظر: ڤييت، ص ٦٨، أنظر أيضاً الجبرتي، ج ٣، ص ٨٦.

الشرط الثامن

من بعد تقرير وامضا هذه الشرُوط فكلمن كان من الإسلام أم من باقي الطوايف من رعايا الباب الأعلى [١٠٢-ب] بدون تمييز الأشخاص اوليك الواقع عليهم الضبط أم الذين واقع عليهم الترسيم في بلاد فرانسا أم تحت امر الفرنساوية بمصر يُعْطَى لهم الإطلاق والعتق وبمثل ذلك كل الفرنساويين في كامل اوليك الأشخاص من أي طائفةٍ كانت اوليك الذين كانوا في تعلق خدمة المراسلات والقناصل الفرنساوية لا بد عن انعتاقهم.

الشرط التاسع

فترجع الأموال والأملاك المتعلقة بسكان البلاد والرعايا من الفريقين أم مبالغ أثمانها لأصحابها فيكون الشرع بِهِ حالاً من بعد خلوص.مصر والتدبير في ذلك يكون بيد الوكلا في اسلامبول المقيمين من الفريقين لهذا القصد.

الشرط العاشر

فلا يحصل التشويش لأحد من سكان الأقاليم [١٠٣-أ] المصرية من أي ملةٍ كانت وذلك في أشخاصهم ولا في أموالهم نظراً إلى ما يمكن ما يكون قد حصل من الإتحاد ما بينهم وبين الفرنساوية بزمان إقامتهم بمصر.

الشرط الحادي عشر

لا بد أنه يُعْطَى للجيش الفرنساوي أن كان من قبل الباب الأعلى أو من قبل المملكتين المرتبطتين معهُ أعني بِهِ مملكة الإنكليز والمملكة المسكوبية فرمانات الإذن وأوراق المحافظة بالطريق وبمثل ذلك السفن اللازمة لرجوع الجيش المذكور بالأمن والأمان إلى بلاد فرانسا.

الشرط الثاني عشر

عند نزول الجيش الفرنساوي الكاين بمصر الآن أن الباب الأعلى وباقي الممالك المتحدة معهُ يعاهدون بأجمعهم أنهُ من وقت ينزلون بالمراكب إلى حين وصولهم إلى أراضي فرانسا لا يحصل [١٠٣-ب] عليهم شي قط من الضرر فحضرة الجنرال كليبر ساري عسكر العام يعاهد من قبلهِ وصحبته الجيش الفرنساوي الكائن بمصر بأنه لا يصدر منهم ما ياول إلى المعاداة على الإطلاق ما دامت المدة المذكورة وذلك لا ضد العمارة ولا ضد بلدة من بلدان الباب الأعلى وباقي الممالك المرتبطة معهُ وكذلك أن السفن التي يسافر بها الجيش المشار إليه ليس لها أن ترسي في حدٍ من الحدود إلاَّ بتلك التي تختص بأراضي فرانسا إذا لم يكن ذلك في حادثٍ ضروري.

الشرط الثالث عشر

ونتيجة ما توقع الإتفاق عليه من الإهمال المشروط أعلاه بما يلاحظ خلو الأقاليم المصرية والجهة التي وقع عليها هذا الإشتراط فقد اتفق على أنهُ إذا حضر في بحر هذه المدة المذكورة مركب من بلاد فرانسا بدون معرفة غلايين[1] الممالك المتحدة ودخل بمينا الإسكندرية فلازم عن سفره حالاً وذلك بعد أن يكون تحوَّج [١٠٤-آ] بالمآء والزّوادة اللازمة ويرجع إلى فرانسا وذلك بسندات وأوراق الإذن من قبل الممالك المتحدة وإذا صادف الأمر أن مركباً من هذه المراكب يحتاج إلى الترقيع فهذا لا غير يباح لهُ بالإقامة إلى أن ينتهي إصلاحه وفي الحال

---

(١) غلايين: جمع للكلمة المفردة (غليون) وهي كلمة تركية مأخوذة عن الكلمة الايطالية (Galeone) أو عن الكلمة الإسبانية (Gallone) وتعني بارجة حربية.
أنظر: Dozy, Vol. II, P. 286
ويقال القليون، وهي كلمة دخلت إلى العربية بمعنى سفينة حربية، ويقال القليونجية أي البحارة.
أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ١، ص ٦٣.
أنظر أيضاً: Barbier de Meynard, Vol. II, P. 471

من ثم يتوجه إلى بلاد فرانسا نظير الذين قد تقدم القول عنهم عند أول ريحٍ يوافقه.

الشرط الرابع عشر

وقد يستطيع حضرة الجنرال كليبر سر عسكر العام أن يرسل خبر إلى أرباب الحكام الفرنساوية في الحال ومن يصحب هذا الخبر لا بد أن يعطي له أوراق الإذن بالإنطلاق كما يعتني ليسهل بهذه الواسطة وصول الخبر إلى الحاكم بفرانسا.

الشرط الخامس عشر

وإذ قد اتضح أن الجيش الفرنساوي يحتاج إلى المعاش اليومي ما دامت الثلثة أشهر المعينة نحو الإقليم المصري وكذلك لمعاش الثلثة الأشهر الأخيرة ١٠٤ ـ ب التي يكون متبداها من أول نزولهم بالمراكب فقد وقع الإتفاق على أنهُ يقدم لهُ مقدار ما يلزم من القمح واللحم والرز والشعير والتبن وذلك بموجب القايمة التي تقدمت الآن من وكلا الجمهور الفرنساوي ان كان ذلك مما يخص إقامتهم أو ما يلاحظ سفرهم والذي يكون قد أخذه الجيش المذكور مقدار ما كان وذلك من بعد أمضا الشروط فينحسم مما قد ألزم ذاته بتقدمهِ إلى الباب الأعلى.

الشرط السادس عشر

ثم أن الجيش الفرنساوي منذ ابتدا وقوع امضا هذه الشروط المذكورة ليس له أن يفرض على البلاد فرضاً من الفرايض قطعاً بالأقاليم المصرية وبالعكس فإنه يخلّي للباب الأعلى كامل فرض المال وغيرهُ مما يمكن توجيه قبضه وذلك إلى حين سفرهم ومثل ذلك الجمال والهجن والجبخانة والمدافع وغير ذلك مما يتعلق بهم ولا يريدوا أن يحملوهُ معهم ونظير ذلك شؤن الغلال الواردة لهم

من تحت المري[1] وأخيراً مخازن الخرج[2] فهذه كلها لا بد عن الفحص عنها وتسعيرها من الناس وكلا موجهين من قبل الباب الأعلى لهذه الغاية ومن الجنرال الإنكليز وأيضاً من الوكلا المتصرفين بأمر الجنرال كليبر ساري عسكر وهذه الأمتعة لا بد عن قبولها من الوكلا المتقدم ذكرهم بموجب ما وقع عليهِ الشرط إلى حد قدر مبلغ ثلاث آلاف كيس التي تقتضي إلى الجيش الفرنساوي المذكور لسهولة انتقاله عاجلاً ونزوله بالمراكب وإن كانت الأسعار في هذه الأمتعة المذكورة لا توازن المبلغ المرقوم أعلاه في الخسس والنقص في ذلك لا بد عن دفعه بالتمام من قبل الباب الأعلى على جهة السالفة التي يلتزم بوفايها أرباب الأحكام الفرنساوية بأوراق التمسكات المدفوعة من الوكلا المعيّنين من الجنرال كليبر سر عسكر العام لقبض واستيلام المبلغ المذكور.

الشرط السابع عشر

تم أنهُ كان تقتضي الجيوش الفرنساوية ببعض المصاريف لخلوّهم مصر فلا بد أن يقبض ذلك من بعد تقرير مسك الشروط المذكورة القدر المحدود أعلاه بوجة الذي نذكرُه أعني من بعد مضي خمسة عشر يوم خمسماية كيس وفي

(١) المري: مري الشيء، إستخرجه، ومن هنا جاءت كلمة الميري. أنظر: قطر المحيط، مادة مري. أما الميري فهي الضرائب المفروضة على الأراضي والتي تعود إلى الخزينة العامة ويقال مال الميري أو أراضي الميري. راجع: Dozy, Vol. II, P. 628 راجع أيضاً: F.A., Belin, etude sur la propriété fonciere en pays musulman et spécialement en Turquie journal asiatique série V, 19 (avril - mai 1862) P. 229-294.

(٢) مخازن الخرج: هي أوعية لوضع أموال الخراج. أي عائدات الأراضي الخاضعة للضرائب أنظر: R. Dozy, Vol. I, P. 35-36.

والخراج هي الضرائب المفروضة على الأراضي الزراعية وتؤخذ في أكثر الأحيان على شكل غلال. أنظر: Barbier de Meynard, Vol. I, P. 691.

وقد أصبحت كلمة خراج تطلق على الجزية المفروضة على رعايا الدولة العثمانية من غير المسلمين للتوسع راجع:

B. Braude and B. Lewis, Christians and Jews and the Ottoman Empire, New-York 1980.

غلاقة ثلثين يوم خمساية كيس أخرى وتمام الأربعين يوم ثلاثماية كيس أخرى وعندما كامل الخمسين يوم ثلاثماية كيس أخرى وفي الستين يوم ثلاثماية كيس أخرى وفي السبعين يوم ثلاثماية كيس أخرى وفي الثمانين يوم ثلاثماية كيس أخرى وعند غلاقة[١] التسعين يوم خمساية كيس أخرى وهذه كل الأكياس المذكورة هي عن كل كيس خمساية غرش عثمنلي[٢] ويكون قبضها من يد الوكلا المعيّنين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى ولكي يسهل اجرا العمل بما وقع عليهِ الإعتماد فالباب الأعلى من بعد وضع الامضا بالنسختين من الفريقين يوجه حالاً الوكلا إلى مدينة مصر وفي بقية البلاد المستمرة بها الجيوش. ١٠٦-آ

الشرط الثامن عشر

ثم أن فرض المال الذي يكون قد قبضته الفرنساوية من بعد تاريخ تحرير الشروط المذكورة وقبل أن يكون قد اشتهر هذا الإتفاق في الجهات المختلفة بالأقاليم المصرية فقد تنحسم من قدر الثلاثة الاف كيس المقدم القول عنها.

الشرط التاسع عشر

ثم لكي يسهل خلّو المحلات سريعا فالنزول للمراكب الفرنساوية المختصة بالحمولة الموجودة في المِيَن[٣] والأقاليم المصرية مباح بهِ ما دامت الثلاثة

---

(١) غلاقة: غلق الباب أو أغلقه، أو غلقه، فهو مغلق ومنها غلاقة الشهر أو المدة المذكورة أي ما يغلقها من الأيام وهي استعمال عامي، لم يرد في القواميس العربية.

(٢) غرش عثمنلي: إستعمل العثمانيون في المحاسبة الإدارية أو التجارية، وبشكل تقليدي، الوحدات النقدية المستعملة قديماً، ومنها الوحدة النقدية (قرش) والتي كانت قيمتها تعادل ٣٠ بارة، وفي القرن الثامن عشر ٤٠ بارة، وإلى جانب القرش العثمنلي كان هناك القرش الحجازي والقرش المكاوي.
أنظر: Raymond, artisants et commerçants Vol. I, P. 39

(٣) المين: هي جمع لكلمة مينا، وهي كلمة معربة عن الكلمة (مارينا) الايطالية.
أنظر: Dozy, Vol. II, P. 630

أشهر المذكورة المعينة للجهلة وذلك من دمياط ورشيد حتى إلى الأسكندرية ومن الإسكندرية حتى إلى رشيد ودمياط.

الشرط العشرون

فمن حيث أنهُ للإطمنان الكلي في جهة البلاد الغربية يقتضي الإحتراس الكلي لمنع الوبا والطاعون عن انهُ يتصل [١٠٦] هناك فلا يباح ولا لشخص من المرضى أو من اوليك الذين مشكوك بهم ريحة من هذا الدآء الطاعوني أن ينزل بالمراكب بل أن المرضى بغلة الطاعون أو بعلةٍ أخرى أينّما كانت التي بسببها لا يقتضي أن يسمح بصرفه بمدة خلو الأقاليم المصرية الواقع عليها الإتفاق يستمرون في بيمارستان[1] المرضى حيث هم تحت أمان جناب الوزير الأعظم ويعالجونهم الأطبا من الفرنساويين اوليك الذين يجاورونهم بالقرب منهم إلى أن يتم شفاهم فحينئذٍ يسمح لهم بالرحيل الشي الذي لا بد منه اقتضا الإستعجال بهِ بأسرع ما يمكن ويحصل لهم ويبدو نحوهم بما ذكر في الشرطين الحادي عشر والثاني عشر في هذا الإتفاق نظير ما يجري على باقي الجيش ثم أن أمير الجيوش الفرنساوي يبذل جهده في إبراز الأوامر بأشد صرامة لروسا العساكر النازلة بالمراكب بأن لا يسمحوا لهم بالنزول بمينا خلاف المِيَن. [١٠٧] تتعين لهم من رؤسا الاطبا التي في تلك المين وان يقضوا فيها أيام الكارتينا بأوفر سهولة.

الشرط الحادي والعشرون

وكلما يمكن حدوثه من المشاكل التي تكون مجهولة ولم يمكن الاطلاع عليها في هذه الشروط فلا بد عن نجازها بوجه الاستحباب ما بين الوكلا المعيّنين لهذا

(١) البيمارستان: كلمة فارسية مركبة من كلمة (بيمار) أي مريض (وستان) أي مكان ثم اختصرت في الإستعمال فصارت (مارستان) وكانت تعني في أول عهدها مستشفيات عامة تعالج فيها جميع الأمراض والعلل، واقتصر استعمالها في العصر الحديث كملجىء للمصابين عقلياً، أنظر مقال D,M, Dunlop في Encyclopédie de l'Islam, 2ᵉʳᵉ ed, Vol. I; P. 1259 1260
أنظر: أحمد عيسى بيك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، الهاشمية دمشق ١٩٣٩، ص ٤.

القصد من قبل جناب الوزير الأعظم وحضرة الجنرال كليبر ساري عسكر العام بوجه يسهل ويحصل الإسراع بالخلّو.

الشرط الثاني والعشرون

وهذه الشروط لا تعد صحيحة إلّا من بعد إقرار الفريقين وتبديل النسخ وذلك بمدة ثمانية أيام ومن بعد حصول هذا الإقرار لا بد من حفظ هذه الشروط وحفظ اليقين من الفريقين كليهما ثم صح وتقرر بختوماتنا الخاصية بنا بالمعسكر
١٠٧-ب حيث وقعت المداولة بحد العريش في شهر بلويوز[١] سنة الثامنة من إقامة المشيخة الفرنساوية وفي رابع وعشرين شهر كانون الثاني سنة ١٨٠٠ المسيحية الواقع في ثمانية وعشرين من شهر شعبان هلالي سنة ١٢١٤ للهجرة.

وهذه اسماء الوكلاء الممضيين

مصطفى افندي رئيس الكتاب	بوسلنج مدّبر الحدود	جناب مصطفى رشيد أفندي دفتردار
الجنرال ديزه المتفرقة[٢]	الجنرال داماس[٣]	ممضي الجنرال كليبر

صح وجرى بمحل المعسكر العام بالصالحية[٤] ثم أن الجنرال كليبر من

(١) شهر بلويوز: المقصود شهر Pluviose، وهو الشهر الخامس من تقويم الجمهورية الفرنسية ويمتد من ٢٠ - ٢٢ كانون الأول حتى ١٩ - ٢١ شباط.

(٢) المتفرقة: هي إسم لإحدى الفرق الإنكشارية، وينقسمون إلى نوعين إما إقطاعية أو متقاضيين أجوراً، ولهذه الفرقة قائد مستقل يسمى (المتفرقة باشي). أنظر: جب وباون، المجتمع الإسلامي والغرب، ج ٢، ص ٢٤٨. ولقد استعار الترك كلمة متفرقة ونسبها إلى ديزة إشارة إلى وظيفته في الجيش وهي قائد فريق.

(٣) الجنرال داماس: هو الجنرال الفرنسي فرانسوا ايتين، ولد في باريس عام ١٧٩٤، وتوفي عام ١٨٢٨.

أنظر: M. Gaston Honsy, un egyptien colonel dans l'armée de Napoléon 1er, B.I.E. Vol. X, (1928) P. 89

(٤) أقيم المعسكر الفرنسي العام في قرية الصالحة من مديرية الجيزة الواقعة على الشط الشرقي لترعة الملاح. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٣، ص ٦.

بعد ما أمضى على الشروط المقدم ذكرها نهض من أرض الصالحية ورجع إلى القاهرة وأرسل صورة الشروط إلى المطبعة الفرنساوية وطبعها في العربية وأرسلها إلى الديوان الخصوصي بمصر وهو ديوان العلمآء وشاع خبرها في ساير الاقاليم المصرية وصار فرح عظيم عند الملة الإسلامية[1] باستفاذ[2] مصر من يد الفرنساوية ورجوعها إلى الدولة العثمانية. ١٠٨-أ وبدأ الأمير كليبر أمير الجيوش يجمع العساكر من الأقاليم ويرسلها إلى بندر رشيد وإلى الاسكندرية وفي هذه الفترة عزم على السفر الجنرال ديزه وبوسلنج[3] مدبر الحدود وسافر أيضاً عدة جنرالية وكوميسارية والجنرال دوكا والجنرال ويال وغيرهم وهولا جميعهم اتفقوا أن يبيعوا خيولهم واثقالهم ويستحضرون ما يلزمهم في الطريق وأما ما كان من الوزير الأعظم فأنه من بعد مضيّ الشروط المقدم ذكرها أرسل فرمان إلى مصطفى باشا كوسا أنه يكون قيمقامه في القاهرة إلى أن يحل ركابه السعيد ثم ارسل فرماناً للتاجر المعروف بمصر بأحمد المحروقي[4] وأنه يكون مباشر مع مصطفى باشا أمور مدينة مصر وأقطارها ثم ارسل صورة الشروط إلى الباب الأعلى وطلب مراكب السفر للفرنساوية من الأسكندرية حكم الشروط المحررة وصار في مدينة القسطنطينية فرحاً عظيماً وأمر السلطان سليم بزينة عظيمة وَضُرِبَتْ ١٠٨-ب المدافع الكثيرة وبدت تتجهز المراكب وتوسق البضايع من القسطنطينية وغيرها لمصر وإلى الاسكندرية وسياتي عنها النص وشاع أخبار هذا الصلح في

---

(١) يعلق الجبرتي على فرح أهل القاهرة بعد توقيع صلح العريش الأمر الذي دفعهم إلى الاستهتار بالفرنسيين فيقول: «أخذوا يتغنون برفع أصواتهم ويتجاوبون بكلام وسخريات ولعن للنصارى البلدية والفرنسيين على مرأى ومسمع منهم» أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص٨٨.

(٢) الصحيح استعاد

(٣) ترك الجنرال ديزه وبوسلنج مصر بتاريخ ٢١ آذار ١٨٠٠.
أنظر: Deherain, histoire.. Vol. V P. 479

(٤) تولى التاجر أحمد المحروقي مهمة جمع المال من القاهريين، لإعطائه للوزير الأعظم في سبيل ترحيل الفرنسيين ويقول الجبرتي حول هذا «وقد كان كل من توجه عليه مقدار من ذلك أخرجه عن طيب قلب وانشراح خاطر لعلمهم أن ذلك معونة لترحيل الفرنسيين وخلو أرض مصر منهم». أنظر: كتابه، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٨٨.

ساير الأقطار وكامل الأمصار وكان فرح عظيم وسرور جسيم وأنتشرت الأعلام في أراضي الشام وكان عند الإسلام الفرح التام وبدا الوزير الأعظم يتقدم بالجيوش والعسكر وكلما أخلت الفرنساوية محلاً من البلاد يرسل لهُ العساكر والأجناد وما زال الوزير يتسلم من الفرنساوية القلع والحصون والبلدان العامرة إلى أن صار بالقرب من القاهرة وحضر إليه الأمير مراد بيك الذي كان مقيم في أراضي الصعيد ومعهُ جملة من السناجق الكشاف وأكرمهُ الوزير واعطاهُ ولمن معهُ وكان قد تضايق من طول الغربة وتاردفت العساكر العثمانية والجيوش السلطانية وامتدوا إلى مدينة بلبيس وإلى العادلية وبقوا مسافة ثلاثة ١١٩-أ ساعات عن القاهرة بالجيوش الوافرة والعساكر المتكاثرة واجتمعت عليهِ العربان وسكان تلك البلدان وبقت العساكر تنوف عن ماية الف وخرجت أعيان مصر والعلما والحكام وتجار وأعوام إلى مقابلة وزير الختام وأندهش السمع والبصر من رؤيا ذلك العسكر والجيش المفتخر وكادت القلوب أن تذوب من الفرح والسرور من تغيير تلك الأمور وخلاص بلاد المسلمين من يد الكافرين وفي افضل الشهور وأحسن السنين تنكست أعلام الفرنساويين وسافر أكثرهم إلى الأسكندرية وخليت منهم غالب أراضي المصرية وجعل الوزير الأعظم يرسل إلى مصطفى باشا أن يعلم الساري عسكر الأمير كليبر أنه يُعّجل بالخروج من مصر ولو أنه قبل الميعاد ويقيم في بلدة الجيزة وهناك تكمل عدة، لايام المعلومة وأخبر مصطفى باشا الأمير كليبر بذاك فاغتاظ من ذلك الأمر وأجابه ان الوزير اسرع بقدومه إلى ارض مصر ١١٩-ب ولم يسر على حكم ما تقرر في الشروط فلأجل ذلك نخشى وقوع الخلل بين العساكر إذ انني أرى عساكرهم مختلطين مع عساكرنا وهذا ضد الشروط التي أمضينا عليها حتى إلى الآن لم أرى الذخاير تحضرت ولا المراكب تجهزت وأنا فلا يمكني الخروج إلى الجيزة قبل تمام الميعاد وتتميم المدة المعينة إلى آخر دقيقة وأعرض مصطفى باشا على الوزير جواب الأمير كليبر فليمنع الوزير من ذلك السبب ولم يكل من الطلب من هرج الجماهير والعصب وميل العساكر لبلوغ الأرب إذ كان عجبهم يا لهُ من عجب ولا يسلم العجب

من العطب فكانوا يلجون في طلب الكنانة بقلوب من الاحقاد ملانة وفي نفوسهم الغدر والخيانة هذا وعساكر الفرنساوية لم تزل على حال واحد مستوية وهم سايرين وعلى ما بينهم من مكرهم مآمنين وفي بعض الأيام جاز احد الصلدات في أحد الشوارع فنهضوا عليهِ خمسة من الإنكشارية وضربهُ أحدهم بالياتغان(١) فقتله وتراكضت الصلدات الفرنساوية وأخبرت أمير الجيوش فأمر العساكر أن تتجهز وتستعد للمصافقة وصارت رجةً عظيمة في المدينة(٢) فبلغ مصطفى باشا كوسا فركب حالاً من منزله وحضر إلى بيت الساري عسكر فوجده في حالة الغضب مستعد للأفتراس والعطب وبدا يعاتب مصطفى باشا ويلوم الوزير على سرعة انتقاله وعدم ضبط رجاله ويذكره ما تقرر في الشروط من عدم اختلاط العساكر خشيةً من مثل هذه المشاكل والمخاطر فاخذ مصطفى باشا يبرر ذاته ويروّق عكاره ويوعده بمنع العساكر عن الدخول وبقتل القاتلين الخمسة دية المقتول ولم يزل يربطه بلين الخطاب حتى نزع ما بقلبه من الإضطراب وانعم لهُ وأجاب ثم نهض مصططفى باشا في الحال وأعرض على الوزير ما حدث من التكدير وانذرهُ غاية التنذير وحذرهُ غاية التحذير أنهُ يكون على حدقٍ بصير وينّبه على الكبير والصغير ويمنع عن الدخول إلى مصر القليل والكثير ولا يترك أحد يدخل إلى مدينة القاهرة خشيةً من وقوع المخاصمة والمشاجرة فلما فهم الوزير الأعظم ما اعرضه مصطفى باشا غضب غضباً شديد ما عليه مزيد وأمر بامتناع العساكر عن الدخول إلى القاهرة وبقتل الخمسة انفاراً عوضاً عن المقتول وقبض على الخمسة المذكورين وارسل خنقهم قدام بيت الساري عسكر في بركة اليزبكية ورقدت الفتنة واستكنّت الفرنساوية هذا والوزير الأعظم لم يزل يطلب الدخول إلى القاهرة قبل تمام الميعاد المعيّن في

---

(١) الياتقان: الصحيح الياتقان، وهي كلمة تركية تعني خنجراً ذا حد محدوب، يوضع عادةً في الحزام. أنـظر: Barbier de Meynard, Vol. II, P. 861

(٢) حول هذه المشكلة التي وقعت قبل نقض إتفاق العريش. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٩٠.

الشروط من تقمقم العساكر عليه وأمير الجيوش لم يمنُه من ذلك حتى تتم الوعدة وتنقضي المدة وكان الأمير كليبر يجمع الجبخانة والعساكر من القلع والحصون ولم يبقَ سوى القلعة [١١١-أ] الكبيرة فقط ولما انتهى الميعاد على التمام وفاض عليهِ خمسة أيام ارسل الأمير كليبر سر عسكر العام إلى مصطفى باشا أن يتسلم القلعة الكبيرة وكان ذلك نهار الاربعة الواقع في ثمانية من شهر شوال ذي المعامع والأهوال فابى مصطفى باشا أن يتسلم القلعة نهار الأربعة وذلك لما يعتقدون به من النحوسات والتنكيس وترك التسليم إلى يوم الخميس وكان به الخطا والتعكيس وكان قد رحل أكثر برّ ـ الفرنساوية إلى برّ الجيزة ولم يبقَ منهم سوى القليل والساري عسكر وشرذمة وجيزة وفي تلك ليلة الخميس الذي كان بدو التعكيس إذ كانوا عزموا عند الصباح بتسليم مصطفى باشا القلعة الكبيرة فحضر كتابة إلى الأمير كليبر من الجنرال سدني سميث ساري عسكر الإنكليز وبه يقول(١) أنه لقد حضرت لي كتابة جديدة من مملكة انكلترا كرسي الدولة الإنكليزية إنني لا أسمح لكم بالخروج من [١١١-ب] مملكة مصر إلاَّ اسرا بيدنا من بعد ما تسلمونا جميع أموالكم وكامل سلاحكم وتسيرون معنا إلى مملكة انكليترا كرسي دولتنا وأما عهودكم وشروطكم مع الدولة العثمانية على التسليم والذهاب إلى مملكة باريز كرسي المشيخة الفرنساوية فهي صارت فاسدة وعلى غير قاعدة وإذ كنا نحن الوسيطين سابقاً وواضعين شهادتنا بها فلزم أننا نبّه عليكم بانتقاضها من بروز الأوامر الجديدة وذلك حكم القوانين الملوكية الدارجة بين الممالك والإفرنجية ليكلا يعود على دولتنا الغدر والخيانة فاعتمدوا تنبيهنا عليكم قبل تسليم الكنانة فلما وصل ذلك الكتاب إلى أمير الجيوش الفرنساوية وأطّلع على تلك الألفاظ المنكية فاتقدت به النار وأنشب مع انفه الشرار وأحضر حالاً كامل الجنرالية وباقي روسا العساكر وساير الفيسالية وعقد [١١٢-أ] ديواناً في منزله على شاطي بركة البزبكية

---

(١) حول الرسالة التي وردت من الاميرال سدني سميث بتاريخ ٨ آذار ١٨٠٠، أنظر:

F. Charles-Roux, l angleterre et l expédition Française, Vol. II, P. 71

أنظر: شكري، محمد فؤاد، عبد الله جاك منو، ص، ١٩٧.

وقرأ عليهم كتاب الجنرال سميث سر عكسر الدولة الانكليزية فشملهم حزنٌ عظيم وغمٌّ جسيم وتحركَت الاحقاد في القلوب وكانت أن تذوب منهم الكبود وعظم عليهم ما في ذلك المكتوب ونادراً جميعهم بصوتٍ واحد وقلبٍ جامد الدمار الدمار بهذه الديار ولا الوقوع بهذا الاستئيسار فطفق أمير الجيوش يعج عجيج الدهوش بصوت أفظ من صوت الوحوش ويذكرهم افعالهم وتغير أحوالهم وعدم امتثالهم وحنينهم إلى الأوطان وترك الحرب والطعان وأنه لم يقبل إلى هذا الصلح والتسليم إلاّ من بعد ما شاهد قلقهم العظيم ومللهم الجميم فاجابوه الجميع أننا لا نخرج إلاّ على موجب الشروط والوثائق المربوط وبدون ذلك لا تتهيأ لنا المسالك فنبّه على وزير الخام ان يرجع إلى اراضي الشام ويثبت لنا شروطه ويؤيد لنا خطوط بكتابةٍ من دولة الإنكليز ويمضي عليها ملكهم لا من المقيم على البواغيط ١١٢-ب باذهابنا إلى مملكة باريز بأمنٍ حريز وإن كان لم يرتجع عن دربه فيلزمنا ان نتصدر لحربه وتكون عهوده معنا غير صادقة وقصده أخراجنا، بالمخاتلة والمنافقة ليقلينا في يد أعدانا ويكونوا الجميع مترابطين على سفك دمانا فعندما نظر أمير الجيوش تمكّن قلوبهم فاجابهم إلى مطلوبهم واوعدهم بصدّهم وردهم إلى أن يبلغوا مرغوبهم وأنتهى الديوان وأنصرف اوليك الأعيان وبدا امير الجيوش يفرق الإعلام على العسكر ويعرفها بأبطال السفر وشاع الخبر وانتشر وبدت العسَاكر ترجع إلى منازلها إذ كان خرج أكثرها إلىٰ برّ الجيزة ولم يبقَ منها إلاّ شرذمة وجيزة واحضر حالاً مصطفى باشا وأخبره بالكتاب الذي ورد من الجنرال سميث وأن يخبر الوزير الأعظم أن يرجع بعساكره إلى حدود العريش ويقيم في ذلك المكان لبينما يخاطب دولة الإنكليز ويستأذنهم ١١٣-أ باخراج الجمهور الفرنساوي من مملكة مصر واذهابهم إلى بلادهم والأوطان حكم الاتفاق المقرر في الشروط على موجب العقد المربوط فغاص مصطفى باشا في تيار من الأفكار ليس له قرار وقال لعمري أن هذا الخطب خطير وامر عسير فلا حولَ ولا قوة إلاّ بالله العزيز القديس لأنه كان ذايقاً تلك الروعة وشارباً كاس اللوعة فنزل من أمام السر عسكر كليبر وهو في همٍ وغمٍ كثير وسار إلى منزله

واعرض على الوزير ما سمعه من الجنرال كليبر فاغتاظ الوزير غيظاً عظيماً وغضب غضباً جسيماً وابتدوا يتداولون كيف ينهم يحتالون على اخراج الفرنساوية من المدينة بطريقةٍ أمينة وأن لم يرتضوا يخرجوهم بقوةٍ متينة وكتب الوزير إلى السر عسكر كليبر يقول له أن لقد بلغنا فحوى الكتاب الذي ورد اليكم من الجنرال سميث ساري عسكر الإنكليز وأنه قد توعَّد لكم بالاستئسار بعد خروجكم من هذه الديار.[١١٣-ب] فكونوا آمنين مطمأنين ومن هذا القبيل غير خاشين فالساري عسكر المذكور لا يستطيع أن يتعرض لكم من بعد إشهار خاطر الدولة العلية عليكم ونحن انشآءَ الله نهيئى لكم كلما ياؤل إلى راحتكم ولا ندع الإنكليز يعارضكم وتسيروا في مراكبنا إلى أرضكم ومواطنكم بكل أمان واطمنان بدون ثقلة ولا هوان وحاشا أن بعد الشفقة تبدا نحوكم القساوة فالمراد أن تسلموا المدينة واذهبوا إلى بلدة الجيزة وأقيموا هناك بكرامةٍ عزيزة لبينما تتجهز لكم الذخاير والمراكب وتسيروا على حسب الشروط المقررة والعهود المحررة فقد تم وانتهى ميعاد إقامتكم في مدينة مصر ولم نعد نسمح لكم بالإقامة بها ولا يوماً واحداً لأننا بغاية الحصر وعساكرنا وافرة وجيوشنا متكاثرة وفرساننا جبابرة ولم نكن قادرين على حجزهم عن الهجوم على القاهرة ونخشى[١١٤-أ] عليكم من التلاف والعدم وتندمون حيث لا ينفعكم الندم فقد نبهنا عليكم بالخروج والسلام وأرسل ذلك الفرمان ليد مصطفى باشا وأوصلهُ المذكور إلى أمير الجيوش الأمير كليبر ولما وصل إليه كتاب الوزير الأعظم غضب وتقمقم ورد جواب إلى الوزير وهو أن الشروط التي تعاهدنا عليها قد انتقضت وفسدت وارتفضت لأن ساري عسكر الإنكليز من بعد إقراره بسفرنا إلى مملكة باريز قد نكث بعهده وخفض بقوله ووعده وقصد لحجزنا وتهيًّا لأسرنا امتثالاً لأوامر دولته وتكميلاً لواجبات وظيفته وقد نبَّه علينا بذلك وأعلمنا بساير المسالك وما مهيًّا لنا من المهالك حسب عوايد الممالك فلأجل ذلك من المستحيل أننا نخرج من هذه المملكة على شروطٍ مشركة أو نَسير بطريقة غير مسلكة ونلقى نفوسنا بهذه المهلكة فينبغي أن ترجعوا بعساكركم أقلّها يكون[١١٤-ب] إلى مدينة بلبيس وتقيموا

هناك لحينما تُخرجوا لنا أوامر جديدة من دولة الإنكليز بسفرنا إلى مملكة باريز حكم الشروط والعقد المربوط وهذا جوابنا والسلام ولما وصل ذلك الجواب إلى وزير الختام اعتراهُ الهم والإغتمام وأخذهُ الإضطرام من ذلك الكلام وتراكمت عليه الأوهام وصعب عليهِ القيام بهذا الجيش الملتام وقامت ضجة عظيمة بذلك العسكر وصاحت الإسلام الله أكبر وطلبوا الهجوم على مصر والمضاربة وكانت أمورهم غير صايبة وأما الوزير الأعظم كان من أعقل وزرا الدولة العثمانية مشهوراً بالفطنة الزكية والأخلاق المرضية وهو من الأرهاط المستوية فبقي حايراً في هذه الأمور الردية وحدوث تلك الحركة القوية وتاه فكره ما بين أمرين مذهلين ومشكلتين عظيمتين وخطرين جسيمين وعظم الأمر عليه كيف يرجع إلى الورا [١١٥-أ] بعد أن كان عزم على دخول القاهرة بالمواكب واللوآء الفاخرة وهو الوالي على العباد وتحت أمره جميع العباد وجيشه كثير الأعداد وقريب المراد وممالك مصر بالحقيقة كانوا ينوفوا عن عشر ملايين خليقة فلم يسع أن يرجع على هذا المنوال وبقي قلبه خايف من الحرب والقتال خشية من الفشل وخيبة الأمل لما يعلم في الفرنساوي من كامل الفروسية في حربهم الشديد وما عندهم من المراس وقوة الباس وتملكهم للقلع والحصون وانصبابهم على الموت والمنون ولكن غلبت عليهِ قوة لنفس وما أمكنهُ يجاوب إلَّا كجواب أمس وفرَّق الأعلام على القبايل والعشاير وبدا يضم لعنده الجيوش والعساكر وحينما وصل الجواب الثاني إلى أمير الجيوش الأمير كليبر ووجد النص كالأول وأن الوزير عن أبواب [١١٥-ب] مصر لا يتحول فجاوب هو أيضاً بعدم الذهاب والخروج وبدا يحصّن القلع والبروج وكتب إلى ساير العساكر الفرنساوية التي كانت سايـرة إلى رشيد الإسكندرية أن يرجعوا إلى مصر وبدا يضعهم خارجاً عند باب النصر ونصب المضارب والخيام على باب البلد من الجبل الجيوش[1] إلى البحر وتكامل

(١) الجبل الجيوشي: هو جبل مقدس يقع بالقرب من قلعة القاهرة، وكان يستخدم في الماضي حصار القلعة مقر الباشا العثماني، أثناء الصراعات التي حصلت بين الباكوات المماليك والطوائف العسكرية المختلفة في مصر في القرن السابع عشر. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ١، ص ٢٤، ٣٠، ٣٦، ٤٥، ٤٦.

عسكره على ثمانية عشر ألفاً مقاتل من كل ليثٍ مجادل وقرمٍ مخاتل واجتمعت العساكر العثمانية مع الطموش[١] المصرية على نحو ماية وستين ألف وامتلأت بهم تلك البواري من كل وادي ونادي والمخاطبات كالمجاوبات على نصٍ احد وزعمٍ جامد وقلبٍ متباعد وكل منهم بعيد التداني ولا يلين أحدهما إلى الثاني واستقامت تلك المحاولات والمخاطبات على ذلك المرام سبعة أيام ثم طلب الوزير الأعظم واحد من المتقدمين عند الأمير كليبر لأجل المفاوضة بذلك الأمر العسير فأرسل لهُ الجنرال بوضوط[٢] مع ترجمانه الخاص[٣] فسارا إلى العسكر العثماني [١١٦-أ] وعند دخولهما على الوزير تحرك بالغضب عليهما ولعنهما وشتمها وأمر بالقبض على الجنرال بوضوط وطرد الترجمان وقال لهُ اذهب إلى مولاك الكافر وقل لهُ إن لم في الغد يسافر وإلاَّ دهمتهُ بهذه العساكر وأطلقت فيكم النار ولا أعفي على كافر من هولا الكفار ورجع الترجمان وهو مرعوب فزعان ودمعهُ هتَّان على ما حل بصاحبه من الذل والهوان وأخبر الأمير كليبر بما سمع من الوزير وكيف أسر الجنرال بوضوط وتركه في القيود مربوط وما توعد بهِ من الدمار والدثار إن لم يخرجوا من تلك الديار فلما سمع أمير الجيوش ذلك الخبر طار من عينيه الشرر وكاد قلبه ينفرط وقام وقعد وأرغا وأزبد وفي الحال آمر بخروج المدافع والجبخانة وأحضر مصطفى باشا كوسا الذي كان في مصر مقيم ووضع عليه الترسيم وأحضر القنصل النمساوي وقبض عليهِ لأن ملكهُ كان متحد مع الدولة العثمانية [١١٦-ب] وفي تلك البلاد يحارب الفرنساوية وسجن الإثنين في منزله

---

(١) الطموش: الطمش أي الناس والطموش هو جمع عامي يعبر عن جماهير العامة أنظر: لسان العرب، مادة (طمش).

(٢) لقد أرسل الجنرال كليبر الجنرال بودوف Baudeuf مبعوثاً من قبله للمفاوضة مع الوزير الأعظم بناءً على طلبه، بتاريخ ٢٠ آذار ١٨٠٠، ولقد أمسكه العثمانيون وربطوه بذنب حصان وعومل في معسكرهم معاملة سيئة حتى اليوم الذي انتقل فيه إلى بارجة القبطان حسن باشا.
أنظر: Deherain, histoire de la nation Egyptiènne Vol. V, P. 487

(٣) أما الشخص الذي رافقه كترجمان كما يقول الترك فهو Santi Al Hamaca
أنظر المصدر السابق: Deherain P. 487

الكاين في بركة اليزبكية وكان ذلك نهار الخميس الواقع في ست وعشرين شوال الذي بهِ حال الإرتحال وبان تغيير الأحوال ولاحت علامات الأهوال وبات الساري عسكر تلك الليلة على نية الحرب والقتال ومصادمة الأبطال وأرسل الأخبار إلى روسا العسكر أن يكونوا على غاية الحذر وأن السير قبل طلوع النهار سبحان الله القهار القاهر الجبابرة الكبار وهو العزيز الجبار ذو الجلالة والإقتدار ولما كان نصف ذلك الليل ركب أمير الجيوش بالخيل وسارت قدامه تلك الأبطال والفرسان الذين كان الجان أو عفاريت سيدنا سليمان لا يهابون الموت ولا يخشون الفوت فليس لهم عن الحرب عائق ولا يخشون حلول البوايق[1] بهجمةٍ أقوى من الجبال وقلوبٍ ١١٧-أ قد تعوَّدت على لقا الأهوال وكان قد ترك في منزله الجنرال درانطون[2] مع ستين نفر صلدات[3] لأجل حفظ المنزل من الآفات وفي القلاع قليل من الرجال وعندهم المرضى والمشوّشين الذين من الحروب معطلين والكتّاب والنسا والذين لا يدخلون الحرب تركهم في الجيزة وظلب بذلك الجمع الغفير قتال عسكر الوزير ويكبس على عسكر الإسلام في حندس[4] الظلام والناس نيّام ويبلغ منهم المرام ومن قبل أن يصل إليهم ويهجم غليهم أطلق مدفع التنبيه ثم أطلق ثانية فانتبهت عساكر الغز المصريين لأنهم كانوا من ذلك معودين وذاقوا حرب الفرنساويين وركب مراد بيك جواده وقد ارتعد فواده وأرسل إلى ناصيف باشا ابن الوزير الأعظم[5] يقول لهُ

---

(١) البوايق، أي البوائق، الدواهي، وقد جاء في لسان العرب، دفعت عنك بائقة فلان، والبوق من الشيء أشده. أنظر: لسان العرب، مادة (بوق).

(٢) هو ليس جنرالاً بل ادجودان جنرال درانتون L'adjudant général Durantean وقد بقي في ٩٨ القاهرة للحفاظ على مقر القيادة العامة الفرنسية.

أنظر: Deherain, histoire, Vol. V P. 485

(٣) لقد كان مع الادجوان جنرال درانتون ٢٠٠ مقاتل واستطاع أن يرد الثوار في ثورة القاهرة الثانية عن مقر القيادة العامة.

أنظر: Deherain, Ibid P. 489

(٤) حندس: يقلل، ليل حندس، أي ليل شديد الظلام. أنظر: لسان العرب، مادة (حندس)

(٥) ورد الإسم في نسخة ڤييت، ص ٨٠ مرة ناصيف باشا وأخرى نصوح باشا، وهذا الإختلاط نجده =

الفرنسيس اقتربوا إلينا والظاهر أنهم كابسين علينا فانهض بالعساكر ولا تكن غير [١١٧-ب] فاكر فأجابه ناصيف باشا بقلب فاتر أن الفرنسيس الكافر لا يستطيع الهجوم على هولا العساكر وفي تلك الساعة أطلق أمير الجيوش المدفع الثالث الكبير وهو مجد بالمسير فتحقق ناصيف باشا قدوم الكفار وبقي في رعب وافتكار وأيقن بالذل والإحتقار وكان هو في أول العسكر في الإنكشارية مع الغز المصرية وانتبهت عساكر الإسلام واستعدوا للحرب والصدام ومشوا بضجةٍ وهرج طالبين ملاقاة الإفرنج هذا والفرنساويون قادمون عليهم بقلبٍ غير هايم وضرب البارود الدايم ولما تقاربا الفريقان هجمت الإسلام بضجيج ارتعدت منه الجبال ولكن بقلوبٍ مرتاعة من لقا الأهوال فرجعت الفرنساوية إلى خلف بمخاتلة ومكيدة حتى طمعت بهم تلك الجماهير المتشددة فانقسمت الفرنساوية قسمين وأطلقوا عليهم مدفعين ثم أطلقوا عليهم نار البارود ودهمتهم تلك العساكر والجنود. [١١٨-أ] فيا لها من ساعة يكل عن وصفها اللسان وترتعد من ذكرها الأبدان وترتعب من سماعها الإنس والجان وتصادمت تلك الجيشان العظام تحت غسق الظلام وماجت جيوش الإسلام وأكثرهم طلب الهرم والإنهزام وصدمتهم الإفرنج أي صدام وأورثتهم مواريث الإعدام وبذلت فيهم الحسام تحت ستور الظلام والتطمت العساكر كالبحور الزواخر وأرمت الفرنساوية عليهم الكلل والقنابر كالسيل القاطر وجادوا عليهم بضرب السيوف البواتر وكثر الصياح وزاد النواح وزهقت الأرواح من ضرب السلاح وطلبت الإسلام الهرب والرواح في تلك البوادي والبطاح وصاحوا الفرار الفرار من وقوع الأقدار وقد بليوا بالعدم والدمار والذل والإنكسار وتشتّت تلك الجيوش في البراري والقفار وهم يعوزون بالله الجبار من شدة باس الكفار الذين لم يكن لهم بالموت

= أيضاً عند الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٨٩، ٩٧، ٩٦، ٩٩، ١٠٣ ولكن عند ديغرانج، ص ٣٠١ يرد الإسم ناصيف باشا كما في هذه المخطوطة. والواقع أن الإسم الصحيح هو (ناصيف باشا)

افتكار وولاّ الوزير ومن معهُ هاربين(١) ١١٨ وللّنجاة طالبين ولم يزالوا الفرنساوية في أثرهم سايرين وما طلع الصباح وأشرق الشمس على تلك الأرض إلاّ وبقت القتلا مطروحين في طولها والعرض هذا وذلك الأسد المغوار والليث الهدار كليبر الجنرال يعج عجيج الجمال ويحرّص أبطاله على الحرب والقتال ويقول لهم اجعلوها وقعة الإنفصال ولا تبقوا على أحد من هولا الأندال ولم يزالوا يرموهم بالبارود والنار والقتلا تتساقط مثل أوراق الأشجار والساري عسكر على جواده في أول العسكر كالأسد الكاسر والعقاب الجاذر إلى أن دخلوا القوم مدينة بلبيس ودخل الوزير إلى المدينة بنفسٍ حزينة ووصلتْ الفرنساوية بذلك الإقتدار ويتقدمهم الأسد المغوار والليث الهدار وأحاطوا بالأسوار وأرسل الوزير ١١٩-أ أن يترك البلد ويخرج منها وإلا يحرقها بمن بها فرد لهُ جواب أن مدينة مصر قد امتلكوها ناصيف باشا والغز المصريون وأنتم الآن صرتم منها مطرودون فاترك الحرب وارجع عن الطعن ودعنا نعود لِما كنا عليهِ من الشروط والعهود فقال الأمير كليبر للرسول ارجع إلى صاحبك الوزير وقل لهُ أن يخرج من هذه البلد وإلا أحرقها بالنار ولا أتركهُ يقيم ساعةً من النهار وإن كان قصده يتفق معنا اتفاقاً جديد فيذهب إلى قلعة العريش ومن هناك يخاطبني بما يريد وأنا قد خاطبتهُ امراراً أن يرجع إلى بلبيس ويجاوبني بما يقتضي فما كان يقنع ولا يرتضي وأما الآن لم يمكن أطاوعه على ذلك بعدما سقيت عساكره كؤوس المهالك وبعد جملة مراسلات تحقق الوزير أن لا يمكن يرجع عنه الآن وهو في ذلك المكان فخرج من مدينة بلبيس وسار إلى الصالحية وإلى قطية ومن قطية إلى العريش ولم يزل سايراً إلى مدينة غزة وأمير ١١٩-ب الجيوش ساير في أثرهم على مهلهِ إلى أرض الصالحية وقد تفرقت تلك الجيوش في البراري والقفار وحل بهم الموت والدمار ومات كثير على الطرقات من التعب والعطش والجوع والحر بتلك الغلوات

---

(١) يذكر المؤرخ ديهران أن ضابطاً إنكليزياً كان موجوداً في معسكر الوزير الأعظم، هو الذي نبهه بأن عليه أن يهرب قبل أن يقع أسيراً في أيدي الفرنسيين.

أنظر كتابه: Histoire op. cit. P. 487.

وكسبت الفرنساوية تلك الأموال والخيل والجمال والعـدد الغوال والمدافع والجبخانات وحينما وصل أمير الجيوش إلى الصالحية أرسل الجنرال بليار(١) على طريق البر إلى حد دمياط ووضع جانباً من الصلدات في قلعة قطية وقلاع بلبيس والصالحية ولما وصل الجنرال بليار إلى دمياط فخرجت عليهِ أهلها والأتراك الذين بها فالتقاهم ذلك الجنرال بالرجال والأبطال قدام المدينة وأطلق عليهم المدافع المتينة فرجعوا من أمامه مهزومين وللنجاة طالبين واحتموا في منازلهم والبيوت من شر ذلك البهموت وخرجت العلما والأعيان وطلبوا منهُ الأمان ووضعوا المحارم في أعناقهم إشارة الذل والهوان ودخل إلى المدينة وتسلّم الحصون المتينة ورجع في الحال إلى مصر بكل عزٍ ونصر وأما ما كان من أمير الجيوش كليبر ذلك البطل الخطير فانهُ حين كسر عسكر الإسلام وفرقهم في تلك الروابي والأكام وهمَّ في مسيره في طلب الوزير إلى أن أشرف على مدينة بلبيس فبعدما أبعد في تلك الأراضي والديار تجمع البعض من عساكر الإسلام عند ضحا النهار فمنهم الغز وناصيف باشا والبعض من الإنكشارية والمصريين الذين في تلك الأراضي خبيرين وأتوا إلى مصر ودخلوا من باب النصر(٢) وكتب ناصيف باشا إلى الوزير يعرفهُ أنه قد دخل القاهرة بعساكر وافرة وملكوا الكنانة لأنهُ لم يكن بها أحد من الفرنساوية وأرسل الكتاب مع هجان ولم يدري ما حل ببقية عسكر الوزير من الذل والتدمير وحين دخل ناصيف باشا والغز إلى مصر استبشرت أهلها بالعز والنصر وكانوا قد خافوا من الفرنساوية لترجع إليهم وتبذل سيوفها فيهم فاستنهضوا مع الغز في الحال وعللوا أرواحهم بالمُحال وهجموا على حارة الإفرنج التجار فنهبوا الأموال وقتلوا الرجال وسبوا الحريم وذبحوا الأطفال وبدوا يتعصبون ويهجمون على دور النصارى فينهبون ويسبون

(١) الجنرال بليار: هو الجنرال الفرنسي أوغيست كونت بليار ولد في فاندي في ٢٥ أيار ١٧٦٩، وتوفي في ٢٨ كانون الثاني ١٨٣٢.

أنظر: M. Gaston Homsy, un Egyptien colonel dans l'armée de Napoléon B.I.E. Vol. X, (1928) P. 89

(٢) حول دخول العثمانيين والمماليك إلى القاهرة، أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٩٢

ويصنعون القساوة والفساد شي ما لهُ عداد(1) وهجموا على حارة الأقباط وقفلوا في وجوههم الأبواب وكان بها ذلك القبطي(2) الذي كان مع الجنرال ديزه في الصعيد فردهم مع أصحابه في الحرب العنيد والرصاص الشديد وأتت الغز إلى حارة اليزبكية وهجموا على بيت الساري عسكر فضربتهم الصلدات بالرصاص والنار ومنعوهم عن دخول الدار وكان لهم يومٌ يذكر جيلاً بعد جيل لما بهِ من الهول الجزيل والخوف العظيم والهم الجسيم والعذاب الأليم وقد تيقنت النصارى بالهلاك والدمار وهتك الحريم وخراب الديار وقام عثمان بيك كتخدا الدولة العلية في ذو الفقار(3) ومعهُ الأمرا المصرية وأتت إليه المشايخ والعلما الإسلامية وجميع التجار مع التاجر الشهير السيد أحمد المحروقي المعلوم عند الوزير بالمعرفة والتدبير ونزل ناصيف باشا عند بركة اليزبكية وصحبته الإنكشارية وأما مراد بيك لم يدخل البلد احتساباً مما يتجدد وبقي يجول في بر الجيزة في شرذمة وجيزة بفطنته الحريزة(4) وكان عثمان بيك كتخدا الدولة العلية ذو نفس عتيَّة وأخلاق مرضية وفطنة زكية فأخذته الشفقة والرحمة على الرعية وأطلق المناداة برفع الأذاة عن النصارى والرعية(5) ومنع الإسلام المنع التام عن

(1) يوافق الجبرتي الترك في وصف أحداث هذه الثورة، ولقد انتقد الجبرتي تصرف الثوار واستنكره قائلاً: «ويقتل البعض ظلماً»، كما يحمل مسؤولية ما وقع على النصارى في هذه الثورة على إبن الوزير الأعظم يوسف باشا إذ قال: «قال نصوح باشا (ناصيف باشا)، قاتلوا النصارى وجاهدوا فيهم، فلما سمعت العامة منه هذا القول هاجوا وأخذوا يقتلون من يصادفوه من نصارى القبط والشوام». أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٩٢، ٩٣، ٩٤.

(2) هو يعقوب القبطي الصعيدي، الذي دافع عن حي الأقباط ضد هجمات الثوار، وأقام المتاريس في منزله كما شكل فرقة من الأقباط وسلحها، واستطاع أن يرد المهاجمين على أعقابهم. أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٩٧.

(3) إستقر الثوار في وكالة زين الفقار في حي الجمالية وكانت هذه الوكالة مخصصة لبيع البن والتبغ، ويعود تاريخ تأسيسها إلى عام ١٦٧٣.
أنظر: Raymond A. artisants et commerçants Vol. I, PP. 255, 256, 257

(4) يقول الجبرتي حول موقف مراد بيك من هذه الثورة «وأرسلوا إلى مراد بيك بالحضور أو يرسل الأمراء والأجناد الذي بصحبته، فلم يجب إلى ذلك واعتذر أنه محافظ على الجهة التي هو فيها» أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٩٣، ٩٨.

(5) يخالف الجبرتي الترك بالنسبة لموقف هذا الرجل «كان كل من قبض على نصراني أو يهودي أو =

النهب والحرام وقال لهم لا يجوز في ساير الأديان الأذاة على رعية السلطان وغضب من ذلك الشان وأمر أجناده أن تدور بالحارات [١٢١-ب] وكل من بدا منه فساد يقطعوه بالسيوف الحداد ولم تزل النار تثور والشر يفور والخلايق قايمة والهيجات دايمة على حارات الأقباط وبيت الساري عسكر ذلك النهار بتمامه والليل بظلامه والخلايق تجتمع والجماهير تندفع وهم يهيجون هيج الجمال ويهجمون بهجم الرجال ويرجعون خايبين الآمال وقد اندهشت الأبصار وحارت الأفكار وتاه العقل وطار وحار القايل ما يقول وخشي الناقل تكذيب المنقول في صلابة أوليك الستين صلدات الأبطال وثبات قلوبهم على حمل هذه الأهوال إذ كانت تهجم عليهم الخلايق أفواج كالبحر العجاج وتهجم عليهم الجيوش هجمات الوحوش وهم ألوف ألوف تفوق العدد والصفوف وهذا الجنرال الصنديد يتلقاهم بعزم شديد وكل ذلك الثبات بستين صلدات واستمروا على ذلك الشأن يومان عظيمان وكانت هذه [١٢٢-أ] العوالم تندفع دفعةً بعد دفعة وهي على بيت الساري عسكر مجتمعة وعن حربهم غير مرتجعة ولا زالوا يهجمون ويرجعون بلا منفعة حتى ولَّى ذلك النهار وأقبل الليل بالإعتكار وكان اوليك الصلدات تلتقي تلك الجموع الهاجمة من كل الجهات إذ كان كلّ منهم يصادم ألوفاً ويرغم ألوفاً ويهزم صفوفاً(١) فاجمع رأيهم أن يتركوهم ويذهبوا إلى الجيزة وما كانوا يعلمون ما تم على العساكر العثمانية من العساكر الفرنساوية في تلك البرية وحين رأوا أكثر تلك العساكر التي دخلت إلى مصر استبشروا بالعز والنصر وبينما هم سايرين إلى الجيزة فالتقاهم رجل راكب من عسكر العثمانية على جواد متين عليه هيئة السفر فسألوه ما الخبر فأعلمهم أن جيش الوزير انكسر وأمير الجيوش انتصر فانقطعت ظهورهم وحاروا في أمورهم وانثنوا على اوليك الصلدات وزاد الحرب وكثر البلا والكرب [١٢٢-ب] وأظهر ذلك الجنرال درانتطون غرايب الفنون وكان

= فرنساوي أخذه حيث عثمان كتخدا، وكذلك كل من قطع رأساً، فياخذ منه مقابل ذلك جملة من الدراهم والدنانير» أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٩٣.

(١) حول هجمات الثوار على مقر القيادة العامة أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٩٣.

هذا الجنرال راسهُ ممسوح من الشعر لكبر سنه فكانت أهل مصر تدعوهُ الأقرع والليث الأردع واشتد الحصار وهاجت أهل المدينة وأظهروا الأحقاد الكمينة وهجموا على منزل مصطفى آغا وأتوا به إلى قدام ناصيف باشا وقدموا عليهِ شهودات زورية بأنه كان يؤذي المسلمين ويود الفرنساوية فأمر الباشا بقتله ونهب منزله(١) وقبض أيضاً على أناس كثيرين من المسلمين الذين كانوا يخدمون الفرنساويين وأذاقوهم الموت المهين وأوردوهم موارد التلاف وقبضوا على الشيخ خليل البكري نقيب الأشراف وأتوا به حافياً عرياناً ذليلاً مهاناً وقدموه إلى عثمان بيك فأمر بإطلاقه بعد ما قدموا عليه جملة شهادات وكان في أكثر الأوقات يشرب في منزله مع الفرنساوية المنكرات هذا وتلك الهجمة متصلة على تلك الصلدات ١٢٣-آ من جميع الجهات وعلى حارة الأقباط التي بها يعقوب الصعيدي وقد كافح هذا الرجل كفاحاً عظيماً وعازك عراكاً جسيماً وفي سادس يوم من تلك الأسباب والأمور الصعاب هجمت الإسلام على حارة الأقباط ونهبوا البيوت وأيقنوا النصارى في الهلاك والإرتباط فهذا ما كان من أحوال مصر وذلك الإتفاق وأما ما كان من مدينةَ بولاق فإنهم حينما بلغهم دخول ناصيف باشا والغز إلى مصر بالعز والنصر فظنوا أن عسكر الإسلام انتصر وجيش الفرنساوية انكسر فقاموا على النصارى الرعية فنهبوا أموالهم وسبوا أعيالهم وعصوا أهل بولاق عصاوة شديدة وبنوا متاريس جديدة(٢) وبعد ثمانية أيام وصل أمير الجيوش إلى دار الكنانة فوجدها من الأخصام ملانة وقد أشهروا العداوة وأظهروا العصاوة وحدثهم عقلهم الزميم في الجهل العميم على عدم

(١) قبض الثوار على مصطفى آغا، الذي كان نابليون قد عينه آغا مستحفظان، وأحضروه بين يدي عثمان آغا ثم تسلمته الإنكشارية وخنقوه ليلاً ورموا جثته وولوا مكانه حسين كاشف. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٩٣، ٩٦.

(٢) علق الجبرتي على ثورة بولاق قائلاً: «هلكت الناس وخصوصاً الفقراء والدواب من ايذاء عسكر العثمانلي للرعية وخطفهم ما يجدونه معهم حتى تمنوا زوالهم ورجوع الفرنسيين». أنظر: المصدر السابق، ج ٣، ص ٩٥، ٩٦ وحول إستعادة الفرنسيين للقاهرة راجع: Deherain, Histoire, Vol. V,P. 492-493. وعبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة الوطنية، ج ٢، ص ١٦٥.

الطاعة والتسليم.[١٢٣-ب] واحتاط أمير الجيوش بعساكره الوافرة حول دايرة القاهرة وصلبت أعناقهم على المحاصرة ومنع الداخل والخارج وسدود المسالك والمدارج ونشب القتال بينهم نهارهم وليلهم فطلبت خلو المدينة العساكر والحكام فما مكنتهم من ذلك الأعوام وتصدرت الأعيان وذوي البيوت وحثوهم على الإقامة والثبوت ومنهم ذلك العالم البهموت السيد أحمد المحروقي فتصدر للجدال وصرف الأموال وحرّص الرجال على الحرب والقتال[١] ولم يزالوا المصريين على غرورهم المتين في محاربة الفرنساويين وكان أمير الجيوش قد تمكّن بعساكره من القلع والأسوار بالكلل وقوة النار وكتب إلى مدينة الإسكندرية يسترجع الجبخانة والمدافع التي كان أرسلها حين عزم على التسليم وأرسل إلى الجيزة أحضر مصطفى باشا كوسا وأرسله إلى دمياط تحت الترسيم وقد بلغ أمير الجيوش ما أبدوه أهالي بولاق[١٢٤-أ] من العصاوة والنفاق فأرسل إليهم ذلك الأسد الهدار والليث المغوار الجنرال بليار وأمره أن يهجم عليهم بالنار ويهدم الحصون ويخرب الديار فهجم عليهم[٢] ذلك البهموت فما قدروا على الثبوت وتركوا المتاريس والتجوا للبيوت. فهجمت عليهم تلك العساكر بالرصاص المتكاثر والسيوف البواتر وأحرقوا المنازل واشتدت الأهوال وهربت الرجال وبكت النسوان والأطفال وصاحت الكبار والصغار الأمان الأمان يا جنرال بليار فلما سمع بكاهم حن إلى شكواهم وأمر الصلدات بحفظ الحياة ومنع الممات وعفا عن قتل الرجال وبدوا ينهبون النسا والبنات ويهتكون الحراير المخدرات واستمر هذا البلاء العام مدة ثلاثة أيام حتى هدمت المنازل المتينة في تلك المدينة واحترقت البضايع الثمينة وراح على التجار من المال والبضايع عدة خزاين وافرة

(١) كان للتاجر أحمد المحروقي دورٌ كبيرٌ في ثورة القاهرة إذ تكلف بجمع المال اللازم لإنشاء معامل البارود، كما تبرع للثوار بماله الخاص. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٩٥.

(٢) هجم الفرنسيون بقيادة الجنرال بليار على حى بولاق بتاريخ ١٥ نيسان عام ١٨٠٠، وكان السكان متحصنين وراء المتاريس لكن المدفعية الفرنسية حطمت المتاريس ودخل الجنود حي بولاق وأحرقوه.

أنظر: Deherain, histoire op. cit. Vol. V. P. 493

إذ كانت بولاق أسكلة القاهرة فتجتمع بها البضايع والأمـوال وهي محل للإستقبال ١٢٤-ب والإرتحال لقربها إلى البحر وكانت خزينة مصر ودمّرت هذه المدينة في تلك الفتوح المهول من سوء تدبير أهلها المخزول[١] ومن بعد هذا الخطب العظيم والخراب الجسيم آمر أمير الجيوش أن يؤخذبهمن أهلها أربعة آلاف كيس تمام الأنكيس وكانت عساكر الفرنساوية مقيمين حول دايرة القاهرة نهاراً وليلاً على المحاصرة والمجادلة والمشاجرة وعساكر المدينة لم تمتنع عن الهجمات ورا المتاريس المتينة في ساير شوارع المدينة وقد عز القوت وهدمت البيوت وكانت أيام شديدة الأهوال غريبة الأحوال تتزعزع من ذكرها الجبال وتشيب من أهوالها الأطفال وقد شدّت الفرنساوية الحصار وصارت العساكر تهجم الليل والنهار وترمي على المدينة النفط والنار والكلل والقنابر الكبار وبقت أهل البلد بضجيج وعجيج والخلايق في اضطراب ورجيج والولولة من النسا والصياح ١٢٥-أ والبكا والعويل والنواح وكانت الرجال والنسا والأولاد يختبون تحت العقودات من تساقط الكلل والقنابر من القلعات ولم يكن في تلك الأيام رقاد ولا مكان مؤتمن بل حرب مستطيل وكرب دايم جزيل ونوح وعويل فيا لها من ليلة ما أمرها وأشدها وأحرها ليلة فتحت بها ميازيب السما وهطلت وغم وجه الأرض بالمياه فتبدلت واستنهزت الفرنساوية الفرصة وهجموا في تلك الحصة وأثاروا حروب عظيمة لم يكن مثلها في الوقايع القديمة واتقدت النيران في أربع جهات القاهرة واحترقت بيوت كثيرة في تلك الليلة الماطرة مع الحرب المتصل والضرب الغير منفصل ومات خلايق لا تحصى من الفريقين وزعق عليهم غراب البين وكانت الكلل تتساقط عليهم من القلاع كالبرد على وجه البقاع وإذ كانت الناس مستترة في البيوت ١٢٥-ب الذين على رصيف الخشب[٢] الكاين في اليزبكية فأوقدت بهم

---

(١) حول مأساة بولاق أنظر الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٠٠، ١٠١.

(٢) رصيف الخشب: يمتد من شارع أبي بريد إلى شارع باب الجرد وفي آخره جامع السيدة سلمى الحلبية وبجواره ضريحها وهو لا يزال حتى الآن. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ٣، ص ٧٧.

النار الفرنساوية فكانت ساعة لا تعد بالساعات من تلك البلايا النازلات وهجمت الفرنساوية وطردتهم من تلك الحارات وأحرقوا منازل كثيرة بتلك الجهات وإذ شاهدت العساكر المحاصرة داخل القاهرة تلك النيران الوافرة وعدم النجاح بهذه المصادرة فضجوا وقالوا كفانا هذه المخاطرة وكانت الفرنساوية قد أحرقوا حارات متسعة كحارة الخزوبي العدوي(١) لحد باب الشعرية(٢) ورصيف الخشبي وما يليه من المنازل العلية فأجمع رأيهم أن يطلبوا الأمان وعقدوا في بيت ناصيف باشا الديوان(٣) وقد اجتمعت السناجق والكشاف وعثمان بيك كتخدا الدولة والعلما والأشراف وأخذوا يتفاوضون في ١٢١-آ
أمر التسليم والخلاص من هذا البلا العظيم وفيما هم في الإجتماع وإذ قد سقطت عليهم بونبة من القنابر ففرق جمعهم وأيقنوا بالموت والنزاع وقالوا هذه هي الأخيرة وقد استخرنا الله وهو نعم الخيرة فالتسليم أسلم لنا عاقبة من هذه المجادلة والمعاقبة وانتخبوا اثنين من المشايخ وهم عبد الله الشرقاوي(٤) وسليمان الفيومي واثنين من السناجق عثمان بيك البرديسي وعثمان بيك الأشقر وأخذوا بيرق أبيض معهم إشارة الأمان وساروا مشاة إلى البركة اليزبكية ولما قربوا من

(١) حارة الخزوبي العدوي: هي إحدى حارات القاهرة تمتد من جهة الخلاء بحري القاهرة وتنتهي بشارع باب الشعرية وشارع الفجالة من تجاه الدشطوطي وهذا الحي طوله ٣٢٠ م وفي وسطه الجامع المعروف بجامع العدوي وبجواره قنطرة الخليج المعروفة بقنطرة العدوي. أنظر: المبارك، المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٩.

(٢) باب الشعرية: هو أحد أبواب القاهرة ومنه يمتد شارع الشعرية. أنظر: المبارك، المصدر السابق، ج ٣، ص ٧٥.

(٣) عقد العثمانيون والأمراء المماليك الديوان في حي الجمالية باليزبكية، وقد حضر هذا الديوان بعض مشايخ القاهرة كالشيخ الشرقاوي ومحمد المهدي وسليمان الفيومي وموسى السرسي. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٩٨.

(٤) لقد وقف الشيخ الشرقاوي مع الثوار وقدم لهم المال، إلا أنه تعرض مع بقية المشايخ لغضب العامة لأنهم إتهموهم بالسعي إلى الصلح يقول الجبرتي في هذا الصدد «رجع المشايخ بهذا الكلام وسمعه الناس فقاموا عليهم وشتموهم وصاروا يقولون هؤلاء المشايخ إرتدوا وعملوا فرنسيس ومراد هم خذلان المسلمين». أنظر الجبرتي: عجائب الآثار، ج ٣، ص ٩٩.
وقف الشيخ الفيومي مع الثوار، كما شارك الشيخ الشرقاوي في مهمة إحلال الصلح. أنظر: المصدر السابق، ج ٣، ص ٩٩.

ذلك المكان ونظر إليهم أمير الجيوش من بعيد وعرف الإشارة فأمر برفع ضرب البارود وأرسل إليهم وزيره داماس[١] ومعه ترجمانه الخاص فلما تقابلوا قال لهم الجنرال داماس ما مرامكم فقالوا له تسليم المدينة وخروج العساكر منها بطريقة أمينه وسفرهم إلى أراضي الشام من القاهرة من دون مشقة ومخاطرة وفرمان الأمان إلى الرعايا والأعيان فرجع الجنرال وأخبر أمير ١٢٦-ب الجيوش بذلك الشأن فرد الجواب أن الباشا وكتخدا الدولة مع الغز والسناجق وكامل العسكر لهم الأمان وأصدر لهم فرمان بأن ينقلوا إلى قاطع الخليج[٢] ويقوموا هناك ثلاثة أيام بينما يتجهز لهم ما يحتاجون من لوازم الطريق لأرض الشام ويخرجون بساير خيلهم وأثقالهم وعند السفر يسير معهم الجنرال رانيه[٣] بأربعة ألاف صلدات إلى الصالحية ليلا يصير لهم معارضة في الطريق من أهل البلاد ويكون سبيلاً للفساد وجميع ما يتركون من المجاريح وذوي الأمراض فيكون لهم الأمـان وعدم الإعتراض ولأجل عدم وقوع الخلل منهم بعد إصدار هذا الأمان لهم يكون عندنا منهم اثنان رهينة لحينما يخرجون من المدينة ويصلون إلى أرض غزة ويرجع الجنرال رانية إلى مصر بسلام فنطلق سبيل الرهاين بكل إكرام وقد أصدرنا لهم هذا الأمر الكافي ١٢٧-أ والأمان الوافي وأما أهل المدينة فلا نمنحهم الأمان وليس لهم أن يسألوا عنهم الان لأنهم رعاياي وتدبيرهم مختص بي فـرجعوا السنجقـان والشيخان وأعرضوا القول على الغز والباشا وكتخدا الدولة فامتثلوا القول وعقدوا الرأي على إرسال سنجقين رهينة وهما عثمان بيك البرديسي وعثمان بيك

(١) أخطأ الترك في هذا القول، لان ممثل الجنرال كليبر لعقد الصلح مع العثمانيين والمماليك كان العالم فوريه سكرتير المعهد، أما الجنرال داماس فإنه تولى مهمة ايصال العثمانيين والمماليك حتى حدود سورية.
أنظر: M. Benoist, Bonaparte en Egypte, P. 292. ص ٢٩٢
أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٠٤، ١٠٧.
(٢) قاطع الخليج: الخليج هو جزء من خليج النيل القديم، وكان يستعمل في الماضي للملاحة ويقع خارج مدينة القاهرة. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٨، ص ١١٩.
(٣) أخطأ الترك لأن الجنرال داماس هو الذي رافق الثوار.

الأشقر وحضروا لعند أمير الجيوش ونبَّهوا حالاً على العساكر بالإنتقال إلى الجهة الثانية من الخليج ودخلت العساكر الفرنساوية وأخذوا الجهة الواحدة من الخليج وتملكوا المتاريس ونصبت الغز والعساكر العثمانية أوطاقها خارجاً عن باب النصر وشرعوا يتأهبون لأجل السفر(١) من مدينة مصر ونصب الجنرال رانيه مضاربه أمامهم وكان حزناً عظيماً عند المصريين وسقط عليهم خوف جسيم وبدوا بالنواح والعويل والبكا والتعداد المستطيل في جميع منازل الإسلام الخاص والعام وبدوا يسبُّون الغز(٢) ١٢٧-ب ويشتمونهم وهم خارجين ويقولون لهم قد أحرقتمونا بناركم من بغيكم وضلالكم وأسيئتم إلينا وطرحتم شركم علينا وقتلتم رجالنا ويتمتم أطفالنا وفي مدة ثلاثة أيام خرجت العساكر من مصر بالتمام وخرجت معهم عدة من العوالم المصرية وساروا قاصدين غزة والأراضي الشامية والجنرال رانيه ساير في أثرهم بمن معه من الفرنساوية إلى أن أوصلهم للصالحية واستراحوا يومين وأخذوا ما يحتاجون وتوجهوا لقطية وقد ساعدهم الجنرال بما يحتاجون إليه من المأكل ومن الخيل والجمال وتعجبت الإسلام من أمان هولا الأنام وحفظهم للذمام إذ كانوا خاشيين من خيانتهم بالطريق وغدرهم في تلك البرية ثم رجع الجنرال عنهم إلى القاهرة بعزٍ وافرة وأما أمير الجيوش فإنه بعدما سارت العساكر أمر بأن يعملوا فرحة عظيمة(٣) وحضرت إليه ١٢٨-أ الأعيان والحكام والعلما وأرباب الديوان واقعد عن يمينه السنجقين بكل إكرام ورجعوا الفرنساوية إلى محلاتهم في المدينة وبعد ثلاثة أيام عمل أمير

(١) يذكر احد مؤرخي الحملة في مذكراته، إن ناصيف باشا قبض كمية من الذهب من الجنرال كليبر لكي يسلم القاهرة.
أنظر: Deherain, histoire. Vol. V. P. 491

(٢) حول حال المصريين بعد أن تخلى عنهم العثمانيون والمماليك. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٠٦.

(٣) دخل الجنرال كليبر القاهرة على راس جيشه، وضربت المدافع وصدحت الموسيقى واحتلت مصر مرة ثانية، في ١٦ نيسان ١٨٠٠ بعد أن دامت ثورة القاهرة الثانية من ٢٠ آذار حتى ٢١ نيسان وكلفتهم كثيراً من الضحايا.
أنظر: Deherain, histoire, Vol. V, P. 490-493

الجيوش ديواناً ودعا إليه العلما والأعيان وقال لهم إني كنت أظنكم أيها علما الديوان أنكم من الناس العقلا ذوي الأذهان والآن قد استبان لي أن عقولكم أخف من عقول الصبيان وأجهل من النسوان لأن بعد معرفتكم أني قد قهرت وزير السلطان وشتت جيشه في البراري والوديان فقبلتم شردمة يسيرة وفرقة حقيرة هاربين من سيفي الباتر وقوة بطشي القاهر وأدخلتموهم القاهرة وأخذتم تحاربوني بعيونٍ فاجرة مع أنكم تعلمون لا تربحون إلاَّ الذل والإهانة وخراب وطنكم الكنانة وهلاك الرجال وذهاب الأموال وقد كنتم قادرين على طرد هولا ١٢٨-ب
القوم الهاربين وعدم تمكّنهم الغير الأمين وأني كنت قادراً بعد حضوري أن أحرق المدينة في الحال ولكن أخذتني الشفقة على النساء والأطفال الذي لا رضا لهم بهذا الوبال والنكال والآن قد صفحت عن خطاكم ولكن يلزمكم أن تدفعوا مليونين من الريال[1] مبلغها ستة عشر ألف كيس ثمن دماكم وعشرين ألف بندقية وخمسة عشر ألف جوز طبنجات[2] وعشرة آلاف سيف وأربعماية بغل وماية حصان وهذه يكون منها على السيد احمد المحروقي ماية وخمسين الف ريال[3] وعلى الشيخ ، مصطفى الصاوي خمسين ألف ريال والشيخ العناني ثلاثين ألف ريال وبقية المال على أهالي البلد جميعها وأما

(١) الريال: نقود إسبانية، من الفضة من النوع الجيد يستعمل في مصر ويطلق عليه عادةً (ريال أبو طاقة) ورغم أن قيمته في أوروبا انخفضت عما كانت عليه في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر إلا أن قيمته في الشرق استمرت حتى نهاية القرن السابع عشر.
أنظر: Roymand A. artisants et commerçants, Vol. I P. 21

(٢) طبنجات: مفردها طبنجة وتعني بندقية أو مسدس يوضع عادةً تحت الثياب، وهي كلمة تركية تحمل معنى مسدس جيب، ويقال طبنجة أيضاً لأحدى أدوات الجراحة.
أنظر: Barbier de Meynard, Vol. II, P. 277
أنظر: Dozy, Vol. II, P. 27

(٣) لقد أخطأ الترك لأن هذا المبلغ من المال فرضه الجنرال كليبر على الشيخ السادات، هكذا ورد في نسخة ڤييت، ص ٧٠ وكذلك عند الجبرتي، ج ٣، ص ١٠٧.
أما السيد أحمد المحروقي فإنه قد غادر مصر مع المماليك والعثمانيين، وقد فرض الجنرال كليبر عليه، كما فرض على بقية المصريين الفارين مصادرة منازلهم وممتلكاتهم. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٠٧، ١٠٨.

النصارى فليس لهم أن يسَاعدوكم بدرهم واحد فكفاهم ما جرى عليهم منكم من الوبال والهتيكة وسلب المال وما تكبدوه من الأضرار وسفك الدما منكم يا ١٢٩-آ أشرار مع أننا أفهمناكم جملة أمرار أننا لسنا من النصارى بل نود الإسلام ونحترم القران بكل احترام وما سمحنا لهم بحمل السلاح إلَّا ليحموا أنفسهم منكم يا قباح إذ نظرنا هجومكم عليهم ثم نهض من قدامه وهو مملو من الغضب ولم يلتفت إليهم ثم أنهُ استدعى يعقوب القبطي الذي ذكرنا أنهم حاصروهُ في حارة الأقباط وأمره أن يسترد منهم في الحال ما طلبه من المال وأرسل قبض على السيد أحمد المحروقي وضبط منزله وأرسله للقلعة وسجن أيضاً امرأته(١) فكان ذلك أمر عظيم عند المصريين وغم لا يوصف عند المسلمين وارتجت تلك الديار من سطوة هذا الأسد المغوار وخافت منهُ الصغار والكبار وقطعت الإسلام الآمال من التغيير والإبتدال وخرجوا النساء خروجاً شنيعاً مع الفرنساويين وبقت مدينة مصر مثل باريز في شرب الخمر والمسكرات والأشيا التي لا ترضي رب السماوات ورجعت الولاة ١٢٩-ب والحكام لما كانوا عليه أولاً من الأحكام وأحضر أمير الجيوش السيد خليل البكري الذي كانوا الإسلام قد نهبوا بيته وأنعم عليه بما كان راح لهُ وأرجعه إلى الديوان كما كان وأحضر رجلاً ونصبه عوض مصطفى آغا الذي قتلوه وأقامهُ على الإنكشارية(٢) ثم يعقوب القبطي أنعم عليه بالجنرالية ووضع على كتفه شراريب الذهب كعادة هذه المنصبية(٣) وأمر أن يجمع عسكراً من الأقباط ودُعي من ذلك الحين الجنرال

(١) لقد أخطأ الترك، لأن السيد أحمد المحروقي غادر القاهرة مع زعماء الثورة، أما الذي اعتقل فهو الشيخ السادات وَحبس في القلعة حيث عومل أسوأ معاملة. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٠٨.

(٢) كان الثوار قد عينوا في القاهرة حسين كاشف آغا للإنكشارية أثناء الثورة، بعدما قتلوا مصطفى آغا، الآغا الذي عينه نابليون سابقاً، إلا أن الفرنسيين بعد أن استعادوا القاهرة خلعوا حسين كاشف وعينوا بدله محمد آغا المسلماني الذي كان نابليون قد عينه سابقاً آغا مستحفظان، وقد توفي محمد آغا المسلماني في ٦ ذي القعدة عام ١٢١٥ هـ - ٢١ آذار ١٨٠١ م بمرض الطاعون، وأقام الفرنسيون عبد العال عوضاً عنه. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٥٦، ١٠٦.

(٣) حول تعيين يعقوب القبطي جنرالاً، أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ص ١١٥ أنظر أيضاً: علي المبارك، الخطط التوفيقية، ج ٦، ص ٧٢.

يعقوب وكان ذلك مكافأةً لهُ لِما ظهر منه [١٣٠-أ] من الشجاعة والفروسية مع الصلدات الفرنساوية وجمع ثمانماية رجل من الأقباط وألبسهم لبس الصلدات وكانت الفرنساوية تعلمهم فنون حرب الأفرنجية في كل يوم بكرة وعشية ثم أحضر نقولا قبطان الروم وأكرمهُ غاية الإكرام وأعطاهُ الوظيفة الجنرالية ووضع على كتفهِ الشراريب الذهبية[١] وذلك لِما ظهر منهُ من الشجاعة والرجولة واقامهُ جنرالاً على العَساكر الرومية وألبس عسكره الملابس الإفرنجية وأحضر أيضاً برتمولي الساقزلي وأنعم عليه بوظيفة الجنرالية وبلغ عسكر الأروام ثلاثماية صلدات من الشجعان. ثم أن أمير الجيوش ابتداء ببناية أبراج جديدة حول مصر خشية من قيام أهليها وعصاوتها على الفرنساوية أن وردت الأخصام لمحاربتهم من البلاد العثمانية لأنهم كانوا يخشون قيام أهالي المدينة أكثر من القادمين عليهم من البرية وهذه مرة ثانية التي قامت بها أهالي مصر على الفرنساوية وهذين المرتين أهلكوا من العساكر الفرنساوية ما ينوف عن الثلاثة آلاف مقاتل ما عدا الذين أهلكوهم خفيةً في المنازل فشرعوا أولاً في بناية القلعة التي في كوم الزيت بين القلعة الكبيرة وقلعة كوم الغريب ثم شرعوا أيضاً في بناية قلعتين فوق الكومين الخارجين من باب النصر ثم شرعوا أيضاً في بناية القلعة فوق باب [١٣٠-ب] النصر وقلعة ثانية فوق باب الفتوح[٢] وقلعة فوق باب

---

(١) لقد ورد في نسخة ڤييت. ص ٩١، ترجمة لحياة نقولا قبطان «هو أنه في سنة ١٢٠٠ حين حضر جيين باشا قبطان إلى مملكة مصر وطرد الغز مماليك محمد بيك أبو الذهب وحكم إسماعيل بيك، .. كان نقولا قبطان ريس في قايق.. ثم خدم عند مراد بيك وعيّن عنده عسكراً روام نحو ثليماية نفر كانوا دائماً في الجيــزة.. وكان هذا القبطان دائماً في خدمة مراد بيك لحد دخول الفرنساوية... وحضر قرب الفرنساوية في إمبابة وهو الذي كان برجاله على المدافع فوق المتاريس... ثم ألقى نفسه في البحر ودخل إلى بولاق وحين دخل بونابارته إلى مصر فتوجه لعنده وقابله وأكرمه ومنذ ذلك الوقت قيّده في خدمة المشيخة».

(٢) باب الفتوح: هو أحد أبواب القاهرة وقد أنشأه جوهر الصقلي عام ٤٨٠ هـ عندما خطط مدينة القاهرة، لكن باب الفتوح الموجود حالياً هو الباب الذي جُدد بناؤه في عهد الوزير بدر الجمالي الذي حكم القاهرة زمن الخليفة الفاطمي المستنصر من عام ٤٦٦ هـ حتى ٤٧٨ هـ.. ولباب الفتوح أبراج مدورة وغير هامة من الناحية العسكرية، وتزينه كتابات كوفية لا نجدها في بقية أبواب القاهرة، وهو يقع باتجاه الشمال. انظر: =

العدوة[1] وقلعة فوق باب الحديد[2] وشرعوا أيضاً في بناية قلعة فوق باب الريش[3] الخارج عن المدينة ما بين العدوة[4] والحسينية[5] وهذا الكوم كانت العساكر العثمانية تحارب عليه الفرنساوية في مدة الحصار وأخذتهُ منهم الفرنساوية قوةً واقتدار ليلة تلك الأمطار ثم شرعوا أيضاً في بناية قلعة فوق الكوم الذي بين اليزبكية وبولاق وفي بناية قلعة في بولاق من جهة البحر فوق كوم السبتية ووجدوا سوراً قديماً كايناً من باب النصر إلى باب الحديد قد تغطّى من العمارات على مدى الزمان فأمر المهندسون بكشفهِ وهذه القلعة بنوها مع السور المذكور[6] ثم شرع أيضاً يعقوب القبطي بعمل سور وأبراج حول دور النصارى والأقباط[7] لما قاساه في مدة الحصار الذي قد كان آيلاً لهتك الاستار وفضح [١٣١-أ] الأحرار وقطع العمار والدمار والدثار فهذا ألزم يعقوب الجنرال لهذا العمار ولكن لم يكّمل عماره إلاّ في زمان الأمير منو كما سيأتي ذكره فيما بعد وقد قلنا سابقاً أن مراد بيك لم يرد يدخل القاهرة مع ناصيف باشا وعثمان بيك

= Description de l'Egypte, Vol. XVIII, P. 300, 527, 528

(١) باب العدوة: هو أحد أبواب القاهرة ويقع أمام حارة العدوية والإسم منسوب إلى جماعة عدويين نزلوا هناك، أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ٢٢، ص ٢١.

(٢) باب الحديد: هو أحد أبواب القاهرة وقد أنشأه جوهر الصقلي، ثم تغير مكانه زمن الوزير بدر الجمالي، ونجد عند الكتاب العرب إختلاطاً بين باب الحديد وباب الجديد، والبابان موجودان، ويقع باب الحديد شمال القاهرة في حين يقع باب الجديد شمال غرب المدينة، ولقد جدد باب الحديد زمن الخليفة الحاكم بأمر الله في نهاية القرن العاشر.
أنظر: Description, Vol. XVIII, P. 300, 301.

(٣) باب الريش: هو أحد أبواب القاهرة راجع المصدر السابق. ص ٣٠١

(٤) أحد أحياء القاهرة، ويمتد من باب الخشبية حتى حارة اليهود وينسب إلى جماعة عدويين نزلوا فيه وفيه رحبة بيبرس. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ٢٢، ص ٢١.

(٥) الحسينية: أحد أحياء القاهرة نسبة إلى المسجد الحسيني، وفيه ضريح الإمام حسين الذي أنشأه الفاطميون عام ٥٤٩ هـ - ١١٥٤ م. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ٢، ص ٧٧.

(٦) حول القلع المختلفة، وحول أعمال كليبر بعد إخماده ثورة القاهرة راجع:
De la Jonquière, vol. III, P. 290, 291, 292.

(٧) كان للنصارى والأقباط حارة خاصة في القاهرة تدعى حارة النصارى، وتقع بشارع قنطرة سنقر، أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ٣، ص ١١.

كتخدا الدولة وباقي الغز المصريين بل بقي خارجاً عنها جايلاً في بر الجيزة مدة أربعة وثلاثين يوماً بشردمةٍ وجيزة وكانت نفسه في مسافة هذه المدة المذكورة تتشوّق إلى الصلح مع الفرنساوية لما شاهد من ضعف العساكر العثمانية وقوة بطش الفرنساوية وقد كان أمير الجيوش يود انتظامه ويؤثّر التئامه فوجه لهُ برطولمي الساقزلي الجنرال وهذا كان يتكلم بأربعة السن العربية والتركيـة والرومية والطليانية وكان مترببياً في مدينة مصر وله الدالة في بيوت السناجق والكشاف فسار هذا لعند مراد بيك[1] وأخبرهُ أن أمير الجيوش يروم اتحاده
١٣١-ب
لا إبعاده ويرغب وداده لا جلاده ويرفع أحقاده ويبطل جلاده ويأخذ من الصعيد بلاده ويريح فواده ويكسب نفسه واجناده فلما فهم مراد بيك هذا الخطاب انشرح صدره وأجاب إلى الصلح والإصطلاح وأبطال الحرب والكفاح صيانةً للأجساد والأرواح ليلاً يفتح العزيز الفتاح باباً غير هذا الباب للفرج والنجاح وقد كان عند مراد بيك رجلاً من خدامه قايماً بتدبير أمر المدافع يدعى حسين آغا الزانطلي[2] وهو من مدينة زانطة[3] واسلم في مصر مع أخوته الاثنين وكانوا

---

(١) لم يضع نقولا الترك توقيت هذا الحدث بشكل واضح إذ أن الجنرال كليبر قد بدأ بالتفاوض مع مراد بيك قبل معركة هيليوبوليس (عين شمس)، وكان العالم فوريه سكرتير المجمع العلمي، قد بدأ المحادثات بشأن الإتفاق مع مراد بيك، مع السيدة نفيسة زوجة مراد بيك، المقيمة في القاهرة، وأثناء حصار القاهرة استقبل الجنرال كليبر حسن الزنطيتي مبعوثاً من قبل مراد بيك، ثم استقبل عثمان بيك البرديسي الذي أعطى له مراد بيك صلاحيات مطلقة لإبرام المعاهدة مع الفرنسيين، وقد تم توقيع هذه المعاهدة بتارتيخ ٥ نيسان عام ١٨٠٠.

أنظر: Deherain, histoire. Vol. V, PP. 492, 493

أنظر: محمد فؤاد شكري، عبد الله جاك منو، ص ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠.

أنظر: عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية، ج ٢، ص ١٥٢، ١٥٣.

(٢) حسين آغا الزانطلي: أو حسين آغا مراد كما يسميه الجبرتي، وهو أمين خزانة مراد بيك، وقد تقلد بعد خروج الفرنسيين ولاية الشرطة. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ٢٥١.

(٣) زنطة: ويقال في التركية (سنته)، وهي مدينة على الشاطىء الأيمن من نهر التهيز Theiss «وهو نهر ينبع من هنغاريا ويصب في نهر الدانوب في يوغسلافيا»، ولقد كانت هذه المدينة تابعة للإمبراطورية العثمانية منذ عام ١٥٢٦، واشتهرت في التاريخ على أنها حقل للمعارك.

أنظر: Encyclopédie de l'Islam, 1er ed, Vol Iv, P. 1297

جميعهم في خدمة مراد بيك قايمين وهذا المذكور أيضاً كان يتكلم بأربعة السن فأرسله مراد بيك إلى الأمير كليبر لأجل إتمام الصلح بينهما وبواسطة هذين الشخصين تم الإتفاق[١] وارتفع الإنشقاق وانعقدت المشورة على أن مراد بيك يصنع وليمة للأمير كليبر في جزيرة الذهب[٢] القريبة من الجيزة [١٣٢-أ] ويدعوهُ إليها وهناك يكون الإتفاق فركب أمير الجيوش إلى الجيزة ومعه عثمان بيك البرديسي وعثمان بيك الأشقر وسار بنفرٍ قليل إلى مقابلة مراد بيك فحين وصل وتقابلا تلقاهُ مراد بيك بكل بشاشة وتصافحا مصافحة الأخوان وجلسا في ذلك الديوان بالسرور والأمان وجلس معهما داماس الوزير ودميانوس الترجمان ووقفت جميع السناجق والكشاف ثم بعد المخاطبة والكلام بالترحيب والاكرام أمر مراد بيك إلى الواقفين بالخروج وهناك عاهد أمير الجيوش إلى مراد بيك العهد التام وأنهُ يقيم في بلاد الصعيد بعيشٍ رغيد مع ساير من يروم اقامته من الغز والمماليك هناك وصرَّفهُ بجميع ما لهُ من الأملاك ويكون حاكماً على مدينة جرجة ويدفع للمشيخة مال ميريها المترتب عليها وأنهُ يرسل إلى ابراهيم بيك وبقية الغز أن يكون لهم الأمان ثم عاهدَهُ أيضاً أنهُ إذا أخلت [١٣٢-ب] الفرنساوية الديار المصرية فلا يكون تسليم هذه المملكة إلَّا لهُ دون غيره من الدول فانشرح مراد بيك بهذا الأمل وبعد اتمام الكلام وبلوغ المرام أهدى مراد بيك لأمير الجيوش سيفاً ثميناً وخنجراً عظيماً وإلى الوزير داماس سيفاً من الهندوان وإلى الترجمان خاتماً ثميناً من الماس[٣] وبعد ذلك قدم لهُ صفرة الطعام وآنية المدام كلها من المواكيل الفاخرة بالروايح العاطرة فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وطالت لهم الأوقات بالحب والمسرات واتصل بينهم الوداد وتركوا البغضة والعناد ثم أن مراد بيك

---

(١) هو الاتفاق الذي تم في القاهرة بين عثمان بيك البرديسي ممثلاً لمراد بيك وبين الجنرال داماس والسيد غلوتيه المفوض الفرنسي لدى الديوان.
أنظر: Deherain, histoire, Vol. V. P.P. 492, 493

(٢) تقع جزيرة الذهب خارج الجيزة، وقد كان لمراد بيك قصر فيها، وفي هذا القصر تم اللقاء بين مراد بيك والجنرال كليبر. أنظر: ڤييت، حاشية، ص ٩٣ من النسخة المترجمة إلى الفرنسية.

(٣) ورد في نسخة ڤييت، ص ٩٣، «قدم إلى الوزير خاتماً من ألماس والى الترجمان سيفاً.»

طلب من أمير الجيوش حضور العساكر الفرنساوية من المشاة والخيالة ليلعبوا أمامه ويتفرج على ما يعملون في حربهم من الصناعة والفنون فأمر أمير الجيوش بإحضار خمسماية صلدات من الجيزة فحضروا بمدة وجيزة وطفقوا يلعبون ويظهرون ما [١٣٣-أ] عندهم من الحرب والفنون صناعة تأخذ العقل وتدهش العيون فانشرح مراد بيك من تلك الفرجة وأخذهُ الفرح والبهجة ثم ركبت الغز المماليك وبدوا يلعبون على الخيل ملاعيب الحرب القوية فانشرح أمير الجيوش وشهد لهم في الثبات والفروسية وقال لمراد بيك أن فوارسكم أصنع في الطعان وأثبت في الحرب على الخيل بالميدان وبعد انقضا النهار نهض أمير الجيوش على اقدامه وقام مراد بيك لقيامه وودعوا بعضهم بعض بالانس والسرور والغبطة والحبور وخرج أمير الجيوش من ذلك المكان وبدا يرمي الذهب الكبير على ساير الانام ولم يزل على ذلك الشأن إلى أن صار خارج الديوان فقدم لهُ مراد بيك جواداً وإلى وزيره جواداً من الخيول الجياد بالعدد الكاملة وسار أمير الجيوش إلى الجيزة ومن هناك أرسل إلى مراد بيك فرمان التصريف مع حسين آغا الزانطلي وأعطى للمذكور [١٣٣-ب] وظيفة سنجاقية وأقامة كتخدا مراد بيك وتوجه مراد بيك للصعيد وكان معهُ عثمان بيك البرديسي وعثمان بيك الأشقر وسليمان بيك وأحمد بيك الكورجي وعثمان بيك الطوبجي وقام في الصعيد بعيشٍ رغيد واجتمع عليه من السناجق والكشاف جمع كثير من تلك الأطراف والأرياف(١) وقد تقدم القول إن الوزير الأعظم بعد امضا الشروط أرسل صورة الإتفاق إلى الدولة العلية والمملكة العثمانية وصار فرح عظيم بمدينة القسطنطينية وبساير الأقطار الإسلامية واشحنت التجار أصناف البضايع في السفن البحرية السايرة إلى الاسكندرية لعلمهم أن الأقطار المصرية تسلمتها الدوَلة العثمانية وما توفق وصولهم إلا بعد فساد الصلح والنية وعندما اقبلوا على الاسكندرية ونظرت إليهم الفرنساوية فرفعوا لها السناجق العثمانية فدخلت تلك المراكب في

(١) ورد في نسخة ڤييت، ص ٩٤ «ان مراد بيك أرسل وأخبر إبراهيم بيك بشروط الإتفاق الجديد ولكن إبراهيم بيك إعتذر عن قبول الإتفاق لأن حريمه موجودة في دمشق الشام».

البواغيظ من غير خوفٍ [١٣٤-أ] ولا تحريز وارموا المراسي والحبال وهم باغضآء بال ونزلت روسآء المراكب إلى البر وهم مآمنين فقبضت الفرنساوية عليهم وارسلوا ضبطوا المراكب بما فيهم وكانوا نحو ثلاثين مركباً صغار وكبار وفيهم من البضايع ما يحيّر الأنظار وارسلوا اعلموا أمير الجيوش بتلك الأخبار وذكروا لهُ أن البحرية أكثرها اروام وما فيهم إلا قليل من الإسلام فآمر أمير الجيوش أن تُباع البضايع على التجار وآمر إلى نقولا الجنرال أن يتوجه للاسكندرية ويعين عندهُ الأروام النوتية فسار المذكور كما آمر أمير الجيوش وعيَّن عندهُ الأروام والبسهم لبس الصلدات الفرنساوية(١) وأما وزير الختام بعد كسرهِ ورجوعهِ إلى غزة بالذل بعد العزة وقد تفرقت تلك الجيوش والأمم في الصحارى والأكام وخرجت الغز من القاهرة بالقهر والإرغام وشاعت أخبار هذا الإنكسار في ساير النواحي والأقطار لأنهُ [١٣٤-ب] من غرايب الأمور وعجايب ما يحدث في العصور والأزمنة والدهور أن فيئَة يسيرة تشتت عدة ملايين غزيرة وتقوىَ وتقتدر وتظفر وتعلو وتنتصر فهذا مما يحيّر الأفكار ويدهش الأسماع والأبصار فالعزة لله القوى الجبار وقد ارتجّت ممالك الإسلامية رجةً قوية ووقع عليهم الخبال من تلك الأحوال وابتدت أصحاب العقول في الأفتكار وتدبير ما يزيل عنهم هذا العار ويبدد هُولا الكفار وقد كان في مدينة القدس المحمية أحد اغاوات الانكجارية اسمهُ أحمد آغا(٢) من مدينة حلب القوية فهذا كان يجول بأفكاره على

---

(١) شكل الجنرال كليبر فريقاً كاملاً من اليونانيين البحارة، ضَمَّ ١٥٠٠ محارباً.

أنظر: M.G. Guemard, auxiliaires de l'armée de Bonaparte, B.I.E. Vol. Ix, P. 5,6

ولقد ذكر الجبرتي هذه الحادثة، وعلّق على هذه الفرقة الجديدة من البحارة قائلاً: «وأضافوهم إلى عسكرهم وأرسلوا منهم طائفة لمصر، فكانوا أقبح حالاً من الفرنسيين في تسلطهم بالإيذاء على المسلمين». أنظر: الجبرتي، مظهر التقديس، ج ، ٢، ص ٦٤.

(٢) ذكرت بعض المصادر أن أحمد آغا، هو أحد الآغوات الذين كانوا بمعسكر الوزير الأعظم يوسف باشا، وقد حضر أحمد آغا المذكور معركة هليوبوليس، وقد رغب أن يعيد للوزير الأعظم قيمته التي ضاعت في هذه المعركة، وذلك باغتيال المنتصر، الجنرال كليبر، وعندما كان هذا الآغا في القدس، إلتقى بسليمان الحلبي العائد حديثاً من زيارة الأماكن المقدسة، وحضّه على قتل الجنرال =

شخصٍ مغوار أو مغازٍ يُغار أو محتالٍ غدَّار أو خبيث مكار يحتال بالفطنة والإختبار على قتل ذلك الرهط الجبار والبطل القهار سلطان اوليك الكفار ويسقيه كاس الدمار [١٣٥-أ] وقد اجتهد في ذلك التربير والأمر الصعب العسير الذي لا يقدم عليه إلاَّ كل ليثٍ خطير أو شجاعٍ مغير يطلب المناداة والموت في المغازاة أو طمعاً في المكاسب وعلو المراتب وبينما هو في ذلك الإهتمام لبلوغ المقاصد والمرام وإذ تقدم عليهِ شاب قوي الجنان مملو من الجهل اسمهُ سليمان[١] وهو من مدينة حلب الشهبا قد هزهُ جنون الصبا وأوعدهُ بقتل ذلك السلطان حباً بالدين والإيمان فأخذ يجسرهُ ذلك الآغا المذكور ويحثهُ على قضا هذا الأمر المأثور ويوعدهُ بما يناله من الإنعامات الوفية من الدولة العلية وما يحصل لهُ من السرور ومن الاسم المشهور مدى الأعوام والدهور وكان ذلك الشاب ما بلغ من العمر أكثر من اربعة وعشرين سنة إلاَّ انهُ اسد درغام وليث هجام فسار من القدس على هذا المرام ودخل إلى غزة بنفسٍ معتزة. وهناك اجتمع بأحد من اغاوات الإنكشارية [١٣٥-ب] اسمهُ ياسين آغا[٢] من الرجال الحلبية فحدثه الشاب بما في ضميره من النية من قتل سلطان الفرنساوية

= كليبر، ميمناً إياه بحماية أبيه التاجر في حلب، وبإدخاله في جماعة المجاهدين السريين ضد الكفار، وكذلك فإن عمل سليمان الحلبي يرضي كثيراً إبراهيم باشا المحصل والي مدينة حلب.

أنظر: Deherain, histoire: de la nation Egyptiènne Vol. V P. 495-496.

(١) من المفيد هنا أن نذكر باختصار ترجمة لسليمان الحلبي أصله من حلب ولد بها لوالد يدعى محمد أمين وكانت سنه عندما قتل كليبر أربع وعشرين سنة. وقد جاء مصر لتلقي العلم بالأزهر منتسباً إلى رواق الشام، وقد ظلَّ سليمان في الأزهر ثلاث سنوات قبل مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر، وغادر القاهرة عند احتلال الفرنسيين لها وعاد إلى حلب وعندما سمع بما جرى على الأزهر من حوادث وكوارث صممَّ على الرجوع إليه غازياً في سبيل الله والدين فغادر حلب إلى القاهرة ماراً بالقدس وغزة حيث اشترى من سوقها خنجراً وفي الطريق إلى القاهرة إنضمَّ إلى قافلة تحمل الصابون والدخان في طريقها إلى مصر ودخل الأزهر واعتكف برواق الشام شهراً كاملاً تعرف خلاله بأربعة من المجاورين وهم طلبة من غزة وأطلعهم على مخططه لاغتيال كليبر غير أنهم نصحوه بالإقلاع عن هذا الأمر لكنه لم يسمع النصيحة وأخذ على عاتقه تنفيذ مخططه دون مساعدة أحد ثم بدأ يروض نفسه ببرنامج شديد في طاعة الله والصوم والعبادة وعندما أنس من نفسه القوة أقدم على عمله. للتوسع راجع: أدوار جوان، مصر في القرن التاسع عشر، ترجمة محمد مسعود (الطبعة الثانية القاهرة ١٩٣١) ص ١٦٥.

فجسَّره ياسين آغا على تلك البنية وأعطاه اربعين غرش اسدية[1] وسار المذكور إلى مدينة مصر الكنانة وفي قلبه الغدر والخيانة ودخلها في شهر ذي الحجة ونفسه غير مرتجة وقطن في جامع الأزهر وهناك اجتمع بأربعة أنفار[2] من المجاورين واخبرهم بما في باطنه من الكمين وطفق يتبع أمير الجيوش من مكان إلى مكان ويترقب لهُ فرصةً من الزمان ليبلغ بها المرام وحين آن الأوان وسمح العزيز الرحمن ودنت الأجال واتسع المجال ركب أمير الجيوش ذات يوم من الجيزة إلى القاهرة وكان ذلك نهار الاثنين الواقع من ٢١ محرم سنة ١٢١٥ فمن بعدما لبَّس شيخ العريش على القضاوية[3] جال ذلك النهار في مصر مع عساكره القوية ورجع إلى منزله [-١٣٦] في موكب عظيم ومحفل جسيم ودارت المناداة في شوارع القاهرة تنادي حسبما رسم السلطان كليبر سلطان مملكة مصر القاهرة وصاحب الجيوش الظافرة وكان قط لم ينادوا في شوارع مصر جهاراً باسم السلطان إلاَّ لذلك البطل القهار ثم بعد رجوعه إلى منزله قصد المسير لغند وزيره داماس إذ كان منفرداً عن الناس وقد قدمنا الإيراد أنهُ كان يحب

---

(٢) ياسين آغا هو أحد الموظفين العثمانيين في مدينة غزة وذكرت بعض المصادر أنه إلتقى سليمان الحلبي وشجعه على عمله وسهلّ سفره إلى مصر مع إحدى القوافل التجارية المتوجهة إليها. راجع:
Deherain, Histoire, Vol. V, P. 495

(١) غرش أسدية: اسم أطلقه المصريون والسوريون على الدولار الهولندي وكانت تسميه العامة (أبو الكلب، لانهم اعتقدوا أن الاسد الممثل لهذه العملة هو كلب راجع: ديغرانج. ص ٢٨٥.
والريال الهولندي عُرِفَ في النصوص العربية تحت أسماء مختلفة أخذت معانيها من الاسد المرسوم على هذه العملة وكانت قيمة هذا الريال قد بدأت تنخفض في أوروبا منذ القرن السابع عشر ولكنه إحتفظ بقيمته في الشرق ـ بشكل أدهش التجار الاوروبيين ـ حتى نهاية القرن السابع عشر راجع:

A. Raymond, Artisants et commerçants, Vol. I, P. 20-21.

(٢) إن الأربعة أنفار الذين ذكر الترك هنا أنهم حثوا سليمان الحلبي على عمله هم: السيد محمد العريشي، السيد أحمد الفزي، الشيخ عبد الله الفزي والسيد عبد القادر الفزي راجع: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١١٧. وهم من المجاورين في رواق الشام. وللتوسع حول رواق الشام بالأزهر راجع مقال د. مصطفى رمضان. في كتاب المؤتمر لدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام (دمشق ١٩٧٩) ج ٢، ص ١٧ ـ ٩٧.

(٣) حول إعادة تنصيب الشيخ العريشي على القضاء في مصر راجع: الجبرتي عجائب الآثار: ج ٣، ص ١١٥ ـ ١١٦.

الإنفراد وعند آخر النهار خرج معه شيخ المهندسين[١] وقد اجّرتهُ الاقدار إلى شرب كأس البوار وبينما هو منفرد في الجنينة الكاينة بين منزله وبين منزل وزيره داماس فدخل عليه ذلك الشاب سليمان وكانت عليه ثيابٌ باليات ومد يده إليه ليستعطي منهُ صَدَقَة وأعطاه من يدهِ وَرَقَة فأخذها كليبر من يده. وبينما هو يمعّن في قراتها فانقضّ عليه ذلك الشاب وضربهُ بسكين كان محتفظاً عليه تحت ثيابه فجاءَت الضربة بخاصرته فسقط في الأرض وصرخ[٢] [١٣١-ب] صوتاً عظيماً وضربهُ ثانياً وثالثاً ورابعاً وقد سمع صوتهُ كل من كان بالقرب منه فبادر إليه المهندس وبيده عصاة فضرب القاتل بها على هامه فجرحهُ فهجم سليمان على المهندس وضربهُ بتلك السكين فجرحهُ جرحاً بليغاً ووقع على الأرض بين ميت وحي وفر القاتل هارباً وعندما سمع داماس الوزير صوت أمير الجيوش بادر مسرعاً فنظر أمير الجيوش ملقىً على الأرض طريحاً فخار وصرخ من فعل بك يا مليح هذا القبيح فرفع يده وأومى القاتل الهارب وحضرت الصلدات وداروا حول الجنينة وطفقوا يفتشون وأي من وجدوه عليه يقبضون وإذ بامراةٍ من شباك دلّت على القاتل وكان متخفياً في بعض الدهاليز فقبضوا عليه ونظروا إلى ثيابه عليهم أثار الدم والسكين معهُ واتوابهِ فرفعوا جسد أمير الجيوش إلى منزله واجتمعت الجنرالية والكوميسارية والفيسالية و[١٣٧-أ]الجراحية وبدوا بصب العلاجات فما مكث غير برهة يسيرة ومات وصار حزن لا يوصف عند ساير الجيوش الفرنساوية وبكوا بكآءً مرّاً وعضّوا البنان تحسراً وقهراً وأخذوا يقدحون شرراً وينظرون شذراً ليخرجوا الأحكام بتدوير الحسام في النصارى والإسلام ويقتلوهم على التمام ولولا تعطف الملك العلام وظهور ذلك الغلام ويتضح النور من الظلام لكان حل بأهالي مصر الويل والإنهدام وأما اهالي القاهرة فشملهم خوف عظيم

---

(١) شيخ المهندسين: هو المهندس المعماري بروتان Protain كان كليبر قد قصده لفحص الأشغال المقررة لإصلاح مقر القيادة العامة في قصر العيني. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٢١، ١٢٢.
أنظر: Deherain, histoire, Vol. V. P. 497

(٢) حول مصرع كليبر، أنظر: الجبرتي، المصدر السابق ج ٣، ص ١٢١، ١٢٢.

من هولاء الجبابرة واختفت الناس في المنازل والبيوت وأخذتهم البهتة والسكوت ويقي كلٌ منهم مبهوت في قتل ذلك البهموت وخافوا أن يكون أصل ذلك الفعل الذميم من سكان تلك الأقاليم أن هذا القاتل الشنيع يرمي الناس في هذا المهلك الفظيع الخطب المريع وأما الفرنساوية حين وقعوا في هذه البلية احضروا القاتل سليمان وعذبوهُ العذاب الشنيع فقر واعترف ١٣٧-ب بما صنع وأتلف ومن هو الذي ارسلهُ لهذا الطرف وكيف مشا وتصرف وقر عن اوليك الأربعة انفار المجاورين الذين عندهم حقيقة الخبر باليقين فسارت الصلدات الفرنساوية إليهم بالخفية ليلاً يعلموا ويهربوا فدخلوا الجامع وقبضوا على الثلاثة وهرب الرابع وأحضروهم وبدوا يعذبونهم ويقررونهم فقروا أن معهم خبر هذا القاتل سليمان وما هو معول عليه من الحرام وقد نصحوه فلم يسمع كلام فحكم عليهم الشرع بالموت بعدم تخبيرهم وتحذيرهم وبرز من الشريعة الفرنساوية[١] أن سليمان القاتل تُحرق يده أولاً بالنار ثم يرفعوه على خاذوق عالٍ أمام النظار ثم يقطعوا راس الثلاث أنفار ويرفعوهم على مزاريق حول الخاذوق ثم أن في ثاني الأيام عند الصباح صنعوا الفرنساوية ديواناً عمومياً واختاروا كبير الجنرالية المدعو الجنرال منو وأقاموه أمير الجيوش عوضاً ١٣٨-أ عن المقتول[٢] وبعد ذلك صنعوا ميتماً عظيماً ومحفلاً جسيماً وصنعوا له تابوتاً من الرصاص ووضعوه فيه بعد ما جوَّفوا جسده وحنطوه وأخذ داماس الوزير قلب الأمير كليبر ووضعه في زجاجة وسكب عليهِ ارواحاً لحفظهِ من البلا والفساد وقد

(١) لقد أورد الجبرتي في الجزء الثالث من كتابه عجائب الآثار وثيقة هامة عن محاكمة سليمان الحلبي ورفاقه وتضمنت محاضر استجوابهم والتحقيق معهم أمام المحكمة العسكرية الفرنسية التي شُكلت في القاهرة بتارتيخ ١٤ تموز ١٨٠٠ وقد نشر الفرنسيون هذه المحاضر في حينها مع ترجمة لها بالعربية فاوردها الجبرتي في كتابه محافظاً على نصها دون تغيير حتى بالأخطاء اللغوية الواردة فيها. راجع كتابه المذكور من ص ١٢٢ ـ ١٤٠. كما ورد التحقيق في نسخة ڤييت بصورة مختصرة ص ٧٥. ولقد أعجب الجبرتي بعدالة القوانين الفرنسية ويقول في السبب الذي جعله يعرض التحقيق بكامله هو «لما فيه من الاعتبار: من هؤلاء الطايفة الذين يحكمون العقل ولا يدينون بدين» راجع المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٧.

(٢) تم تعيين الجنرال منو قائداً لجيش الشرق في ١٥ حزيران ١٨٠٠، ومثل حكمه المرحلة الأخيرة للحملة الفرنسية. حول ذلك راجع: محمد فؤاد شكري، عبد الله جاك منو، ص ٢٢٨ وما يلي:

حزن هذا الوزير حزناً مفرطاً مع البكا والتعداد ثم أمر منو امير الجيوش بنقل جسد سلفه وحضرت كافة الجنرالية وباقي حكام الفرنساوية وجميع العلما والأعيان وجمّ غفير من كل الملل والأديان واحضروا خيل الأمير كليبر ثم البسوهم الحلل السواد ووضعوا التابوت فوق عربانه وغطوه بحلةٍ سودا ومشت جميع العساكر أمام التابوت وهي منكسة البندق وركب أمير الجيوش منو مع سوارى العساكر وسار من بركة اليزبكية إلى قصر المعنية[1] وجميع العساكر والعلما والأعيان والحاكم وأرباب الديوان ماشين قدام التابوت والفرنساويون في ١٣٨-ب بكاءٍ شديد بحَزَنٍ مفرط ما عليهِ من مزيد وسحبوا القاتل ورفقاهُ حفاة عُراة مكتوفين قدام التابوت وحينما وصلوا أمام القصر اصعدوا القاتل ورفقاه إلى اعلا الكوم وحذفوا روس اوليك الثلاثة انفار ووضعوهم على ثلاثة مزاريق وأحرقوا يد سليمان القاتل وهو بالحياة ثم رفعوهُ على خازوق عالٍ وركزوا الثلاثة مزاريق حوله ثم اوقدوا ناراً شديدة واحرقوا بها أجساد اوليك الثلاثة انفار ثم ادخلوا التابوت إلى وسط القصر وعملوا له مصطبة عالية ووضعوه فوقها وغرسوا حولها اغصاناً خضراً وصعد أمير الجيوش إلى مكان عال واخذ يعظ موعظة عظيمة تجعل القلوب كليمة والدموع سجيمة تتضمن مراثي محزنة والتهابات موهنة على مثل هذا البطل الهمام والأسد الباسل الدرغام الذي قد نشر الإعلام وقهر الأنام وظفر في عسكر الإسلام وطرد وزير الختام وبدد ذلك الجيش الملتام وخلَّد ذكرهُ مدى الدهور والأيام ومن بعد ١٣٩-أ اتمام تلك المراثي الموجعة والتعديدات المتنوعة اطلقوا البندق الكثيرة حول التابوت وبكوا بكاءً مراً على فقد هذا البهموت ثم أقاموا محافظاً ليلاً ونهاراً وفي كل ثلاث ساعات يتغير أحد الصلدات ويأتي غيره اكراماً له واجلالاً لقدره وبعد ذلك رجع أمير الجيوش إلى منزله ببركة اليزبكية وتفرقت لمنازلها العساكر الفرنساوية وكلّ منهم ملتهب بنيرانٍ مهولة بانهدام هذا الركن العظيم ذي الصولة واستحوذ الحزن

---

(١) إستقر منو في القصر العيني كما استقر من قبل كليبر ونابليون.

والاكتيئاب على المختصين بهِ من الأحزاب وتفرقت من ذلك الوقت منهم القلوب بأذن علاّم الغيوب وأما أمير الجيوش منو فهذا كان من المتقدمين في بلاط ملك باريز السلطان لويس وحين قتلتهُ المشيخة تبع هذا رايهم وحين حضروا للديار المصرية وحصلوا على ذلك التأييد ١٣٩ ب اقامهُ بونابارته حاكماً على رشيد فمكث هناك مدة وتزوج بأمراة مسلمة شريفة[١] وادّعى بالاسلامية وسمّى ذاته عبد الله وكان متقدماً بالعمر ذا احتيال ومكر ومن بعد تقدمه على العساكر الفرنساوية وارتضوهُ الجميع شرع يغيّر في الأحكام والوظايف وضم إليه حزباً من الفرنساوية وأضعف احزاب سالفه القوية[٢] واتكل على تدبيره وقوة بطشه فتغيرت قلوبهم من ذلك الوقت ووقع الاختلاف بين الفرنساوية وابتدا ذلك الأمير في التبديل والتغير وأمر أولاً في قفل جامع الأزهر[٣] وعقد لذلك ديواناً وأدّعى أن هذا المكان ليس هو محلاً للدرس والتعليم للفرايض والسنن بل هو محلّ لعقد المشورة وايقاظ الفتن فأمر بطرد المجاورين وقفل أبوابه اجمعين ثمَ أمر بتكميل بنآء الأبراج التي كان شرع في بنايها سلفه الأمير كليبر ثم آمر بتوسيع الطرقات ١٤٠ أ التي داخل القاهرة وهدم عدة بيوت وشرع بكشف السور الذي كانوا وجدوه من باب النصر لباب الجديد[٤] وهدموا من

---

(١) أعجب الجنرال منو بالدين الإسلامي، وأشهر اسلامه، وتزوج من مصرية إبنة صاحب حمام، تدعى زبيدة، إعتقاداً منه أنها من الأشراف.

أنظر: F. Charles-Roux, Bonaparte gouverneur d'Egypte, P. 293

أنظر: Deherain, histoire de la nation Egyptiènne, Vol. V, P. 490

ويذكر الجبرتي أن هذا الزواج قد تم ضد إرادة أهل الفتاة. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص ١٣٣. إلا أن الترك يذكر أن هذه الفتاة من الأشراف. أنظر: ڤييت، ص ٩٦، ديغرانج، ص ١٩٣، الشهابي، ج٢، ص ٣١٨.

(٢) لقد انقسم جيش الشرق في عهد الجنرال منو إلى حزبين: إستعماريين. ولا إستعماريين أنظر: محمد فؤاد شكري، عبد الله جاك منو ص ٢٨٠ ـ ٣٣٣.

(٣) يذكر الجبرتي أن إغلاق منو للجامع الأزهر، قد تم بناءً على طلب المشايخ أعضاء الديوان، الشرقاوي والمهدي والصاوي. أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٣.

(٤) لقد خلط الترك بين باب الحديد وباب الجديد، فإذا كان المقصود باب الجديد، فهو يقع إلى الشمال =

أمامه ومن ورايه بيوتاً عديدة وأكمل بنآء هذا السور وجعل من فوقه ثلاثة أبراج وهدم جامع الحاكم بأمر الله المشهور في مصر[١] القريب من باب النصر وجعلهُ برجاً عظيماً ثم حصَّن اوليك البروج والأسوار بالمدافع والقنابر الكبار وآمر الجنرال يعقوب بتكميل السور الذي كان شرع في بناية بأيام كليبر وأمر على النصارى الشوام أن يدفعوا ثلاثماية كيس بالتمام وأحدث على النصارى خراجاً ثقيلاً لم يمر بالأزمنة خراجاً أثقل منه وافرض أيضاً على الإسلام واليهود كذلك وكان كرباً عظيماً وظلماً عميماً[٢] وذلك على الرعايا من جميع الملل ولولا الرخا العظيم لكانت خربت من الظلم تلك الأقاليم هذا والفرنساوية لم تكل من تعمير الحصون بمدينة القاهرة ١٤٠-ب وفي الاسكندرية واصرفوا على ذلك خزاين عظيمة إذا كانوا ناظرين قلة عددهم وهدم امدادهم وكثرة اضدادهم فحصنوا تلك الحصون المنيعة وأمر أمير الجيوش باطلاق السيد احمد المسجون من سلفهِ الأمير كليبر وقد ذكرنا انه حين قبض وزير الختام على الجنرال بوضوط قبض أمير الجيوش على مصطفى باشا وارسله إلى دمياط وأقام هناك تحت الترسيم يكابد الهم العظيم فمرض من قهره وتوارى في قبره[٣] وصنعوا لهُ الفرنساوية بدمياط ميتماً عظيماً ومحفلاً جسيماً حسب عادة روسا العساكر أصحاب المناصب والمفاخر فهذا ما كان من الفرنساوية في الديار المصرية وأما ما كان من أمير الجيوش بونابارته فانه جاز البحار وداس المهالك والأخطار ووصل بالأمن الحريز إلى

= من القاهرة وهو أقرب إلى السور من باب ذويلة، في حين أن باب الحديد يقع شمال غربي القاهرة.
أنظر: Description de l'Egypte, Vol. XVIII, P. 300-301

(١) يقع جامع الحاكم بأمر الله خارج باب الفتوح، وقد أسسه الخليفة نزار بن المعز لدين الله عام ٣٨٠ هـ - ٩٩٠ م، وفي عام ٤٠١ هـ - ١٠٠٩ م، أكمله إبنه الحاكم بأمر الله وقد انتهى من بنائه عام ٤٠٣ هـ - ٢٠١٢ م. أنظر: المبارك، الخطط التوفيقية، ج ٤، ص ٧٩، ٨٠.

(٢) حول الضرائب والغرامات التي فرضت على الشعب والتجار. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩.

(٣) توفي مصطفى باشا كوسا بعد وفاة الجنرال كليبر بخمسة أيام أي في ٢٨ حزيران ١٨٠٠.
أنظر: M.G. Daressy, Moustapha Pacha le prisonier d'Aboukir, B.I.E., Vol. XI, P. 69, 70

مدينة باريز[١٤١-آ] وصنع أموراً غريبة واحتيالات عجيبة ودخل على روساء المشيخة فارتجوا لدخوله واهتزوا لحلوله وتعجبوا غاية العجب من خلاصهِ من بلاد العرب ونهضوا بوجههِ نهضة الغضب وعزموا على هلاكهِ والعطب فنشر لهم اساطير اللوم والعتب وطفق يبكتهم على فعلهم الذميم وسيرهم الغير مستقيم وخيانتهم الشنيعة وتحطيمهم حقايق الشريعة وتركهم الخاص رجال المملكة الفرنساوية في ممالك البربرية من دون عون ولا اسعاف ورمهم في الهلاك والتلاف فهنض اليهِ بعضٍ روسا المشيخة فبدا يبث له العذر فما قبل عذره وجزره فلما جزره ضربه بالشيش[١] على هامه فحين حسس بونابارته بالألم وثب على ذلك الشيخ وثب الأسد الضيغم واطلق في صدره الرصاص فالقاهُ قتيل وفي دمه جديل[١٤١-ب] وهجم على بقية أرباب الديوان مع اصحابه بالسيف والنيران فقتل منهم أثنان وهما اللذان كانا له مبغضين وعلى هلالكه بالديار المصرية متفقين وانتبهت اصحاب بونابارته وطفقوا يصيحون فليعش ريئس شعبنا الأمير الشهير والليث الخطير بونابارته النحرير وحينما سمع شعب مدينة باريز اسم هذا العزيز طفقوا يتهللون وبالندا يعلّون فليعش بونابارته مخلصنا وعظيم مشيختنا[٢] ثم أن بعد انقضا الهياج وهدو ذلك العجاج عقد بونابارته ديواناً مع عظماً الجمهور وذوي التدبير في الأمور وأوعظهم أن يختاروا رئيساً على الشعب يكون خبيراً فهيماً وبإمور الدهر عليما فاجابوهُ جميعهم بصوتٍ واحد لا ريس لمشيختنا سواك ولا لنا مدبّرٌ إلاّ اياك ودعوه القنصل الأول في الجمهور الفرنساويين[٣] كما كانت هذه العادة عند[١٤٢-آ] الرومانيين وابتدأ من ذلك الوقت

---

(١) الشيش: كلمة تركية جمعها (شياش)، ومعناها سيف طويل مدبدب، أو سيخ طويل من الحديد، ومن شيش جاءت «شيش كباب».

أنظر:

Dozy, Vol. I, P. 810

Barbier de Meynard, Vol. II, P. 164

(٢) تختلف الأحداث في هذه النسخة، عنها في نسخة ڤييت، ص ٩٨، ولكنها تتشابه تماماً مع ما جاء في نسخة ديغرانج ص ١٩٦، ومع الشهابي، ج ٢، ص ٣٢٠.

(٣) لقد ترجم الترك أحداث إنقلاب برومير بشكل أسطوري ملحمي. قام نابليون بونابرت بانقلاب =

والحين بتجهيز العساكر الكثيرة والجيوش الغزيرة وفتح مدارس التعليم وارسل الجيوش إلى ممالك ايطاليا واخفض المقامات السامية ومهد الجبال العالية وداس تلك الرقاع والبقاع واسترجع المدن والقلاع وملك الأقاليم والبلاد وخضعت له تلك العباد وحرض[1] عساكر الأنبراطور واخلا منهم الدور وانقادت لهُ الملوك وسألوهُ الصلح فلم يأبي بل سلك معهم غاية السلوك وقررهم على الرضى والأتفاق مع العهود والوثاق ورجع بالجيوش إلى مدينة باريز بنصرٍ عزيز وارتجت جميع الممالك الأفرنجية من سطوته القوية ومن بعد هذه الانتصارات الجزيلة التي تمّت بأيامٍ قليلة كتب القنصل الأول بونابارته إلى سلطان رومية كتاباً بالصلح والسلام[2] وبردّه لكرسيه بالعز والأكرام [١٤٢-ب] وفتح الكنايس جميعها في ساير بلاد فرانسا واشهر ايمانه بالمسيح واعترف جهاراً أمام كل الشعوب بهذا الدين الصحيح وانتشر ذلك في كامل البلاد الافرنجية وابتداء يجاهد ويفرغ جهده لكي يعين زمرة الفرنساويين الذين باقاليم مصر مقيمين فلم يمكنه عدوهُ الانكليز من ذلك وقد سدد عليهِ جميع الطرقات والمسالك وكان قبض على مقدار سبعة آلاف أسير من المسكوبين في حرب النمسا وأرسل أعلم بهم دولة الإنكليز وطلب منهم أن يستفدي بهم ما عندهم من اسرا الفرنساويين فأبى الإنكليز من ذلك وحين تحقق بونابارته أنه لا يقبل ذلك الاتفاق فاحضر تلك الأسارى المسكوبين ومن عليهم بالاطلاق اجمعين وكساهم كسوة جديدة وصنع

= على حكومة الإدارة أطلق عليه إسم إنقلاب برومير لأنه حدث في الثامن عشر من شهر برومير أي في التاسع من شهر تشرين الثاني، في حديقة سان ـ كلو، ومنذ ذلك التاريخ أصبح نابليون القنصل الأول في فرنسا، ثم قنصلاً مدى الحياة حتى عام ١٨٠٢ ثم إمبراطوراً للفرنسيين في ١٨ أيار ١٨٠٤.

أنظر: Oct. Aubry, la revolution française, la republique, Vol. II, P. 470, 489

(١) الصحيح: ودحض.

(٢) عقد القنصل الأول نابوليون بونابرت صلحاً مع البابا عام ١٨٠١ عرف باسم «الكونكوردات»، لمن يريد التوسع يمكنه مراجعة كتاب:

J. Lefton et E. Bernier, Evêque d'Orléans et l'aplication du Concordat. 2 vols, (Plon. 1938).

لهم وليمة عظيمة وحباً بهم أمر في زينة جسيمة وأرسلهم إلى كرسي دولتهم [١٤٣-أ] مع أحد الجنرالية من قبله وحرر إلى السلطان باولو[١] أنهُ قد كتبت إلى سلطان الإنكليز صديقكم أن يستفدى بالأسارى المسكوبيين بما عنده من أسرا الفرنساويين فأبى من ذلك ولم يرضى وحين وصلت العساكر أعلموا السلطان باولو بما فعل بونابارته من الاكرام بعد الأسر والاعدام ففرح فرحاً شديد ما عليه مَزيد وأمر بزينةٍ حبّاً بالمشيخة الفرنساوية وأجراء الصلح بينه وبين القنصل الأول بونابارته[٢] على حرب الإنكليز والدولة العثمانية بواسطة اقتدراهما وانتشار قوتها واستعد الملك باولو المشار إليه على مضادة الإنكليز والعثماني وكتب السلطان باولو للسلطان سليم أن يمنع الحرب عن الفرنساوية المتملكين الديار المصرية لبينما يدبر أمراً إلى الصلح وإن لم يمتنع عن حرب الفرنساويين لبينما يجرى صلحهم مع الإنكليز والاَّ [١٤٣-ب] يقتضي الأمر أن ينادي في الحرب والقتال فحين وقف السلطان سليم على هذا المقال فأخرج حالاً الأمر من الدولة العثمانية برفع الحرب عن الفرنساوية الذين هم بالديار المصرية فهذا ما كان من القنصل الأول بونابارته وأما ما كان من الإنكليز فإنهم لم يرتضوا بأن يمتنعوا عن محاربة الفرنساويين فأخذوا يدبرون مكايد لهلاك السلطان باولو سلطان المسكوبيين وبدوا يجمعون العساكر ليسيّروهم إلى مصر فبلغ بونابارته ففي الحال أرسل مركباً صغيراً إلى مدينة الإسكندرية وأخبر أمير الجيوش أنها حاضرة لمحاربتهم عسَاكر الانكليزية بعشرين ألف مقاتل وأخبرهُ بموت الجنرال ديزه في

---

(١) السلطان باولو، هو قيصر روسيا بول الأول، ولد في سان بترسبورغ عام ١٧٥٤، وأصبح قيصراً عام ١٧٩٦. وشكل حلفاً في أوروبا أطلق عليه (الحلف الحيادي) توفي في حادث اغتيال بتاريخ ١٢ آذار ١٨٠١. La grande encyclopédie larousse, T. 17, P. 10667.

(٢) كان القيصر بول الأول شديد الإعجاب بنابوليون وقد انسحب من التحالف الأوروبي الثاني ١٧٩٨ ـ ١٧٩٩ ضد فرنسا. وحاول هذا القيصر الحصول على تأييد دول أوروبا الشمالية للدفاع عن مبادىء الحياد. هذا المشروع الذي كان بالنسبة لنابوليون حظاً سعيداً غير مرتقب، ولكنه فشل بسبب اغتيال القيصر إثر فتنة نشبت في القصر الامبراطوري: للتوسع راجع:

A. Fugier, histoire des relations internationales, 4 vols, la revolution française et l'Empire Napoléoniénne, Vol, IV, P. 130

حرب النمسا فكان حزن عظيم عند الفرنساوية وأخبرهم أن يصنعوا ميتماً كعادة روسا العساكر وأن يتشددوا للحرب والجلاد وأوعدهم بالأسعاف والامداد وأوصاهم ١٤٤-أ بحفظ البلاد بقوة الحرب. والجهاد وحين دخل ذلك المركب للأسكندرية وأوصل الكتابات إلى عبد الله منو من بونابارته القنصل الأول فعقد ديواناً في مصر وحضرت روسا العساكر الفيسالية وفرحوا فرحاً عظيماً لانتصاره والصلح مع الملوك وهدو الملة وسكون حركاتها وتأملوا بالامداد وانسروا بصلح البابا وركون البلاد وحزنوا لفقد الجنرال ديزه وصنعوا لهُ ميتماً واجتمعت الفِرنساوية إلى بركة اليزبكية مع العلما والحكام وأرباب الديوان وصنعوا لهُ تابوت وخرجوا بهِ من باب النصر وهم منكسين البندق وساروا إلى أرض القبة[1] وهناك عملوا المراثي والمناحة وأوردوا شجاعته وفروسيته والإنتصارات التي صارت عن يده ثم أطلقوا البندق حول التابوت وبكوا على فقد ذلك البهموت ورجعوا إلى القاهرة بحسرةٍ وافرة ثم نرجع لما كنا في اراده ١٤٤-ب من الوزير الأعظم فإنه بعد رجوعه إلى أرض فلسطين بعد تلاشي عسكره المتين ابتدا يفرق الفرمانات على ساير الأقاليم والبلاد بطلب العساكر للجهاد وابتدت تتوارد عليه العساكر من ساير الأماكن فجدت عسكراً عظيماً وقد حدث بفلسطين وتلك الأقطار غلاءٌ جسيم ومات من القحط من أهل تلك الديار خلقٌ عظيم من كثرة تلك العساكر المتبادرة والجيوش المتقاطرة وتضايقت تلك العساكر من عدم المأكل وماتت البهايم والدواب ثم أعقب الغلا الطاعون المريع[2] والموت الفجيع فمات منهُ الشريف والوضيع وحاق التلاف بكل الأطراف بلا شك ولا خلاف وحل بهم الوبال والنكال وماتت منهم خواص الرجال ولم يبقَ من تلك العساكر إلَّا الوجيز ومات كل رهط عزيز وقد مات من السناجق أحسنهم

(١) أرض القبة: هي قبة العزب، أو قبة باب النصر، وتقع خارج القاهرة. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ١، ص ١٨٨، ٢٥٠، ٢٥٩.

(٢) أصيبت بلاد الشام ومصر بالطاعون عام ١٢١٥ هـ - ١٨٠١ م. أنظر: حول ذلك الجبرتي، مظهر التقديس، ج ٢، ص ١٣١.

وأفرسهم وأجملهم ١٤٥-أ وعدة وافرة من المماليك الجبابرة وهم مصطفى بيك الكبير[١] وأيوب بيك الكبير[٢] وعثمان بيك الشرقاوي[٣] وعثمان بيك الطويل[٤] وحسن بيك الجرداوي[٥] وقاسم بيك أبو سيف[٦] وقاسم بيك أمين البحر[٧] والأمير شروان[٨] وذلك من غير الكشاف والسناجق الصغار وتقمقمت عساكر الإسلام على رب الأنام إذ كانوا يقولون ما يحل من الله العلي العلام أن الكفار يتنعمون في خيرات مملكة الإسلام بتلك الديار ونحن نهلك بالبراري والقفار ونلتقي الجوع وبرد الليل وحر النهار وقد كان بلغ الوزير الأعظم الإتفاق الذي وقع بين مراد بيك والأمر كليبر وأنهُ وعده إذا رحلت الفرنساوية يسلمهُ الديار المصرية ثم بلغهُ ما حل بالأمير كليبر من المنية ففرح فرحاً شديد ما عليه من مزيد وتأمل بتملك تلك الأقطار بعد زوال ذلك الأسد المغوار فدعا ١٤٥-ب ابراهيم بيك وأمرهُ أن يكتب إلى مراد بيك أن يطالب عبد الله منو أمير الجيوش بوعد سلفه كليبر وأن لا بد لهم من الخروج من هذه المملكة لكون لا قدرة لهم على الثبات حيث لا إسعاف لهم ولا إمداد وقد بقوا قليلين العدد وكثيرين الأضداد

---

(١) هو من مماليك محمد بيك أبو الذهب، تولى إمارة الحاج، ومات مطعوناً في الشام ١٢١٥ هـ - ١٨٠٠ م، أنظر: الجبرتي، مظهر التقديس، ج ٢، ص ١٤٣.

(٢) أيوب الكبير: هو من مماليك محمد بيك أبو الذهب، مات مطعوناً ١٢١٥ هـ - ١٨٠٠ م، أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٣.

(٣) عثمان بيك الشرقاوي: من مماليك محمد بيك أبو الذهب، مات مطعوناً في الشام ١٢١٥ هـ - ١٨٠٠ م. أنظر: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٢.

(٤) عثمان بيك الطويل: هو عثمان بيك الطبل، تولى الامارة والسنجقية عام ١١٩٢ هـ - ١٧٧٨ م وتوفي مطعوناً في بلاد الشام ١٢١٥ هـ - ١٨٠٠ م. أنظر: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤١، ١٤٢.

(٥) حسن بيك الجرداوي: هو من مماليك علي بيك الكبير، توفي مطعوناً في غزة ١٢١٥ هـ - ١٨٠٠ م. أنظر: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٢.

(٦) قاسم بيك أبو سيف: هو قاسم بيك المسكوبي، من مماليك إبراهيم بيك الكبير، مات مطعوناً عام ١٢١٥ هـ - ١٨٠٠ م. أنظر: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٢.

(٧) قاسم بيك أمين البحر: أنظر: ترجمته فيما سبق ص - ٨٥.

(٨) الامير شروان: هو من مماليك مراد بيك توفي مطعوناً في الفيوم ١٢١٥ هـ - ١٨٠٠ م. أنظر: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٦.

وأخصامهم كثيرة في ساير البلاد ومن المنتحيل أن يقتدروا على هذا الجلاد ومحاربة جميع العباد والعساكر العثمانية والمراكب الإنكليزية قايمة عليهم من كل الجهات فخروجهم الآن بالصلح والسلام أوفق لهم من خروجهم بالقهر والإرغام وأوعد الوزير لإبراهيم بيك ان متى عوَّلوا على الإمتثال وخرجوا على هذا المنوال يسلم المملكة إلى الغز المصريين كما وعدهم كليبر ويرتحل هو للقسطنطينية بالعساكر الهمايونية ويرسل وزيراً يكون بالقلعة السلطانية وذلك حكم [١٤٦-آ] الأيام السالفة بدون مناقضة ولا مخالفة فكتب ابراهيم بيك ما أمرهُ الوزير وكتب أيضاً الوزير فرمان إلى مراد بيك بهذا الشأن ولما وصلت إلى مراد بيك هذه الكتابات رآها صواب وفي الحال كتب إلى أمير الجيوش يعرفهُ بتلك الأسباب وأرسل بها عثمان بيك البرديسي وأمرهُ أن يشرح إلى أمير الجيوش عبد الله منو ما ذكرهُ الوزير الأعظم ويعرض عليه ذلك الفرمان الذي أتاه فتوجه عثمان بيك إلى مصر وأخبر أمير الجيوش في تلك الكتابات وأعرض عليه الفرمان[1] فتغيرت منهُ الأحوال وأجابه أننا نحن لسنا عازمين الآن على الخروج من هذه المملكة فمتى عزمنا وأردنا أن نتركها نبقى في ذلك الوقت نقيم بوعدنا مع مراد بيك ومع ذلك مراد بيك قاطن بمملكة مصر براحة كلية وقد صار عضواً من أعضاء المشيخة الفرنساوية ولا يكن مهتمّاً إلاّ [١٤٦-ب] بذاته فأجابهُ عثمان بيك البرديسي أن مولاي مراد بيك أرسلني للتخبير لك بالصورة الواقعة والمكاتبة لا على صورة السوال والمطالبة ولا بد عن رفع الريب والشكوك عنه لأنهُ لا بد كان يبلغ حضرتك رسالة الوزير الأعظم لمولاي فيحصل الشكوك والريب وقام عثمان بيك بمصر بعد هذا الكلام مدة أيام بالعز والإكرام وقد كان أحضر جانباً

---

(١) بتاريخ ٨ شباط عام ١٨٠١ عقدت جلسة في القاهرة بين عثمان بيك البرديسي وبين الجنرال منو وقد عرض عثمانُ بيك على أمير الجيوش مراسلات إبراهيم بيك والوزير الأعظم لمراد بيك، كما حذره من حملة يعدها الوزير الأعظم في سورية ضد مصر، لكن الجنرال منو أظهر تعالياً على عثمان بيك مما جعل هذا الأخير يعود إلى الصعيد وهو غاضب منه. أنظر: محمد فؤاد شكري عبدالله جاك منو، ص ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦. انظر أيضا:

Deherain, histoire, Vol. V. P. 514

من الأموال الميرية المستوجبة على مراد بيك للمشيخة الفرنساوية وبعد ذلك أخبر مراد بيك بجواب أمير الجيوش فكتب لابراهيم بيك عن جواب الفرنساوية وقد كان مراد بيك غير مطمأن من طرف الدولة العثمانية[1] فلذلك لم يُبالي بذلك الجواب وبالنفور الذي أبداه أمير الجيوش على الوزير لأنهُ كان قايماً في الصعيد بعيشٍ رغيد وأما ابراهيم بيك ومن معهُ من الغز [١٤٧-أ] المصريين الذين كانوا مع الوزير متحدين كانت قلوبهم أيضاً غير أمينة والخشية في قلوبهم كمينة وهم خايفون من غدر الدولة ونياتها المدغولة فاجتمعوا في بعضهم ودبروا أمرهم وأنهم يلتجون إلى الإنكليز فقبلهم السر عسكر سميث وأمنّهم بميثاقٍ شديد وأعرض أمرهم إلى باب الدولة العثمانية واستخرج لهم الخطوط الشريفة من الدولة المنيفة بالأمانات الوثيقة والعهود الحقيقة فاطمأنوا الغز المماليك وأمنوا من المهالك فاشتهر أمرهم وبان سرهم بأنهم قد صاروا في حماية الإنكليز بكل آمنٍ حريز وكانت في ذلك الوقت الحركة ساكنة في مصر من شهر صفر سنة ١٢١٥ إلى شهر شوال كمالة الثمانية أشهر وفي شهر رمضان ثمانية أيام منهُ ظهرت الشمس والقمر معاً في وسط النهار وكان في القرب من القمر نجوم تشعشع جداً كالنار [١٤٧-ب] وكانا النيّران أي الشمس والقمر ظاهران وقد تم ما قيل إذا ظهر النيّران بميقاتٍ واحد يلطف الله بأهل الكنانة وفي هذا الشهر المذكور أقبلت على البواغيظ الأسكندرية ماية وخمسون مركباً إنكليزية مشحونة بالرجال والأبطال فارتجت لقدومهم اسكندرية وتلك الأطلال وكتب الجنرال فوريه الحاكم بالأسكندرية يعلم أمير الجيوش بمصر بقدوم تلك المراكب ويستنجدهُ ولما وصل الكتاب حالاً جهز العساكر وأرسلهم عن طريق رشيد وثالث يوم حضر لهُ كتاب ثاني من الجنرال المذكور يعلمهُ بأن المراكب إذ لم تستطع الوقوف تجاه الإسكندرية من المدافع فرجعت بطريقها مولية فكتب أمير الجيوش للعسكر

---

(١) علق الجنرال (دونزيللو)، الحاكم الفرنسي لميناء الأقصر على إخلاص مراد بيك للفرنسيين بقوله «إن إخلاص هذا البيك لنا مبعثه كرهه للعثمانيين».

أنظر: Deherain, histoire Vol. V. P. 512

المرسول أن يرجعوا واطمأن قلبه ظاناً أن أعداه الإنكليز هربت منه وكان الأمر ضد ذلك لأن المراكب المذكوة [١٤٨-آ] إذ لم تستطع المقابلة بوجه الإسكندرية لكثرة حصونها فرجعت إلى أبو قير وخرجت العساكر من المراكب إلى البر وبنت المتاريس المتينة وكانوا عشرين ألف مقاتل وهولا الذين أخبر عنهم بونابارته من باريز وحذرهم من ذلك حد التحريز وقد بلغ الخبر إلى الجنرال فوريه أن تلك العمارة أخرجت عساكرها إلى أبو قير فبالحال سار إليهم بثمانماية مقاتل وانتشبت فيما بينهم القتال وقد كانت واقعة من الأهوال وانكسرت الفرنساوية ورجعت للإسكندرية وأرسل الجنرال المذكور وأخبر أمير الجيوش بتحصين الإنكليز في أبو قير وقدوم عمارة العثمانية فارتجت الفرنساوية رجةً قوية وجهز أمير الجيوش العساكر وأرسلهم على طريق رشيد وقد خافت باقي الفرنساوية الذين بقوا بمصر وبان عليهم إشارات الغلبة وبدوا يخلون المنازل القاطنين بها ويتحصنون في [١٤٨-ب] القلعة الكبيرة وفي الجيزة وسقطت عليهم الأوهام وتنكست منهم الأعلام وتيقنوا بالزوال وعدم الدوام من كثرة الأخصام ومبادرة الأعادي من كل فجٍ ووادي وكانت العساكر الإنكليزية والعثمانية ينوفون عن الخمسة وثلاثون ألفاً جنكية[١] وذلك ما عدا عساكر الوزير الأعظم الوارد من الشام وعسكر وارد من أرض الهند الشرقي على طريق القُصَير خلا عن سكان الأقاليم المصرية القايمة على قدمٍ وساق مع العساكر القادمين بالإتفاق ومن هذا القبيل قد ارتجة قلوب الفرنساوية وكانت قلوبهم منقسمة غير محتزمة كرها منهم في أمير الجيوش لأنه فرَّق قلوبهم لأن في جلوسه على تخت القاهرة كره رجال سلفه كليبر وبالإختصار نقول أن الأمير عبد الله منو من بعد ثلاثة أيام سار بباقي العساكر على طريق رشيد وولّى مكانهُ الجنرال بليار قيمقام وهذا الجنرال من [١٤٩-آ] رجال الجنرال ديزه حاكم الصعيد سابقاً وكان رئيساً في الأحكام شديد البأس في الحرب والصدام

(١) جنكية: الأصل (جنكة)، وهي كلمة فارسية الأصل تعني ساحة القتال، أما معناها العام فهو، حرب، أو معركة، أما في هذا النص فقد أخذت معنى جنود، محاربين.
أنظر: Dozy, Vol. I, P. 225

وكانت الفرنساوية بدت تخلي الأقاليم والبلاد ويجتمعون في مدينة مصر ثم قد أخلوا قطية وبلبيس والصالحية وجميع الوجه الشرقي وأرض الصعيد ودمياط والمنصورة وقد انحصروا في القاهرة والرحمانية وفي رشيد أمام العساكر العثمانية والإنكليزية وكانت عدة المحاربين من الفرنساوية ثلاثة عشر ألف مقاتل فقط ما عدا أرباب الصنايع والنسا والأولاد فكانوا مقدار سبعة الاف والبقية ماتوا بالحروب والجلاد والبعض توجهوا للبلاد فهولا جميعهم انحصروا في القاهرة والرحمانية ورشيد والإسكندرية وبقي في بوغاظ دمياط المعروف بالعزبة مايتان صلدات ومن بعد حضور حسين باشا قبطان[1] ساري عسكر العمارة العثمانية مع عمارة الإنكليزية وطلوعهم لابو قير هجموا على رشيد وإذ لم يستطع الجنرال حاكم رشيد والعساكر الفرنساوية لمصادمة هولا الجيوش فسلّم المدينة وخرج وبَنَت العساكر الفرنساوية متاريسها في الرحمانية وانتشب الحرب بين العسكرين وكان ذلك في ابتداء شهر ذي القعدة إلى ثمانية ذي الحجة ختام سنة ١٢١٥ وكان في تلك الأيام حدث طاعون عظيم في مدينة مصر وأقطارها ومات في الصعيد الأمير الشهير صاحب الكوكب المنير الأمير مراد بيك[2] وكان حزناً

(١) حسين باشا قبطان: أصله من بلاد الكرج، بيع في القسطنطينية وهو صغير وفي عام ١٧٧١ قدم هدية إلى السلطان مصطفى الثالث وتربى في القصر الامبراطوري مع السلطان سليم الثالث، الذي كان أخاه بالرضاعة وعندما اعتلى العرش السلطان سليم عين حسين باشا قبطان باشا بتاريخ ١٠ آذار ١٧٩٢، وقد تأثر بأفكار سلطانه الإصلاحية، وشغل منصب قائد الاسطول العثماني مدة ١٢ عاماً، وقد كان مرابطاً أمام الاسكندرية منذ عام ١٨٠٠ وانضم إلى الحملة الإنكليزية على مصر في العام التالي، ودخل مصر على رأس ٦ آلاف جندي الباني عام ١٨٠١ في الحملة التي انتهت باخراج الفرنسيين من مصر، وعاد إلى القسطنطينية كمنتصر وتوفي عام ١٨٠٣.

أنظر مقال: Munir Aktepe dans l'encyclopédie de l'Islam 2ème ed, Vol. III, P. 647-648

(٢) لم يكن الجبرتي معجباً بمراد بيك، يقول في ترجمته: «وكان يغلب على طبعه الخوف والجبن مع التهور والطيش والتورط في الإقدام مع عدم الشجاعة»، أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٧٠.

عظيماً عند الغز المصريين لأنه طفى سراج زمرة المماليك الشجّيعين ومات سليمان بيك وعدة من الكشاف والمماليك وغند موت مراد بيك جمع مماليكه وأقام عليهم مملوكه عثمان بيك الطوبجي وسلَّم الخزنة إلى مملوكه عثمان بيك البرديسي وأوصاهم بأن يكونوا في طاعة ابراهيم بيك الكبير ويكونوا متحدين مع بعضهم بغض ومات هذا الأمير المذكور في ختام [١٥٠-آ] سنة ١٢١٥ ومات في مدينة مصر عدة من الفرنساوية وكذلك من الرعية وفي هذا الشهر المذكور نهض الوزير الأعظم يوسف باشا من أراضي غزة بالجيوش العثمانية قاصداً الديار المصرية وكان بطيئاً في مسيره خشية من انقلاب الوقت وتغييره لأنهُ كان قد جرَّب حرب الفرنساويين واختبر جَارة قلبهم المتين وقد عظمت الأهوال على الفرنساوية وأحاطت بهم الأعدا من كل ناحية وشرع الجنرال بليار يحصّن القاهرة وحفر خندقاً عميقاً من باب الحديد الذي بالقرب من اليزبكية إلى شاطيء بحر النيل ببولاق وغرس على حافات الخندق أصول النخل وصنع من ورايهِ أبراجاً من النخل والرمل وأقام متاريس عظيمة ووضع عليهم المدافع الكبار وحصن مدينة الجيزة والقلعة الكبيرة وأشحنها بالجبخانات العظيمة وأدخل المشاق والزيت استعداداً للحريق بالنار هذا والحرب مشتداً بين العساكر الفرنساوية [١٥٠-ب] والجيوش العثمانية والإنكليزية وذلك في أراضي الرحمانية ومات من الفريقين جمع عديد بهذا الحرب الشديد ومات أربع سواري عسكر من الإنكليزية وعدة جنرالية من الفرنساوية وانجرح الجنرال لانوس جرحاً بليغاً ومات منهُ وقبل وفاته دخل عليه أمير الجيوش عبد الله منو ويبكي عليه وقال له سلامتك أيها البطل من الهلاك ولا تشمت بك أعداك فتنفس الجنرال لانوس الصعدا من فوادٍ مجروح من سهام الأعدا وأجابهُ قائلاً قد القيتنا أيها الجنرال ببحر الهلاك من فساد رأيك وكبرياك فلا يسوغ للذي نظيرك أن يكون أمير الجيوش الفرنساوية ومدبر حروبها القوية بل يجب أن يكون مدبراً في مطبخ المشيخة[1] لأنك لو كنت

(١) هذا الحديث الذي أورده الترك هنا بين الجنرالين لانوس ومنو يكشف عن العلاقات المضطربة بين الاثنين، فالجنرال لانوس كان من حزب كليبر أي من المؤيدين لخروج الفرنسيين من مصر صلحاً. حول هذا الخلاف راجع: Deherain, histoire, Vol. V, P. 520

تركت العساكر سايرة في طريقها لما كانت أعدانا الإنكليز قدرت تملك منا البر وتمكن هذا التمكين فكان ذلك من[١٥١-أ] جبروتك وعنادك المبين ومات هذا الجنرال وحزنت عليهِ الفرنساوية حزناً عظيماً وقد كانت هذه الوقعة الأخيرة التي انجرح بها لانوس ومات غلبت الفرنساوية وانتصرت على الجيوش العثمانية والإنكليزية وعزمت عساكر الإنكليز أن تسلم أرواحها إلى الأسر وقد كان مقد مالحرب في تلك الوقعة لانوس البطل المشهور والليث الجسور وكان المذكور في ذلك اليوم أظهر في الحرب عجايب وفنون الغرايب وجاهد في الكفاح إلى أن غُلِبَت الأعدا وارموا السلاح وعندما أصابهُ ذلك الجراح حضر إلى معونته أمير الجيوش وحمل على الأخصام وأمر إلى رؤوس العساكر الجنرال رانيه والجنرال داماس وهم المكروهين منه أن يتقدما لمساعدة لانوس فتخلفا وأبيا عن التقدم[١] وقرعت طبول الكسرة والرجوع إلى ورا نكايةً في أمير الجيوش وارتدت العساكر الفرنساوية وتظاهرت[١٥١-ب] عليهم العساكر الإنكليزية لما علموا من الإنفساخ الذي ظهر فيما بينهم فانتصروا عليهم نصرةً عظيمة من بعد ما كانوا آيسوا من السلامة والغنيمة. وارتدت الفرنساوية إلى متاريسها وظهر في هذه المعركة الجنرال نقولا الروم وعارك عراكاً شديداً فعندما نظر أمير الجيوش انقسام قلوب العساكر أجمع رأيه أن يترك جانباً بالمتاريس بأرض الرحمانية نحو ثلاثة آلاف وسار بباقي العسكر إلى الاسكندرية وبدا يبني المتاريس في خارج المدينة وقفل أبواب البلد فجأت الإنكليز وقطعت السرى الذي بين بحر المالح وبين خليج النيل المودّي إلى الاسكندرية وكان قصد الإنكليز قطع الطريق ما بين اسكندرية والقاهرة لأجل شدة المحاصرة وكان ابراهيم باشا[٢] قد احرق قطية وتسلم

(١) رفض الجنرالان رونيه وداماس إطاعة أوامر القائد العام ولقد اعتقلهما الجنرال منو عندما تحصّن في الإسكندرية ثم أرسلهما إلى فرنسا بعد أن حاولا الإساءة إلى سمعتهما. أنظر: محمد فؤاد شكري. عبد الله جاك منو ص ص ٥١٥ ـ ٥١٧.

(٢) ورد في «سالنامة ولاية حلب»، ان اسمه (حاجي ابراهيم باشا) وقد كان محصلاً ثم تولى حلب من عام ١٢١٤ ـ ١٢١٨ هـ ـ ١٧٩٩ ـ ١٨٠٣ م، واستلم ولايته بعد انتهاء ولاية عبد الله باشا العظم في حلب. أنظر: سالنامة ولاية حلب، ١٣٠٨ ـ ١٣١٠ هـ ـ ص ٨٣.

مدينة دمياط وأما العساكر التي كان أبقاها أمير الجيوش في المتاريس بالرحمانية فإنهم قاتلوا قتالاً عظيماً [١٥٢ آ] وتركوا المتاريس ليلاً وتوجهوا إلى مصر وصارت العساكر الفرنساوية قسمان قسم بالاسكندرية مع أمير الجيوش وقسم في القاهرة مع الجنرال بليار أعظم الجبابرة وتقدّمت عساكر الوزير للحصار من كل فجٍ وديار وداروا حول مصر شرقاً وغرباً وبراً وبحراً ونهضت الغز المصريون عزوة مراد بيك من أراضي الصعيد وأتوا إلى مدينة رشيد وقابلوا حسين باشا قبطان واختلطت العساكر العثمانية مع المصرية والإنكليزية حول مصر من الجهة الغربية وقدم الوزير الأعظم بعساكره من الجهة الشرقية وابطى إيابه ابطآء زايداً وكان السبب أنهُ حضر لهُ أوامر من الباب العالي وإلى حسين باشا قبطان أن يتوقفا في الحرب عن الفرنساوية المقيمين في مصر وكذلك كنا ذكرنا سببه سابقاً وأن السبب كان المكاتيب التي ارسلها السلطان باولوا ملك روسيا وفي غضون ذلك جدَّت الإعلام من الباب العالي [١٥٢ ب] بوفاة المشار إليه السلطان باولو الذي كان متحداً مع الدولة الفرنساوية ضد الإنكليزية فعند حقيقة تلك الأخبار رجعوا لما كانوا عليهِ من الحرب والحصار وإخراج الفرنساوية من الديار المصرية وكان ذلك في شهر محرم سنة ١٢١٦ هذا والجنرال بليار لم يكن عندهُ افتتاح أخبار وكان ذلك من انقطاع الطرق والمسالك فأرسل مائة هجاناً على طريق البرية إلى مدينة الاسكندرية لينظر الأخبار من تلك الديار وما جد من الأمور من طرف الجمهور وسارت المائة هجان وغابوا مدة ظويلة نحو اربعين يوماً وما بان منهم خبر وكان الجنرال بليار في اضطراب عظيم ووسواسٍ جسيم[1] من عدم ايابهم

= ويقول الغزّي في سنة ١٢١٥ سافر ابراهيم باشا أغاسي من عظماء رجال الدولة الحلبيين إلى مصر لمحاربة الفرنسيين وخرج معه متطوعاً نقيب الإشراف محمد قدسي أفندي ومعه من الإشراف نحو أربعة آلاف رجل». أنظر: الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج ٣، ص ٣١٥.

(١) قطعت الجيوش العثمانية والانكليزية الطريق بين الإسكندرية والقاهرة، وبقي الجنرال بليار في القاهرة وحصّنها تحصيناً قوياً، ولما ضيقت الجيوش الزاحفة الخناق على القاهرة «عزت الأقوات وشحت زيادة على قلتها وخصوصاً الأشياء المجلوبة من الريف»، وحاول بليار إستمالة القاهريين كي لا يثوروا على الفرنسيين بشتى الطرق وكانوا يصوغون بيانات متعددة للشعب محاولين فيها =

وطول غيابهم وبعد المدة المذكورة حضروا الهجانة عن طريق الجبل وجازوا ليلاً على معسكر الإنكليز المقيم أمام الجيزة غربي [١٥٣-أ] الكنانة ولم يحسوا بهم حين مروا عليهم ودخلوا الجيزة وحضروا أمام الجنرال بليار واطلعوه على صحة الأخبار وأتى لهُ جواب من أمير الجيوش[١] يعلمهُ أنه حضر مركب صغير من مدينة باريز وصحبته كتابات من القنصل الكبير يعلم بها أن السلطان باولو سلطان روسيا اتحد معه على حرب الإنكليز وأرسل إلى الدولة العثمانية برفع الحرب عن الفرنساوية الذين بالديار المصرية ولم يكن دارياً بوفاة السلطان باولو الذي كان قد أوقف الحرب وحضر كتاب إلى الجنرال يعقوب القبطي يمدحه على شجاعته وفروسيته ويوعده بسمو مرتبته ويشدده على الحرب والجلاد ومصادمة الاضداد وأن لا بد له من الإسعاف من المشيخة والإمداد وعند ما تحقق الجنرال بليار تلك الأخبار أخذ ألفين مقاتل وسار بهم ليلاً إلى معسكر الوزير الأعظم إلى بلبيس[٢] مسافة يوم عن القاهرة [١٥٣-ب] وهناك تلاطمت العساكر العثمانية مع عساكر الفرنساوية ومات عدة من الأرناوط ومن الغز وحين نظر الجنرال بليار أن جيوش الترك كثيرة وهم قاصدين الجلادة والغزو والجهاد وليس الأمر كما زعم أمير الجيوش بأن الحرب متوقف فرجع إلى مصر بحمية وتمكن داخل الحصارات

= إقناع القاهريين أنهم باقون في البلاد.» أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٦٦، ١٧١، ١٧٦، ١٨٨.

(١) لقد وصلت رسالة الجنرال منو إلى الجنرال بليار وعرضها هذا الاخير على أعضاء الديوان ويقول الجبرتي في ذلك «أنه حضر إليه مكتوب من كبيرهم منو بالإسكندرية صحبة هجانة فرنسيس وصلوا إليهم من طريق البرية، مضمونة أنه طيب بخير والأقوات كثيرة، وبلغهم خبر وصول عمارة مراكب الفرنساوية، وأنْ العمارة حاربت بلاد الإنكليز واستولت على شقة كبيرة منها»، «وكان وصول هذا المكتوب بعد نيف وأربعين يوماً من إنقطاع أخبار إسكندرية ولا أصل لذلك»، أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٨٩، ١٩٠.

(٢) خرج الجنرال بليار من القاهرة بجيش قدره ستة آلاف مقاتل، في ١٥ أيار قاصداً بلبيس، وفي ١٦ منه كانت معركة الزوامل، إنسحب بليار اثرها إلى الإسكندرية دون ان يخسر الكثير من جنده. ولكن الترك لم يضع هذه المعركة في توقيتها الصحيح. أنظر: محمد فؤاد شكري، عبد الله جاك منو، ص ٥٠٨ ـ ٥١٠. أنظر أيضاً:
F. Charles-Roux, l'Engleterre et l'expédition française Vol. II, P. 197-200.

القوية وابتدت العساكر تتوارد إلى مصر شهر صفر سنة ١٢١٦ إلى أن بلغوا لقرب القاهرة وكان الوزير الأعظم قادماً من الشق وحسين باشا مع عسكر الإنكليز من الغرب وضرب الوزير الرستاق في أرض شيره والمكاس في القرب من الكنانة وحسين باشا ضرب الرستاق مع عسكر الإنكليز أمام مدينة الجيزة غربي مصر وتكاثرت جيوشهم واجتمع عليهم طموش غفيرة وعربان كثيرة هذا وذلك الجبار والأسد المغوار الجنرال بليار قايماً في [١٥٤-أ] الكنانة أمام ذلك الجم وقلبه أشد من الصخر الأصم ووقعت هيبته عند ذلك الجمع الملتئم لأن قد شاع ذكر هولا الشجعان في ساير البلدان واشتهرت سطوتهم وانتشرت صولتهم وقد كانوا هولا العتاة لا يعرفون الموت من الحياة فلذلك اجتهدت الدولة العثمانية بإخراجهم من مملكة مصر بالسلامة والاطمأنية وقد خافوا أيضاً ليلاً إذا ضايقوهم يطلقون النار في البلد ويحرقوها وكانوا قادرين على ذلك لما عندهم من الإستعداد وقوة الجلد والجهاد فلذلك استقامت تلك العساكر والمماليك يتداولون في أن كيف يحتالون وكيف يخرجونهم بالسلامة والبيكون وفي نصف صفر ارسل السر عسكر الإنكليز رسولاً يطلب من الجنرال بليار أن يرسل أحداً من طرفه لأجل المفاوضة بأمر الصلح فأرسل له أحد الكوميسارية(1) ولما وصل إلى مقابلته أخبره أولاً بموت السلطان باولو وكان قصده بهذا [١٥٤-ب] الخبر لأجل قطع آمالهم من اعانة المسكوب وانقطاع رجالهم ثم بدا يتفاوض معهُ بأمر الصلح وتسليم المملكة إلى أصحابها واذهابهم إلى أوطانهم بالإمان ويريه انقطاعهم في هذه البلاد وعدم اسعافهم والامداد وأن الخروج لا بد منه وكل محصور

---

(١) لقد أخطأ الترك لأن الجنرال بليار هو الذي أرسل مفاوضاً عنه إلى معسكر الإنكليز، هو الضابط (توسار) Tousar لأن بليار كان قد قرر التسليم منذ معركة الزوامل، لاعتقاده أن جيش الشرق والفرنسيين قد فقدوا مصر نهائياً، وأن الجلاء عن مصر في شروط مشرفة كشروط إتفاق العريش، تمكن جيش الشرق من العودة إلى الوطن مرفوع الرأس موفور الكرامة.

أنظر: F. Charles-Roux, l'Angleterre et l'expédition française, Vol. II, P.P. 198, 199, 202

مأخوذ[١] وبعد ذلك سيّره أن يرد عليه بالجواب فرجع الكوميسار إلى عند بليار واعملهُ بهذه الأخبار وعن وفاة السلطان باولو وكلام سر عسكر الإنكليز فلما سمع الجنرال بليار هذه الأخبار صنع ديواناً وجمع ساير الجنرالية وروسآء العساكر الفرنساوية[٢] وأخبرهم بمخاطبة سر عسكر الإنكليز وطلبه الصلح والتسليم ثم استشارهم كيف يكون الجواب وما يقتضي رأيهم من الصواب فمكثوا برهةً يتداولون ويتشاورون ثم أنهُ أجمع رأيهم أن التسليم أوفق وعدم الحرب أرفق بحيث أن الخروج يكون سليم العاقبة على شروطٍ مناسبة وعلى ذلك عقدوا الرأي وبدوا يسطرون شروطاً وعهود لتسليم مملكة مصر ومن بعد أن حرروا الشروط قدموها إلى الجنرال بليار وأرسلها إلى سر عسكر الإنكليز مع الكوميسار ثم نصبوا خيمة في بر الجيزة بين العسكرين وهناك تصير المفاوضة بين الفريقين فالذين انقاموا[٣] وكلا لأمر الصلح من طرف الفرنساوية الكوميسار ويوسف الترزي الأرمني ومن طرف الإنكليز الجنرال سميث ساري عسكر وبمعيته أحد الكوميسارية ومن طرف الوزير الأعظم عثمان بيك ومن

---

(١) قابل الضابط (توسار) الجنرال الانكليزي هوب Hope، وطلب منه أخبار قائد الجيوش الانكليزية هتشنسون برغبة الجنرال بليار بتسليم القاهرة صلحاً، ووافق هتشنسون على انعقاد مؤتمر للنظر في شروط التسليم ونصبت الخيام في معسكر على شاطىء النيل لهذه الغاية أطلق عليه (معسكر المؤتمر). أنظر محمد فؤاد شكري، عبد الله جاك منو ص ٤٩٠.

(٢) لم يشأ بليار أن يأخذ على عاتقه مسؤولية البت في مسألة تسليم القاهرة، فعقد مجلساً حربياً بتاريخ ٢٢ حزيران، حضره كبار القواد الفرنسيين في القاهرة، ووافقه بعض القواد على التسليم إلا أن الجنرال دونزيللو أصر على الصمود بضعة أسابيع أخرى حتى ترتفع المياه في النيل ويتم الإستعداد للإنسحاب إلى الصعيد، مما يتيح الفرصة للفرنسيين بسبب معرفتهم للبلاد للقيام بمناورات ناجحة، إلا أن بليار رفض مواصلة القتال وأصر على التسليم. أنظر:

Deherain, Histoire, .Vol. V, P. 523.

محمد فؤاد شكري، عبد الله جاك منو، ص ٤٩٦.

(٣) لقد أخطأ الترك بالنسبة لممثلي الصلح من الأطراف المعنية، لأن الجنرال بليار قد مُثلَ في المفاوضات بثلاثة أشخاص هم: الجنرال موران Morandوالجنرال دونزيللو، والقومندان تارير Tarayre ومَثّلَ الانكليز الجنرال هوب، بينما مثّل الوزير الأعظم عثمان بيك، ونابَ إسحق بيك عن حسن باشا.

أنظر: Deherain, histoire, Vol. V, P. 523

طرف حسين باشا قبطان اسحق بيك[١] واستمرت المداولات بأمر الصلح أربعة أيام وحينما تمت تسجَّلت المواثيق والعهود وانعقد الرأي على تسليم مصر وإعطاها إلى الدولة العثمانية ١٥٥-ب وخروج العساكر وجميع الفرنساوية منها على موجب الشروط الآتي ذكرها[٢] عن يد سدني سميث سر عسكر الدولة الإنكليزية ثم حتمت الفرنساوية بأن يكون التسليم عن يد حسين باشا قبطان بواسطة الإنكليز وسببه أن هذا المشار إليه كان يميل لطرف الفرنساوية ميلاً عظيماً وذلك قبل دخولهم وأخذهم الأقطار المصرية وفد تهمهُ الوزير الأعظم أن دخولهم كان باطلاعه وتقمقمت الفرنساوية على الوزير لدخوله في الجمعية وقالوا نحن لا نعقد معه شروطاً ولا نقبل منه خطوطاً لأنهُ قد كان خان عهوده مع أمير جيوشنا الأمير كليبر وإذ لم يقدر على التغلب عليه أرسل قتله خفيةً ثم ثبت التسليم عن يد حسين باشا وسر عسكر الإنكليز وتسطَّرت اسطر الشروط وانختمت من الثلاث دول وهذه صورة الشروط[٣] .

---

(١) لقد تلقى إسحق بيك تربيته في فرساي، بعد أن أرسله إلى فرنسا البارون دي توت، ولكن هذا لم يمنع إسحق بيك من أن يعلن نفسه صديقاً للجمهورية الفرنسية بعد ذهاب الملكية، وقد كان الجنرال كليبر قد كتب إلى الجنرال منو محذراً إياه من إسحق بيك« إنني أعرف هذا الشخص منذ وقت طويل، إنه لطيف جداً ولكنه جاحد جداً»، ولقد كُلف إسحق بيك فيما بعد بالمفاوضة مع الإنكليز بشأن المكيدة التي أقيمت للمماليك في الإسكندرية، كما كلف بعد ذلك بالتفاوض بشأن الإنشقاق الذي حصل بين الأتراك والإنلكيز عام ١٨٠٧. أنظر: فييت، هامش ص ١٢٧، من النسخة المترجمة إلى الفرنسية.

(٢) ورد في نسخة فييت، ص ١٠٣، «إن الجنرال بليار تبرطل من الوزير الأعظم بماية وخمسون ألف محبوب إسلامبولي وحين وصل إلى باريز قدمها للقنصل الأول نابليون بونابارت» ولكن هذه الفكرة لا نجدها عند ديغرانج، ولا عند الشهابي.

(٣) يقول المستشرق ديغرانج، بأن هذا النص العربي للمعاهدة يحمل معنىً مخالفاً لما ورد في شروط المعاهدة الأصلية التي كانت مكتوبة باللغة الفرنسية، وترجمت بشكل سيء إلى العربية ويقول، أنه قد صحح في كتابه الأخطاء الأكثر أهمية، إلا أنه لم يتمكن من تصحيحها بشكل كامل، لأن هذا يتطلب منه إعادة كتابة نصها من جديد. أنظر: ديغرانج، ص ٢٨٥. والواقع أن شروط هذه المعاهدة، تطابق بشكل حرفي نسخة ديغرانج. حول شروط هذه المعاهدة. أنظر: الرافعي، تاريخ الحركة القومية، ج ٢، ص ٢٦٦، ٣٦٧، ٣٧٩، ٣٧٠، ٣٧١.

الشرط الأول

١٥٦-أ
إنّ بلوكات(١) العساكر الفرنساوية برية وبحرية وبلوكات العساكر المساعدة المتحدة معهم الذين أمرهم الجنرال بليار أن يسلموا مدينة مصر والقلعة الكبيرة وكامل القلع الصغار ببولاق والجيزة وكامل أطراف مصر الموجودة بها الفرنساوية.

الشرط الثاني (٢)

كامل بلوكات العساكر الفرنساوية والعساكر المتحدة معهم يتوجهوا برّاً إلى بندر رشيد من طرف شمالي النيل بسلاحهم وعزالهم ومدافع البر وصناديق الجبخانة لأجل يوسقوهم من رشيد ويتوجهوا إلى اساكل بلاد فرانسا الموجودة في بحر الأبيض وكامل مصاريف ما ذكر تقوم بها الدولة العلية المصالحة وسفر العساكر المذكورين والمتحدين معهم ونزولهم في المراكب يكون بأسرع وقت وغاية ما يكون من العاقة خمسين يوماً أولها من تاريخ هذه الشروط المحررة ومن غير شك أن العساكر المذكورين يوخذوا بالمراكب إلى أي اسكلة كانت إلى الطريق الأعدل والأقرب لفرانسا.
١٥٦-ب

الشرط الثالث

من ابتدا هذه الشروط تكون العداوة مرفوعة من الطرفين بالكلية

---

(١) بلوكات: كلمة تركية أصلها (بولوك)، وهي جمع للكلمة المفردة بلوك، وقد كانت تعني في الماضي لواء أو فريق.
أنظر: Barbier de Meynard, Vol. I, P. 346.
أما في هذا النص فإنها تعني، سرية، أو كتيبة، وهذا المعنى هو المتعارف عليه في القرن التاسع عشر.
أنظر: Encyclopédie de l'Ialam, 1ᵉʳʳ ed, Vol. II, P. 610

(٢) لقد علق في القاهرة الشرط الثاني عشر، والشرط الثالث عشر، من هذه المعاهدة، مترجمين إلى العربية، ولقد أوردهما الجبرتي في كتابه. أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ٣، ص ١٨٢.

ويتسلم إلى الدولتين المتحدتين قلعة الظاهر وباب مدينة الجيزة المسمى الباب الهرامات وعلى الوكلا المشار إليهم أن يضبطوا الحدود وعدم التخطيّ والإحتراز من وقوع الخلل.

الشرط الرابع

بعد أثنا عشر يوماً من هذا التاريخ مدينة مصر وقلاعها والقلعة الكبيرة والباقية ومدينة بولاق يخلون من العساكر الفرنساوية ومن المتحدين معهم ويتوجهون إلى قصر العيني والروضة[1] واتباعها والجيزة وأطرافها ومن هناك يسافرون في غاية جهدهم ١٥٧-أ إلى مسافة خمسة أيام لكي يتوجهوا إلى محل المراكب التي يسافرون بها وكامل حكام الدولتين العثمانية والإنكليزية، يلتزمون يقدمون مراكب ويقيمون بمصارفهم ولزومهم في بحر النيل لاجل وسق عزالهم ومونتهم لحد البحر المالح وجميع هذه المراكب تكون محضرة بغاية السرعة والأهتمام وتتسلم عساكر الفرنساوية بالجيزة.

الشرط الخامس

مشيٰ العساكر ومحطاتها يكون مُعَيَّنٌ لها جنرالية واهل مراكب[2] من الطرفين وكذا الأيام المعينة للمشي من الواجب يكون المدبر فيها الجنرالية الانكليزية والعثمانية وكذلك العساكر الفرنساوية المذكورون والذين متحذون معهم يكونوا مصطحبين بطريقهم من كوميسارية الإنكليزية والعثمانية فهم الذين يقومون بالمعاش الضروري في مسافة الطريق ومحطاتهم. ١٥٧-ب

(١) الروضة: هي جزيرة في وسط النيل، تقع بين الفسطاط والجيزة، وبينها وبين الجيزة جسر من خشب، وبينها وبين الفسطاط جسر آخر فيها قلعة حصينة بناها السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب في عام ٦٤٦ هـ - ١٢٤٨م والعديد من قصور الأمراء. أنظر: إبراهيم إبن محمد العلائي، الشهير بإبن دقماق، كتاب الإنتصار لواسطة عقد الأمصار، ٥ أجزاء، بولاق ١٨٩٣، ج٤، ص ١٠٩، ١١٤، ١١٦.

(٢) أهل مراكب، خطأ، والصحيح أهل مراتب. أنظر: ديغرانج، ص ٢١٥.

الشرط السادس

كامل العزال والجبخانات الذين يوسقونهم في مراكب بحر النيل يكونوا مغفرين مع بعض عساكر فرنساوية ومراكب حربية من طرف الدولتين المتحدتين

الشرط السابع

فيكون محضراً إلى العساكر الفرنساوية والمتحدين معهم واتباعهم والذين صحبتهم المونة المرتبة حسب قانونهم من يوم سفرهم من الجيزة إلى يوم نزولهم في المراكب ومن ذلك اليوم تكون المونة مرتبة حسب قانون الإنكليز إلى يوم طلوعهم لبلاد فرانسا.

الشرط الثامن

يحضر من طرف حكام الدولة الإنكليزية وحكام العثمانية في البر والبحر المراكب الضرورية الطيبة لأجل سفر العساكر الفرنساوية وكامل ما يلوز بهم[١٥٨-آ] لاجل وصولهم إلى أي اسكلة كانت من بلاد فرانسا الموجودة بحر الأبيض ولاجل اتمام ذلك يجب أن يحضروا كوميسارية من قبل حضرة الجنرال بليار ومن قبل روسا عساكر الدولتين المتحدتين برّاً أم بحراً ومنه بعد تاريخه يجب أن الكوميسارية المتعينين من الطرفين يتوجهون إلى رشيد وابو قير لاجل تحضير المراكب وكامل المطلوبات للسفر.

الشرط التاسع

أن الدولتين المتحدتين يجب يحضرون اربع مراكب أم أكثر أن امكن لاجل نقل الخيول واللوازم لهم لحين نزولهم.

الشرط العاشر

يجب أن يتقدم للعساكر الفرنساوية وكل المتحدين معهم من الدولتين المتحدتين مراكب حربية كفاية لاجل تغفيرهم ووصولهم سالمين إلى فرنسا والدولتين المتحدتين يضمنوا عدم وقوع الخلل والعداوة من طرف عساكرهم إلى حين وصول عساكر الفرنساوية والذين معهم[١٥٨-ب] إلى فرانسا سالمين وكذلك الجنرال بليار يوعد ويتعاهد مع جميع العساكر التي تحت امره أن لا يحصل منهم أدنى خلل للعمارة ولا لبلاد حضرة الدولة الإنكليزية في هذه المسافة وكذا لا يحصل أدنى تعرض وخلل ببلاد الباب العالي ولا ببلاد الدول المتحدة معها فما لهم أن يتوقفوا في اسكلة من الأساكل في مسيرهم بل أنهم يقصدون بلاد فرانسا ما عدا الأمر الضروري ثم روسآء عساكر فرانسا والإنكليز والعثماني يكون معهوداً عندهم جميع ما ذكر اعلاه ومحفوظاً طالما عساكر الفرنساوية الموجودة بمصر ومن هذا التاريخ إلى دخولهم للمراكب وان حضرة الجنرال بليار حاكم العساكر الفرنساوية والمتحدين معهم يتعاهد عن حكام دولة فرانسا أن جميع المراكب المغفرة والمراكب الموسوقة التي مسافرون بها فبعد وصولهم يخرجونهم جميعاً وترجع جميعاً ولا ينعاق منها ولا مركب[١٥٩-أ] وأن القبابطين بالمراكب المذكورة يشترون بما لهم مونتهم الضرورية إلى رجعتهم والجنرال بليار يتضمن رجوع هذه المراكب إلى مواضعها بحيث أنها لم تتداخل بأمور حربٍ بالكلية.

الشرط الحادي عشر

جميع حكام السياسة وأرباب الحرف والصنايع وجميع الأشخاص المتعلقة بالفرنساوية يحصل لهم سوية ما يحصل للعساكر الحربية وأن حكام السياسة وأرباب العلوم والصنايع يصحبون ويأخذون معهم جميع الأوراق والكتب ليس التي تخصهم فقط بل كلما يروه نافعاً لهم.

الشرط الثاني عشر

جميع سكان مصر من اي طايفةٍ كانت من أراد تمنهم يتبع العساكر الفرنساوية مسموح لهم ذلك ومن بعد سفرهم لا يحصل لا لعيالهم ولأموالهم اذية .

الشرط الثالث عشر

١٥٩-ب جميع سكان مصر من أي مذهب كانوا لا يحصل لأحد منهم اذية لا في مالهم ولا في اعيالهم ولا في انفسهم بسبب رفقتهم للفرنساوية .

الشرط الرابع عشر

جميع المشوّشين الذين ليس لهم طاقة على السفر يستقيمون في مصر في بيمارستان ويبقا عندهم حكماً وخدام يداورنهم لحين شفاهم ثم يرسَلوا لفرانسا بالحفظ والصون وأن حكام الدولتين يتهدوا تحضير أمر هولا المشوشين من كامل النظام .

الشرط الخامس عشر

في وقت فروغ مدة تسليم المدن والقلع كما ذكر قبله فيحضروا الكوميسارية يتسلموا المدافع والجبخانات والحواصل وقوايم وأوراق ومحلّات وجناين وغير اشيا عمومية التي للفرنساوية إلى الدولتين المتحدتين.

الشرط السادس عشر

١٦٠-آ حاكم البحر لازم يحضر قبل بساعة مركب يسافر إلى فرانسا وياخذ فسيالاً واحداً وكوميسار إلى طولون وياخذ لهم صورة هذه الشروط إلى المشيخة الفرنساوية .

الشرط السابع عشر

الذين يخالفون هذه الشروطات يحصل قصاصهم عن يد الكوميسارية وكذلك إذا وقع اختلاف في الأمور يكون نظامه واصلاحه بيد الكوميسارية.

الشرط الثامن عشر

بحال اتمام هذه الشروط جميع اسرا الحرب من الإنكليز والعثماني الموجودين عند الفرنساوية يحصل لهم الاطلاق والحرية وكذلك حكام عساكر الدولتين المتحدتين يعتقون كامل اسرا الفرنساوية الموجودين في عرضيهم[١].

الشرط التاسع عشر

واحد من اكابر عساكر الإنكليز وواحد من اكابر عسكر الوزير الأعظم وواحد من حسين باشا قبطان (١٦٠ب) يكونوا موجودين عند الفرنساوية رهينةً ويعطى بدلهم ثلاثة من مقامهم من الفرنساوية ولما ينتهي وصول الفرنساوية إلى بلادهم يرجعون الرهاين المذكورية ويروحون الذين كانوا بدلهم كل منهم إلى محله

الشرط العشرون

هذه الشروط ترسل مع واحد فسيال إلى الجنرال منو للاسكندرية وله مهلة عشرة أيام من بعد وصولها ليده أن كان يرضى على هذا الاتفاق بذاته وعساكر الفرنساوية ويحرر قبوله ورضاه بخط يده إلى سر عسكر الإنكليز الذي مقيم قدام الاسكندرية لغاية عشرة أيام بعد تاريخ وصول هذه الشروط ليده[٢].

---

(١) عرضيهم: كلمة مأخوذة من الكلمة (اردي) أو اوردو وتعني معسكر، وتحولت إلى عرضي، إلا أن تعبير عرضي لا يستعمل إلا في اللغة العربية العامية.

أنظر: Barbier de Meynard, Vol. I, P. 151

(٢) في ٢٩ حزيران بعث بليار بالضابط تارير إلى الإسكندرية لإبلاغ منو بتسليم القاهرة، كما أبلغ =

الشروط الحادي والعشرون

صورة هذه الشروط يعلّم عليهـا سواري عسكـر العام من طـرف الثلاثةدول ويرجع بعد اربعة وعشرين ساعة وينتهي كل ذلك وقد تحرر أربعة نسخ مختومة في محل المسافة ما بين العرضيين في تاريخ مسيدور(1) سنة التاسعة للمشيخة في نصف النهار الواقع في ٢٧ حزيران سنة ١٨٠١ مسيحية الموافق ١٦ صفر سنة ١٢١٦.

وهذه هي الأمضاوات

دنزلو(2) ـ موران(3) ـ تارار(4) ـ جنرال ويرجاه(5) ـ جنرال ويرجاة ـ جنرال ويرجاه ـ جن هوب(6) ـ عثمان بيك(7) ـ جنرال ويرجاه انكليز ـ وكيل يوسف باشا ـ اسحاق بيك ـ قد اثبت ذلك هلي هو تجنسون(8) ـ وكيل قبطان باشا ـ ساري عسكر عام. قد اثبت ذلك لورد كيث(9) ـ جامس ستفنسون(10) قبطان مركب الانكليز.

= اللورد كيث منو رسمياً خبر إتفاق تسليم القاهرة في ٧ تموز وعرض عليه الإستفادة من مادة الإتفاق (العشرين) التي تركت لمنو وجند الإسكندرية الخيار في قبول التسليم وفق الشروط التي تم الإتفاق عليها بين بليار والإنكليز والعثمانيين، إلا أن منو رفض إستقبال الضابط تارير، كما رفض عرض اللورد كيث. أنظر: شكري، محمد فؤاد، عبد الله جاك منو، ص ٥٠١، ٥٢٤، ٥٢٥.

(١) هو الشهر العاشر من تقويم الجمهورية الفرنسية، ويمتد من ٢٠ حزيران حتى ١٩ تموز.

(٢) هو الجنرال الفرنسي Donzelot، ولد في مرسيليا عام ١٧٦٤، وتوفي عام ١٨٤٣.

(٣) هو الجنرال الفرنسي Morand

(٤) هو القومنضان الفرنسي Taraire

(٥) تحوير للكلمة الفرنسية Brigade وتعني قائد فريق، أو لواء.

(٦) هو الجنرال الإنكليزي Joy, Hope

(٧) هو الذي مثل الجانب العثماني في هذا الإتفاق.

(٨) هو الجنرال الانكليزي Hut chifson وقد أصبح القائد العام للحملة الإنكليزية بعد وفاة قائدها السابق Ralphe, abercomby في معركة كانوب في ٢١ آذار ١٨٠١.

(٩) هو الاميرال كيت Keith الذي تعين بقرار من الحكومة الإنلكيزية بتاريخ ١٥ كانون الأول ١٧٩٩، القائد العام للأسطول الإنكليزي والقوات المرابطة في المتوسط الشرقي.

(١٠) هو أميرال أسطول الحملة الإنكليزية Jams Stiphenson

نحن قد اثبتنا جمع الشروط الواقعة في هذا الأتفاق ١٦١-ب لاجل خلو مصر وتسليمها للباب العالي المشيَّد يوسف باشا وزير الختام.

لقد ثبت وتحقق هذه الشروط
في مسيدور سنة ٩ للمشيخة
الجنرال فاريون(١) بليار
قد طبعت في مطبعة الفرنساوية بمصر

ومن بعد إتمام تلك الشروط شرع الجنرال بليار بتخلية مدينة مصر وخروج العساكر منها إلى قصر العيني وإلى الجيزة وتهيًّا للخروج معهُ الجنرال يعقوب(٢) وأتباعه والجنرال برتولمي كومندان بني الروم(٣) مع عساكر الأروام والكومندان يوسف الحموي(٤) وأتباعه المعينون من شفا عمر وأرض عكا وعبد العالي آغة الإنكشارية(٥) وجميعهم خشوا الإقامة في الديار المصرية بعد خروج الفرنساوية وتهيًّا معهم عدة أنفار من عام النسا ونسآءٌ كثيرات ١٦٢-ا منْ الإسلام كُنَّ

(١) فاريون: تحوير للكلمة الفرنسية Divison أي لواء وقد وردت الكلمة في نسخة ڤييت، ص ١١١، ١٠٦ دفازيون، وعند ديغرانج، ص ٢٢١ فاريون، وأحياناً وبنفس المعنى في هذه المخطوطة ص - ٢٠٩، وكذلك عند ديغرانج، ص ١٥١، وعند الجبرتي ج ٣، ص ٦٣، وعند الشهابي، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٢) توفي الجنرال يعقوب القبطي وهو في البحر أثناء عودته إلى فرنسا.
أنظر: M.G. Guemard auxillaires de l'armée de Bonaparte, B.I.E., Vol. IX. P. 1-2.

(٣) رحل الجنرال برتولمي إلى فرنسا، وقابل نابليون وعرض عليه فكرة تأليف فرقة من المماليك، وتوفي في مرسيليا سنة ١٨١٣. أنظر: المصدر السابق، ص ١٥.

(٤) هو من نصارى الشام، رحل مع الفرنسيين إلى فرنسا. أنظر: المصدر السابق، ص ٦، ١٥.

(٥) لم يتابع عبد العال خدماته في فرنسا، ولكنه قدم لوطنه الجديد أحد أبنائه الذي ولد يوم معركة واترلو ١٨ حزيران ١٨١٥، وارتبط بالجمهورية الثالثة، وأصبح جنرالاً شهيراً. أنظر: ڤييت، حاشية رقم ١٧ من النسخة المترجمة.

متزوجات للفرنساوية واستعدوا للسفر معهم(١) وقبل خروجهم أقام الجنرال بليار جسد كليبر من المحل الموضوع بهِ بتابوت رصاص فأمر بنقل التابوت للجيزة باحتفال عظيم ومحفل جسيم وضربوا مدافع كثيرة(٢) وأمر بتنزيل جثة سليمان القاتل مع الثلاثة روس أرفاقه لأنهم كانوا محنّطين ومصبّرين فأنزلوهم بحقارةٍ للجيزة لأخذهم لفرانسا ثم أن بعد الإثني عشر يوماً المعينة لخروجهم من مصر إلى الجيزة بعد تجهيز كامل ما يلزم للجمهور الفرنساوي نهض بليار في العساكر الفرنساوية من القاهرة إلى الجيزة في ٢٨ صفر سنة ١٢١٦ وخليت مصر من من الفرنساوية ودخلت عساكر الوزير للمدينة(٣) وكان فرح لا يوصف عند الإسلام وغم عظيم عند من كان من طرف الفرنساوية خاص وعام وتخبَّت ١٦٢-ب
النصارى واليهود في منازلهم وكانت العساكر الإسلامية أي من وجدوهُ يعتّروه بعدما يهينوه وعندما بلغ الصدر الأعظم أحوال العساكر أرسل آغة الإنكشارية وأطلق التنبيه بالمدينة على الأمان وعدم معارضة الرعية ورفع الظلم والعدوان وفرق الضابطان على جميع الحارات وفي الشوارع والمحلات هذا والعسكر الفرنساوي لم يزل مقيم في بر الجيزة لحينما تتجهز لهم المراكب لحمل أثقالهم لأبو قير ومن بعد أربعة أيام من دخولهم إلى الجيزة حضّرت لهم المراكب لحمل أثقالهم لأبو قير ومن بعد أربعة أيام من دخولهم إلى الجيزة تحضرت لهم المراكب فأشحنوا بها من الأثقال والأمتعة والنسا والأولاد وجميع الذين لا يقدرون على السير في البر وساروا برّاً وبحراً وسارت أمامهم عساكر الإنكليز ومن وراهم

---

(١) ورد في نسخة ڤييت، ص ١٠٥ «أن كثيراً من الإفرنسيين دخلوا في الدين الإسلامي أثناء وجودهم في مصر» ولم ترد هذه الفكرة لا عند ديغرانج ولا عند الشهابي.

(٢) لم يشأ الجنرال بليار أن يترك جسد كليبر في أرض أجنبية، فحمله، وكان الجسد محروساً بفرقة طوال المسيرة.

أنظر: Deherain, Histoire (P. 524)-Vol. V, P. 524

أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٨٤.

أنظر محمد فؤاد شكري، عبد الله جاك منو، ص ٥١٠.

(٣) حول دخول العثمانيين إلى القاهرة بعد رحيل الفرنسيين عنها، أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٨٧، ١٨٨.

حسين باشا بعساكره وهم في وسط الفريقين وساروا أربعة عشر يوماً من الجيزة إلى قرب رشيد ومكثوا هناك بينما تتجهز لهم الذخاير (١٦٣-أ) والمراكب فتجهزت وسافروا من أبو قير في غاية ربيع الأول(١) سنة ١٢١٦ طالبين فرانسا وكانت الإنكليز حينما خرجت الفرنساوية من مدينة الجيزة تسلموها وجعلوها محلاً لعساكرهم ومن بعد سفر الفرنساوية بثمانية أيام مرض الجنرال يعقوب القبطي ومات فهذا ما كان من الجنرال بليار وأما ما كان من أمير الجيوش الجنرال منو والفرنساوية الذين بمدينة الإسكندرية فأبوا الصلح والتسليم وأنهم لا يخرجون منها إلاّ بعد حرب عظيم وكان بعد خروج الفرنساوية من مصر ودخول عساكر الإسلام دخل وزير الختام حسين باشا قبطان بمحافل عظيمة وصحبته ابراهيم باشا المحصَّل والي حلب(٢) وإبراهيم باشا والي ديار بكر(٣) ومحمد باشا أبو مرق(٤) وطاهر باشا ارناوط(٥) وآغاوات الإنكشارية ورجال من الدولة العلية

---

(١) ورد في نسخة ديغرانج، ص ٢٢٣ في غاية ثمانية ربيع الأول.

(٢) أنظر ترجمته هامش، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ المحصل: هو الشخص الذي يعهد إليه بمهمة تحصيل الجزية المفروضة على ولاية ما.
أنظر: Barbier de Meynard, Vol. II, P. 739

(٣) لم نجد له ترجمة.
ديار بكر: مدينة ديار بكر هي مركز ولاية «ديار بكر»، وتقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة، عند النقطة التي يصبح فيها هذا النهر صالحاً للملاحة حتى بغداد، وقد بنيت المدينة زمن الإمبراطور الروماني كونستانس، وأصلحت زمن جوستنيان، إحتلها العثمانيون عام ١٥٣٥ أثر معركة جيرالدين.
أنظر مقال: J. Sourdel Thomine dans encyclopédie de l'Islam, 2er ed. T. II. P. 353-357.

(٤) محمد باشا أبو مرق: كان وكيل خرج عند قدوم الوزير الأعظم إلى سورية، ثم تعين والياً على غزة والقدس، وقدم إلى مصر مع الوزير الأعظم، وقد كان مرشحاً لولاية مصر ولكنه لم يعين عليها وعيّن بدلاً عنه طاهر باشا أرناؤط، ورجع محمد باشا إلى سورية وأصبح باشا على يافا، واشتكى الناس من ظلمه، وقد حارب أحمد باشا الجزار، ثم حاصره الجزار وأجبره على ترك يافا واستولى الجزار عليها، ثم تعين محمد باشا أميراً لقافلة الحاج الشامي، وأعطيت له ولاية الشام، وعيّن فيما بعد قائداً للحملة ضد الوهابيين في الحجاز. أنظر: حيدر الشهابي، ج ٢، ٣، ص ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٧١.
=

ومن امرا مصر ابراهيم بيك الكبير وولده مرزوق بيك وعثمان بيك الطنبورجي وعثمان بيك البرديسي[١٦٣-ب] والالفي ومحمد بيك المنفوح ومراد بيك الصغير وعثمان بيك الأشقر وسليم بيك أبو دياب وعلي بيك وأيوب بيك وعدة كشّاف وكان يوماً عظيماً وخرجت لمقابلتهم علما مصر وأعيانها وكافة أعوامها وسكانها وانتشرت الأعلام وانسرت الأنام وفرحت الإسلام بخروج الإفرنج الليئام وصاحت المسلمون ما هذا إلاّ نصراً من الله وفتحاً وهاجوا هياجاً عظيماً على النصارى وقدموا عروضات إلى الوزير في قتلهم ونهبهم وسلبهم فلم يصغي ذلك العادل لبغيهم ووشيهم ولم يلتفت لفسادهم ومكرهم وأصدر فرمان خطاباً لساير الحكام والقضاة بأن لا يقبلوا دعاوي التي حدثت بأيام الفرنساوية في الأيالة المصرية جزئية كانت أم كلية ولم يرتضي هذا الصدر النبيل أن يلتفت إلى هذا القيل والقال بل سلك مع الرعايا سلوك الملوك[١٦٤-أ] العادلين والسلاطين الأقدمين وترك الإنتقام لله الملك العلاّم وكان يساقاً ثانياً بالأمانة إلى مصر الكنانة وابتهجت مصر بزمانه من شيمه وعزيز أمانه وكثر البيع والشرا وعمرت المدن والقرى وربحت التجار وتواردت من ساير الأقطار وفرحت الخلق طُرّاً ونارت بهِ مصر وأنشدت بذلك شعراً

أتى صدر الصدور لأرض مصرٍ ... بنصرٍ أشرقت فيهِ الديانة
بعامٍ قد كساهُ النور ارّخ ... بهِ فتحت بيوسفها الكنانة

وأما حسين باشا قبطان بعد ما بات ليلةٍ في مصر خرج إلى الجيزة وسار مع الفرنساوية كما ذكرنا وبعدما مهّد الوزير مصر أعطى ولايتها إلى محمد باشا

= أنظر: الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٨١، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٢، ١٩٧، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٤، ٣٠٦.

(٥) «هو قائد فرقة الأرناؤوط التي قدمت مع عسكر الوزير الأعظم يوسف باشا إلى مصر، وقد تولى على مصر بعد خروج الفرنسيين، واشتهر بالظلم والجور، فاتفق الجميع على قتله، وتقدمت زمرة من الإنكشارية إلى قصره وطالبوه بمعاشاتهم المتأخرة وقتلوه عام ١٢١٨ هـ - ١٨٠٣ م،» أنظر: الشهابي، المصدر السابق، ص ٣٧٣.

أبو مَرَق الذي كان عندهُ وكيل خرج[1] وهذا كان أصله من مدينة غزة من عامة الناس فأسعدتهُ الأقدار بإذن الواحد القهار حتى ارتقى إلى هذه المنازل العالية عند الصدر الأعظم بالتفاته إليه وألقى نظرةُ عليه ١٦٤-ب فتقمقمت الوزرا الباقون كونهُ ابن عرب قدّمهُ على الآخرين ومن المعلوم أن أبناء العرب عند ابن الترك مقاماتهم مخفوضة وراياتهم منقوضة وقد كان الوزير الأعظم قبل تملك القاهرة أوعد لطاهر باشا الأرناوط بولاية مصر ان فتحوها بالسيف فحيث التفَّت الأمور وخرج بالصلح الجمهور فبطل الوعد لطاهر باشا وكذلك لا رضا رجال الدولة بهِ فلأجل ذلك عدل عن تولّي طاهر باشا وولَّى محمد باشا أبو مرق وأرسل لدمياط أحمد باشا ميرمران[2] وأمر بإخراج الفرنساوية من العزبة بأمان فأرسل أحمد باشا طمّن الفرنساوية فلم يأمنوا بل تركوا القلعة وساروا لرشيد ليلاً وسلموا أنفسهم للإنكليز فهذا ما كان من الوزير وما دبَّر بالديار المصرية وأما ما ١٦٥-أ كان من أخبار الإسكندرية فإن أمير الجيوش عبدالله منو حين وصلت لهُ تلك الشروط فاعتمد على المحاربة وبدا في بنآء الحصون والمتاريس خارج البلاد وكان منتظراً الإمداد من بونابارته بما سبق من الأوعاد وبعد سفر بليار ومن معهُ من العساكر سارت العساكر الإنكليزية والعثمانية إلى الإسكندرية ودارت بها برّاً وبحراً وانتشب بينهم الحرب والقتال بالمدافع والقنابر الثقال ولم تزل القنابر والمدافع تتساقط وتزداد وهم صابرون على ذلك الحرب والجلاد إلى أن قل ما

---

(١) وكيل خرج: لقب يعطى لبعض ضباط الجيش الإنكشاري، وتكون مهمة هذا الضابط الإشراف على المؤن والذخائر اللازمة للأورطة.
أنظر: Barbier de Meynard, Vol. II, P. 845

(٢) أحمد باشا: جاء إلى مصر مع عساكر الوزير الأعظم وعهد إليه الوزير أحكام مدينة دمياط، وقد اتفق مع الإنكشارية على قتل طاهر باشا أرناؤوط الذي كان متولياً على مصر. ثم خرج المذكور من مصر مع فرقة من الإنكشارية باتجاه الأقطار الحجازية» أنظر: الشهابي، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ج ٢، ٣، ص ٣٧٣، ٣٧٤.
ميرمران: مير: لقب فارسي يعني في العربية، أمير أو سيد أو قائد، وميرمران هو لقب يعطى للباشا ذو الطوخين، ويعادل لقب (البيليربي).
أنظر: Barbier de Meynard, Vol. II, P.P. 605, 606

عندهم من الزاد وصار قحطٌ مريع وجوعٌ فظيع ومات كثير منهم من الجوع وبليوا بالويل والفجوع وكانوا يطحنون الرز ويأكلونهُ فيكون بهِ إذا دون الغذا وانقهر أمير الجيوش من مخامرة الجنرالين رانية وداماس فعقد ديواناً وشرع يبرهن خيانة الجنرالين المذكورين والضرر الذي حدث منهما ضد العسكر فأثبتت الشريعة عليهما الحقوق وآمر أمير الجيوش بالترسيم عليهما في منازلهما ١٦٥-ب وخلع الجنرالية عنهما وضبط أموالهما وتعلقاتهما هذا والحروب قايمة والنيران دايمة والهجمات على متاريس الفرنساوية متصلة وهي ملاحمة غير منفصلة وفي تلك الأيام حضر من بلاد الفرنساوية ستة آلاف صلدات في المراكب وقصدوا أسكلة دزنة[١] وهذه بلد على شط البحر المالح في بر الإسكندرية فبلغ الإنكليز قدومهم فساروا إليهم مجدين وحين شعروا بهم ولُّوا منهزمين[٢] وحضر أيضاً مراكب انكليز إلى قُصَير[٣] وبهم عساكر من بلاد الهند وروساهم انكليز[٤] ورجال الهند بلون السودان وهم مختلفون الأديان فمنهم يعبدون النيران ومنهم

---

(١) درنة أو أدرنة: مدينة تقع عند مصب نهر الماريكا (أحد أنهار بلغاريا) وهي مبنية بشكل رائع على هضبة ترتفع وسط وادي خصيب، إحتل العثمانيون هذه المدينة من البيزنطيين زمن مراد الأول، عام ١٣٦٢، وبلغت المدينة أوجها زمن مصطفى الثاني ١٦٧٥ - ١٧٠٣. أنظر مقال M. Tayyib Gokbilgin في Encyclopédie de l'Islam, 2ere ed. Vol. II, P. 700-703.

(٢) يقصد الترك هنا الأسطول الفرنسي الذي أعد في برست بتاريخ ٢٣ كانون الأول عام ١٨٠١، بقيادة الأميرال غانتوم، ولكن هذا الأسطول الذي كان يحمل نجدة بمقدار خمسة آلاف مقاتل لم يستطع أن يتجاوز مدينة أدرنة ولم تصل بالتالي النجدات التي انتظرها الجنرال منو طويلاً.
أنظر: Charles-Roux, l'Angleterre et l'expédition française, Vol. II, PP. 100, 101, 102, 103.

(٣) القصير: هي مرفأ مصري يقع على الشاطىء الإفريقي للبحر الأحمر، ولهذا المرفأ أهمية فائقة بالنسبة للتجارة الأوروبية مع الشرق الأقصى، وكذلك بالنسبة لقافلة الحاج الذاهبة إلى مكة المكرمة. أنظر مقال: M. Plessner في Encyclopédie de l'Islam, 1 ere ed. Vol. II, P.P. 1224-1225

(٤) إن الحملة الإنكليزية التي نزلت في مرفأ القصير بتاريخ ١٥ أيار ١٨٠١، كانت مؤلفة من عشرة آلاف مقاتل من هنود وانكليز، وقد انطلقت من بومباي بقيادة الجنرال الإنكليزي (بيرد) Baird ومن القصير توجه هؤلاء الجنود إلى وادي النيل.
أنظر: Charles-Roux, Ibid, Vol. II,P. 131

يعبدون الأوثان ولهم مذاهب متفرقة ولغات متنوعة ولا يلبسون سوى القمصان فقط فهولا القوم قد خرجوا من مراكبهم إلى القصير وأتوا إلى مدينة الجيزة حيث كان المعسكر هناك ونصبوا المضارب ١٦٦-أ والخيام واستقروا بها مدة أيام وقيل أنه جاز في ذات يوم أحد العساكر المصريين في وطاق هولا الهنديين وأخذ ناراً فوثبوا عليه وكادوا يقتلونه وقدموه إلى ساري عسكرهم ليقضي عليه بالموت وادَّعوا أنهُ لمس إلاههم فخاف الرجل خوفاً عظيماً وقال اني لست أعلم ما ذنبي فرحمه السر عسكر إذ هو من الإنكليز وأمر لذلك المصري أن يدفع لهم ثمن الطعام الذي نجّسه لّما لمس النار وبعد ما استقروا أياماً وجيزة في مدينة الجيزة ساروا إلى مدينة الإسكندرية لأجل محاربة الفرنساوية وكان في ذلك الوقت مشتد القتال والجدال وازداد الحصار في البراري والبحار وزادت النار وقصرت الأعمار وكل من الحرب كل قرم جبار وبعد مضايقة كلية ومحاصرة قوية ملّت العساكر الفرنساوية وعزمت على تسليم الإسكندرية ومسيرهم في الأمان إلى منازلهم والأوطان فارتضت ١٦٦-ب معهم الإسلام بأن يخرجوا بالسلام ويتركوا جبخاناتهم وأسلابهم ويمضوا بسلاحهم فقط وخرجوا من الإسكندرية على هذا النمط وبعد وقوع الصلح والإتفاق(١) صنع أمير الجيوش عبدالله منو وليمة عظيمة للسر سكر الإنكليز وإلى رجال الدولة العثمانية وقدَّم لهم الطعام وهو من لحوم الخيل والفار والقطاط والكلاب الوخام وإذ تفرموا بها سألوه عن تلك اللحوم فلم ينكر عنهم وأجابهم أنه ليس يوجد عندي غير ذلك ولم يوجد عند الفرنساوية ما يسدّوا به رمق الفؤاد ولو كان موجود غيرهُ لما سلموكم البلاد فرفعوا أياديهم عن الطعام وهم متعجبون من تلك الألفاظ والكلام وخرجوا الفرنساوية من مدينة الإسكندرية وتقاسما الدولتان الإنكليزية والعثمانية جميع ما تركوه الفرنساوية لأنهم خرجوا بسلاحهم فقط وساروا في مراكب الإنكليز إلى مدينة باريز وخلّوا

(١) عقدت معاهدة الصلح بين الانكليز والعثمانيين والجنرال منو بتاريخ ٣١ آب ١٨٠١، واحتل الانكليز خطوط القتال في ٢ أيلول ١٨٠١.
أنظر: Deherain, P. 528 histoire, Vol. V.

مدافع وجبخانات وأمتعة وذخاير وخيرات[١٦٧-أ] وكان تسليم الجنرال بليار وخروجه أصلح شأن من تسليم منو في الذل والهوان(١) ولكن قد افتخر الجنرال منو على بليار أنه ما وقع التسليم إلاَّ بعد الحرب العظيم والجوع الجسيم فهذا على مقتضى شرايع مشيختهم وأحكام دولتهم وكانت مدة حصار الإسكندرية ستين يوماً وكان خروجهم في أواخر ربيع الثاني سنة ١٢١٦ وحضرت البشاير للصدر الأعظم فأمر بشنّك عظيم وفرح فرحاً جسيم وضربت مدافع كثيرة وحراقات غزيرة وابتهجت الإسلام ورفعت الأعلام وحمدوا رب الأنام وقالوا الحمد لله على تأييد الدين وهذا نصر من الله وفتح مبين امين

وقد تمَّت أخبار الفرنساوية وما حدث من الوقايع في الديار المصرية وكانت إقامتهم تسعة وثلاثين شهراً وكانوا من وقت دخولهم إلى حين خروجهم لم يستكنُّوا من الحرب والقتال والمنازعة والجدال وقد مات منهم خلق كثير وأهلكوا من الإسلام عالم لا يرام والحمد لله على الدوام[١٦٧-ب].

للمؤلّف يمدح حضرة أمير الجيوش بونابارته حين افتتح الديار المصرية.

لـله عصر قـد زهـا　　　فـلك السـعـادة فـيـهِ دار
وجمـال كـوكـب دولـة ال　　　جـيش الـفـرنـساوي انـار
يـا حـسـنـهـا مـن دولـةٍ　　　بـالافـتـخـار لهـا اشـتـهـار
مـقـدمـهـا ذو سـطوةٍ　　　تهـدي المـلوك لـهُ الـوقـار
الـشـهـم بـونـابـارتـه　　　لـيـث الـوغـا والاقـتـدار
مـن فـاق قـدراً وارتـقـى　　　أوج الـعُـلى وسـما الـفـخـار
نـدب تـوحـد بـالـورى　　　بـشـهـامـةٍ ذات اعـتـبـار

---

(١) لقد تضمنت معاهدة الصلح في الشرط الثامن عشر منها وجوب ترك الفرنسيين مستنداتهم وأدواتهم، والآثارات التي جمعوها من مصر في الإسكندرية، وتسلمها الإنكليز منهم.
أنظر: G. Guemard, essai d'histoire de l'institut d'Egypte et de la commission des sciences et arts, B.I.E. Vol. VI, VII. P. 78-79.
حول شروط هذا الصلح، أنظر: الرافعي، تاريخ الحركة القومية، ج ٢، ص ٢٧٣ - ٣٨٠.

قهر الممالك جمةً ... وغزا البلاد مع الديار
واقالنا بجحافلٍ ... ومراكبٍ طوت البحار
وتملك الاسكندريـ ... ـة بسرعةٍ دون اعتبار
وملأ الأراضي عسكراً ... حول الكنانة واستدار
من كل صنديدٍ فتىً ... يوم القتال له اصطبار
صف الصفوف بحكمةٍ ... وفنون حربٍ واختبار
١٦٨-أ
وسطا بشدة عزمِه ... وعلى جيوش الغز غار
واراهم خطباً شديـ ... ـد الهول فيهِ العقل حار
واثار نار الحرب في ... يومٍ تشبب بهِ الصغار
يوم يقال بهِ له ... لله درك من نهار
فهناك جيش الغز قد ... صاح الهزيمة والفرار
وراوا المنية فوقهم ... قد أمطرت جمرات نار
ذو البطش منهم والفتى ... طلب النجا وبهِ استجار
وتبددت تلك الجما ... هير العديدة في القفار
وتشتت امرآءها ... وغدت بذلٍّ وانكسار
وفتوح مصر كان في ... صفرٍ وامر الله صار
في يوم سبتٍ فيهِ قد ... ارخت تم الانتصار

سنة ١٢١٣

وقال مورخاً وفاة الجنرال كليبر.

وَفَت المنية والحياة قد انقضت ... وسطا الحمام على الكمي الظافرِ
فابكوا الشجاع البطش والبطل الذي ... ظفرت يداه بكل قرمٍ فاجرِ
كم في اراضي الروم لذكرى نصرة ... ولكم فتكت بجحفلٍ وعساكرِ
لا تنكروا فعلي بغوطة جلّقٍ ... حيث العداة بمرج ابن العامرِ

وسبيل علاَّم لبطشي مشاهدٌ ... ينبيكم عن فعل سيفي الباترِ
١٦٨-ب إذ بادروا والأتراك في اقبالهم ... يتلاطمون كموج بحرٍ زاخرِ
فهناك بدَّدت الجيوش بصارمي ... وتركتهم اعجوبةً للناظرِ
من باب مصر للعريش اسقتهم ... سوق الخراف أمام وجه الزاجرِ
كم دست هام مقاومٍ غادرتها ... اسرى يدي وقهرت كل مشاجرِ
ونشرت اعلامي على رؤس الملا ... طُرّاً واخضعت الورى لاوامرِ
واذا كان ما في الموت تدبير ولا ... حيلٌ ولا صدٌّ لحكم القادرِ
فغدى اخس الخلق منهم قاتلي ... والسايل الصعلوك ارّخ غادرِ

سنة ١٢١٥

فهرس عام
لمخطوطة
تاريخ نابليون الأول

آ ـ فهرس الألقاب والتعابير العثمانية

ب) - فهرس الاماكن

فهرس الأسماء

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

المصادر باللغة العربية

آ ـ المخطوطات:

الترك، نقولا. حوادث الزمان في جبل لبنان، الظاهرية، رقم ٤٧٢٤.
ـ تـاريخ الامبراطور نابليون الأول الظاهرية، رقم ٤٧١٧.

ب ـ الكتب المطبوعة:

١ - د. أنيس، محمد. مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني، الجزء الثالث من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ثلاثة أجزاء، مطبعة دار الكتب، القاهرة (١٩٧٠ ـ ١٩٧١).
٢ - البستاني، فؤاد أفرام، المعلم نقولا الترك، مجلة المشرق، مجلد رقم ٤٣، (١٩٤٩).
٣ - البوريني، الحسن بن محمد، تراجم الأعيان من أبناء الزمان، صدر منه جزءان نشرهما صلاح الدين منجد، دمشق (١٩٥٩ ـ ١٩٦٦).
٤ - البيطار، عبد الرزاق، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ثلاثة أجزاء، تحقيق محمد بهجت البيطار، دمشق (١٩٦١ ـ ١٩٦٣).
٥ - الترك، نقولا. ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية، تحقيق المستشرق ديغرانج، باريس (١٨٣٩).
- مذكرات نقولا الترك، نشر وتحقيق المستشرق، غاستون ڤييت، القاهرة (١٩٥٠).
- ديوان المعلم نقولا الترك، ضبط نصوصه ووضع مقدمته وفهارسه فؤاد افرام البستاني، بيروت سنة (١٩٤٩).

- وفاة المعلم نقولا الترك، مجلة المسرّة، مجلد ٤١٨ سنة ٤٢، ١٩٥٦.
٦ - الجبرتي، عبد الرحمن، عجائب الآثار، في التراجم والأخبار، أربعة أجزاء، الطبعة الأولى، بولاق ١٢٩٧ هـ.
٧ - الجبرتي، عبد الرحمن، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس، جزءان، تحقيق أحمد زكي عطية، عبد المنعم عامر، محمد فهمي عبد اللطيف، مراجعة حنفي عامر، القاهرة، ١٩٦١.
- فهرس عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لطبعة بولاق، قام بعمله غاستون ڤييت وعبد الرحمن زكي القاهرة ١٩٥٤.
٨ - هاملتون جب وهارولد باون. المجتمع الإسلامي والغرب، جزءان، هما ترجمة الجزء الأول من المؤلف باللغة الإنكليزية، ترجمة الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف بمصر، ١٩٧١.
٩ - حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، جزءان، ترجمة الدكتور كمال اليازجي، إشراف الدكتور جبرائيل جبور، بيروت ١٩٥٩.
١٠ - لبنان في التاريخ، ترجمة أنيس فريحه، بيروت ١٩٥٩.
١١ - حوراني، البرت، الفكر العربي في عهد النهضة ١٧٩٨ - ١٩٣٩، طبعة ثالثة بيروت ١٩٧٧.
١٢ - الدمشقي، مخائيل، تاريخ حوادث الشام ولبنان (١١٩٧ بيروت ١٢٥٧) (١٧٨٢ - ١٨٤١) نشرها الأب لويس معلوف، بيروت ١٩١٢.
١٣ - الدويهي، إسطفان، تاريخ الأزمنة، من ١٠٩٥ حتى ١٦٩٩، نشره الأب فرديناند توتل، مجلة المشرق، مجلد ٤٤، ١٩٥٠.
١٤ - رافق، عبد الكريم، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت، ١٥١٦ - ١٧٩٩، الطبعة الثانية، دمشق ١٩٦٨.
- العرب والعثمانيون، ١٥١٦ - ١٩١٦، الطبعة الأولى، دمشق ١٩٧٤.

١٥ - الرافعي، عبد الرحمن، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، الطبعة الرابعة، (جزءان) ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
١٦ - الزركلي، خير الدين، معجم الإعلام، عشر أجزاء، الطبعة الثانية، مطبعة كوستا تسوس وشركاه، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.
١٧ - زكار، سهيل، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، بيروت، دار الأمانة، الطبعة الأولى ١٩٧٢.
١٨ - الشدياق، طنوس، أخبار الأعيان في جبل لبنان، جزءان، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٥٤، (الطبعة الأولى، بيروت ١٨٥٩).
١٩ - الشطي، محمد جميل، روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر، دمشق، ١٩٤٦.
٢٠ - الشهابي، حيدر أحمد، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ثلاثة أجزاء، قام بنشره وتعليق حواشيه ووضع مقدمته وفهارسه فؤاد أفرام البستاني، أسد رستم، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٦٩، (الطبعة الأولى ١٩٣٣).
٢١ - تاريخ أحمد باشا الجزار، قام بنشره وتعليق حواشيه ووضع مقدمته وفهارسه، الأب أنطونيوس شبلي والأب إغناطيوس عبده خليفة، بيروت سنة ١٩٥٥.
٢٢ - تاريخ الامير حيدر أحمد الشهابي، نشره نعوم مغبغب، القاهرة، ١٩٠٠ - ١٩٠١.
٢٣ - شكري، محمد فؤاد. الحملة الفرنسية وظهور محمد علي، مصر، دائرة المعارف، الطبعة الأولى سنة ١٩٤٢.
٢٤ - عبد الله جاك منو، وخروج الفرنسيين من مصر، دار الكتاب العربي، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.
٢٥ - شيخو، الأب لويس اليسوعي، الآداب العربية في القرن التاسع عشر، ثلاثة أجزاء، مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت، طبعة أولى ١٩٠٨.
٢٦ - الصباغ، ميخائيل، تاريخ ظاهر العمر الزيداني، نشره الخوري

قسطنطين الباشا، حريصا، ١٩٣٥.
٢٧ - الصليبي، كمال. تاريخ لبنان الحديث، بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٧.
٢٨ - عانوتي، أسامة. الحركة الأدبية في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٠.
٢٩ - عبد الوهاب، حسن. تاريخ المساجد الأثرية، جزءان القاهرة ١٩٤٦.
٣٠ - العلاتي، إبراهيم بن محمد، الشهير بابن دقماق، كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار، خمسة أجزاء، بولاق ١٨٩٣.
٣١ - الغزي، كامل، نهر الذهب في تاريخ حلب، ثلاثة أجزاء، حلب، ١٣٤١ - ١٣٤٥ هـ) - ١٩٢٢ - ١٩٢٦.
٣٢ - فشر، هـ. ا. ل. تاريخ اوروبا في العصر الحديث، ترجمة أحمد نجيب هاشم، وديع الطبع، دار المعارف في مصر، القاهرة، ١٩٤٦.
٣٣ - القاري، رسلان. هذه أسماء الوزراء الذين حكموا في دمشق الشام من خلافة السلطان سليم من سنة ٩٢٢ هـ (يشير إليه المنجد باختصار في كتابه: ولاة دمشق في العهد العثماني بإسم «الوزراء الذين حكموا دمشق»)، مخطوط في الظاهرية، رقم ٤٧٧٢، نشره صلاح الدين المنجد في كتابه: ولاة دمشق في العهد العثماني، دمشق، ١٩٤٩.
٣٤ - كرد علي، محمد. خطط الشام، ستة أجزاء، دمشق، ١٣٤٣ - ١٣٤٧ / ١٩٢٥ - ١٩٢٨.
٣٥ - لودفيج، اميل. نابليون، جزءان، مترجم، القاهرة ١٩٤٦.
٣٦ - المبارك، علي باشا. الخطط التوفيقية (عشرون جزءاً في خمسة مجلدات) بولاق ١٣٠٦ هـ.
٣٧ - مشاقة، مخائيل، مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان، مصر، ١٩٠٨.
٣٨ - المعلوف، عيسى اسكندر. تواريخ الامبراطور نابليون بونابرت باللغة العربية ولا سيما تارتيخ نقولا الترك اللبناني منها، مجلة المشرق، مجلد ٢٩، ١٩٣١.

- شذرات، المشرق، مجلد ٢، ١٨٩٩.
٣٩ - المنيّر، حنانيا. الدر الموصوف في تاريخ الشوف، نشره إغناطيوس سركيس، مجلة المشرق، مجلدات ٤٨ - ٥١ (١٩٥٤ - ١٩٥٧).
٤٠ - مؤنس، حسين. الشرق الإسلامي في العصر الحديث، القاهرة ١٩٣٨.
٤١ - ياقوت، الحموي البغدادي. معجم البلدان، أربعة أجزاء، طبعة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م.

المصادر باللغات الأجنبية

BIBLIOGRAPHIE EN LANGUE ETRANGÈRE

1 - Aine, Desgranges. Histoire de l'expédition des français en Egypte, par Nakoula-El-Turk, Paris (1839).

2 - Aubry, Octave. La Revolution française, la république, 2 vols, Paris (1945).

3 - Barbier De Meynard. Dictionnaire Turc Français, 2 vols, Paris (1881-1886).

4 - Ayalon, David, «the historian Al-Jabarti» in historians of the Middle East. edited by B. Lewis and M. Holt, London (1962)

5 - Benoist - Mechin. Bonaparte en Egypte où le rêve inassouvi. Imprimé en Suisse 1966.

6 - Calvet, Henri. Napoléon, édition «Que sais-je» Paris 1952.

7 - Cardin, Alexandre. Journal d'Abdurrahmen Gabarti, Paris 1838.

8 - Chevalier,Dominique. La Societé du Mont Liban à l'époque de la révolution industrielle en Europe, Paris 1971.

9 - Chretien, Maxime. Histoire de l'Egypte moderne, édition «Que sais-je» Paris (1951).

10 - Charles-Roux, François. Bonaparte gouverneur d'Egypte, Paris chez Plon 1946.

11 - l'Angleterre et l'expédition française en Egypte, 2 vols, Le Caire 1925.

12 - Daressy, M.G. Moustapha Pacha le prisonnier d'Aboukir, bulletin de l'Institut d'Egypte. Vol XI, 1928-1929, PP. 55-70.

13 - Deherain, Henri. Histoire de la nation Egyptiènne. sous la direction de Gabriel Hanataux, 7 vols, l'Egypte turque Pachas et Mamluks au XVIII Siècle, l'expédition du général Bonaparte, Vol V, chez Plon, Paris 1931.

14 - Description de l'Egypte, 2em2 ed, XXIV. Vols. Paris 1823.

15 - D'Estre, Henry. Bonaparte en Egypte où le mirage oriental., chez Plon, Paris 1946.

16 - D'Ohsson, M. Tableau général de l'Empire Ottoman, 7 vols, Paris 1788-1824.

17- Dozy, R. Supplement aux dictionnaires arabes, 2 vols, 2eme ed, Leyde - Paris, 1927.

18 - Dupont, Marcel. Napoléon en campagne, d'Arcole a Aboukir, Imprimé en France 1950.

19 - Encyclopédie de l'Islam, 4 vols, et supplement, 1ere ed. Leyde - Paris, 1913-1938. 2eme ed. Leyde - Paris depuis 1944.

20 - Encyclopédie Quillet, histoire universelle, 2 vols, Strasbourgh 1955-1961.

21- Encyclopédie Larousse, 2eme ed, Canada 1973-1976.

22- Fugier, André. Histoire des relations internationales, publié sous la direction de Pièrre Renouvin, 4 vols, la revolution française et l'Empire Napoléonienne, vol. IV, Paris, Hachette 1954.

23- Gibb, H.A.R. and Harold Bowen, Islamic society and the West, Vol. I, 2 Parts, Vol. II, 2 Parts, London (1950-1957).

24 - Guemard, Gabriel. Histoire et bibliographie, histoire et bibliographie de la commission des Sciences et des Arts de l'Institut d'Egypte, le Caire 1936.

- Essai d'histoire de l'institut d'Egypte et de la commision des Sciences et Arts. Bulletin de l'Institut d'Egypte, Vol VI, PP. 43-84.

- Auxiliaires de l'armée de Bonaparte en Egypte. 1798-1801, bulletin de l'Institut d'Egypte Vol. IX, 1927, PP. I-17.

25 - Graf, Georg. Gechiehte der christhichen arabischen, litiratur, IV. Vol, (Vatican city) 1944-1953.

26 - Haddad, Georg. (The historical work of Niqula El-Turk "1763-1828") Journal of the American oriental society (JAOS) Vol. 81, N.3 (Aug. Sept. 1961) PP. 247-251.

27 - Heyd. W. Histoire du Commerce de Levant au Moyen Age. 2 Vols. Leipzig, 1923.

28 - Homsy, Gaston. Un Egyptien colonel dans l'armée de Napoléon 1er, bulletin de l'Institut d'Egypte, Vol. XI, 1928, PP. 84-96.

29 - A.H. Hourani, «Historians of Lebanon» in historians of the Middle East, ed by B. Lewis and P.M. Halt, London (1962).

30 - L'humanite de Poussielgue, Cah. hist., eg, vol. 2, 1950 PP. 525-528.

31 - Ismail, Adel. Le Liban, histoire d'un peuple, Beyrouth 1965.

32 - Jonquière, C. de la. L'expédition d'Egypte, 1798-1801, 5 vols, Paris 1899-1907.

- Histoire de l'Empire ottoman publié sous la direction de M.V. Duruy, Vol. I, Paris, Hachette 1914.

33 - Magallon, Charles. Memoires sur l'Egypte (Rev. d'Eg. III) Le Caire 1899, PP. 205-224.

34 - Dr. Matti, Moussa. Moora. Napoléon's Islamic policy in Egypt, Index Islamics, Vol. X, N. 10, 1966. PP. 103-116.

35 - Raymond, André. Artisants et commerçants au Caire au XVIIIe siècle, 2 vols. Damas 1974.

36 - Dr. Rafeq, A-K. The province of Damascus, 1723-1783, Khayats, Beirut, 1966.

37 - Salibi, K.S. «The traditional historiography of the Maronites». in Historians of the Middle East, ed. B Lewis and P.M. Holt (London 1962)

38 - Tott, de Menoires du Baron de Tott sur les Tures et les Tetares, IV vols, Amesterdan 1764.

39 - Volney, C.F. Chassebæuf, comte de. Voyages en Egypte et en Syrie pendant les années 1783, 1784, 1785, etc. 2 vols, vols, Paris 1787.

40 - Viet, Gaston. Chronique d'Egypte 1798-1804, par Nicolas Turc publication de la bibliothèque privée de S.M. Farouk 1er roi d'Egypte, le Caire 1950.

جروس برس
طرابلس - لبنان